

تأليف

السيد محمد كبريت الحسيني المدني

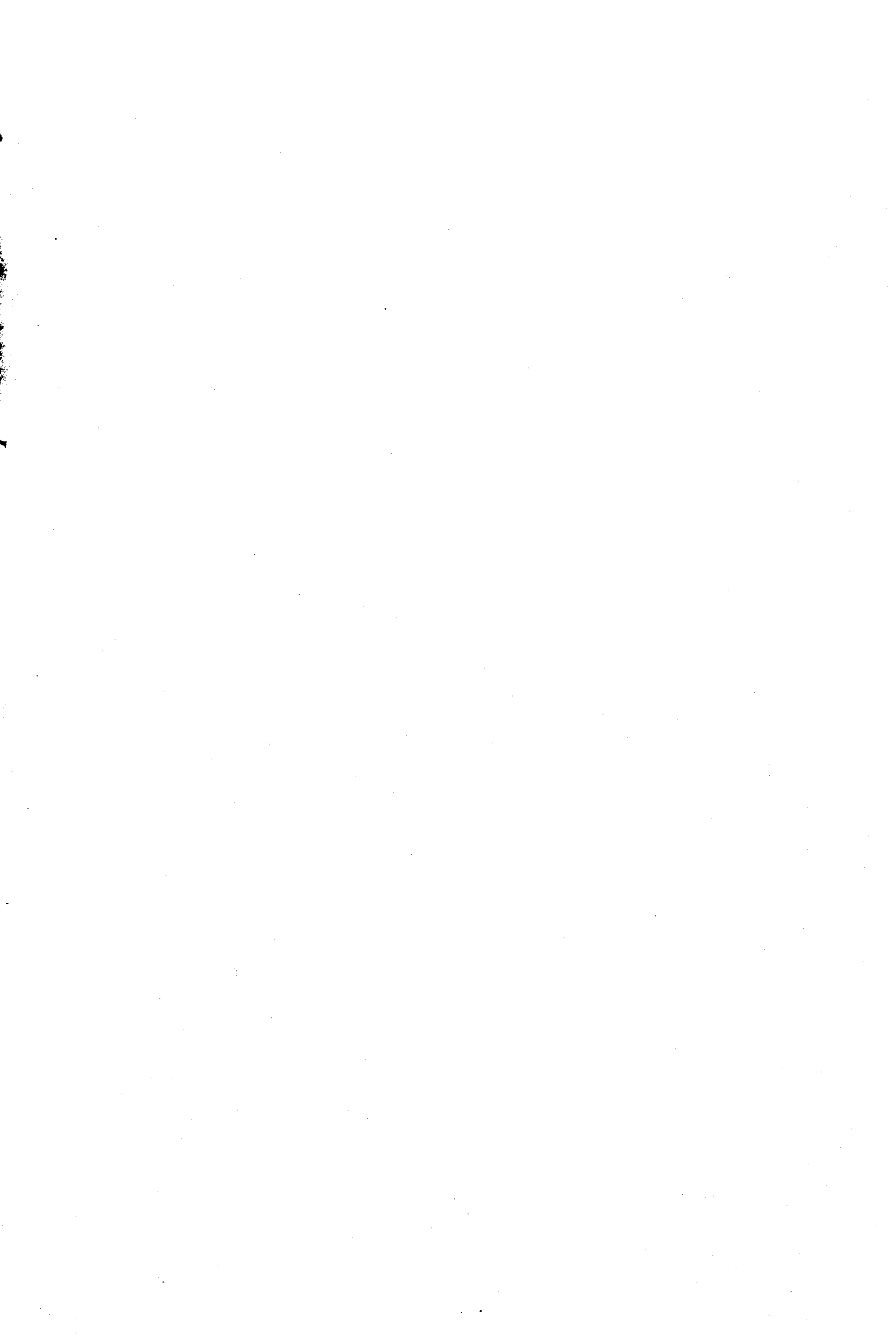
ت (١٠٧٠) هـ

تحقيق

أحمد سعيد بن سلم

بسم الله الرحمن الرحيم





مقدمة المحقق

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على سيد البشر؛ الذي قال: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» وعلى آله الطيبين، وعلى صحابته الذين عملوا على نقل رسالة الحق إلى العالم، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

هذا كتاب «الجواهر الثمينة في محاسن المدينة» على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، للعلامة السيد محمد كبريت الحسيني المدني من علماء القرن الحادي عشر الهجري.

وقد اعتمدت في إظهار هذا الكتاب إلى حيز الوجود على ثلاث نسخ خطية، إحداها: نسخة دار الكتب المصرية، وتحتوي على (١٦٢) ورقة، وفي كل ورقة صفحتان من المقاس الصغير، وفي كل ورقة في المتوسط (٢١) سطراً، وفي كل سطر ثماني كلمات على المتوسط، وخطها نسخي لا بأس به، إلا أن بعض العبارات اعتراها المسح مما يجعل قراءتها صعبة، وقد قام بنسخ هذه النسخة إسماعيل الرفاعي عام (١١٨٥هـ) من نسخة موقوفة من قبل السيد أبو الأنوار السادات عام ١١٩٣هـ وقد رمزت إليها بحرف (أ).

وأما النسخة الثانية: فهي نسخة خزانة شيخ الإسلام عارف حكمت، ضمن مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، تحتوى هذه النسخة على (٦٠) ورقة، وفي كل ورقة صفحتان من المقاس الكبير،

وتحتوي كل صفحة على(٢٧) سطراً، وفي كل سطر (١٤) كلمة في المتوسط، وأما خط هذه النسخة فهو أقرب ما يكون إلى خط الرقعة، وقد نقلت هذه النسخة في شهر رمضان عام (١٢٠٨هـ) وقد فرغ المؤلف من وضعها في أواخر ربيع الآخر (١٠٤٨هـ) وتمت كتابة النسخة التي نقلت منها هذه النسخة التي بين أيدينا في أواخر شوال من نفس السنة، وهذه النسخة موقوفة من قبل أحمد رحمة الله بن عصمة الله الحسيني[١] عام (١٢٦٦هـ) وقد رمزت لها بحرف (ب).

وأما النسخة الثالثة: فهي نسخة السيد جعفر هاشم آل هاشم، وتحتوي هذه النسخة على (٣٩) ورقة، في كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة (٢٥) سطراً في المتوسط، وكل سطر يضم (١٢) كلمة في المتوسط أيضاً، والنسخة المذكورة خطها جميل، وهو خط السيد جعفر المعروف بحسنه، ودقته، وبالإضافة إلى جمال الخط، وجودة التنظيم والتنسيق، فإن عليها تعليقات بنفس الخط، تدل على أن السيد ـ رحمه الله ـ على قدر كبير من العلم، وقد حصلت على صورة من هذه المخطوطة من السيد هاني إبراهيم هاشم آل هاشم، ناظر وقف آل هاشم بالمدينة، والمشرف على مكتبة آل هاشم العامرة بالمدينة، جزاه الله خير الجزاء.

السبب في تحقيق الكتاب:

أما السبب الذي دعاني إلى العمل على إخراج هذا السفر إلى النور: هو لأنه يتحدث عن محاسن المدينة، وكفى، يستشهد على ذلك بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار العربية، والحكم، والأمثال، وواقع الحال، وروائع الأقوال.

---

(١) لعل وقف الكتاب تم بعد النقل منه.

وأما عملي في إخراج هذا الكتـــاب فهو:

(١) إتمام النصوص التي اعتراها التلف من النسخ الأخرى حتى يستقيم النص، سواء كان من النصوص الشرعية مثل الآيات والأحاديث، أو أدبية مثل: الأبيات الشعرية، أو الحكم، والأمثال، والإشارة إلى ذلك في الهوامش.

(٢) إيراد النصوص التي انفردت بها إحدى النسخ، وذكر ذلك في الهامش.

(٣) ترقيم الآيات القرآنية، وإرجاعها إلى مواطنها من السور.

(٤) تخريج الأحاديث النبوية وإيعازها إلى مصادرها وذلك في حدود الإمكان.

(٥) محاولة التعريف ببعض الأماكن التي ورد ذكرها في الكتاب في النصوص الشعرية، أو في النصوص النثرية، ولا سيما أن الزمن بيننا وبين المؤلف طويل، وقد تغيرت أسماء كثير من الأماكن، وضاعت معالم كثير منها، وزال كثير من الأعلام التي يُهتدى بها.

(٦) الترجمة لكثير من الأعلام الذين وردت أسماؤهم في الكتاب.

(٧) العمل على وضع علامات الترقيم.

(٨) الإشارة إلى بعض التغيرات التي طرأت على المدينة الناتجة عن توسعة المسجد النبوي الشريف، أو المشاريع الأخرى المساندة له.

(٩) وضعت عناوين أصلية وجانبية تخدم الموضوع.

(١٠) وضعت الفهارس اللازمة التي تخدم الموضوع.

وأرجو المولى أن يكون ذلك في ميزان الحسنات وأن يكون خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى، وما توفيقي إلا بالله، وعليه الاعتماد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

التعريف بالمؤلف

السيد محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني

(١٠١٢ ـ ١٠٧٠هـ)

تحصيلـــه العلمي:

مدني المولد والوفاة، ويعرف بالسيد كبريت، تلقى علومه على يد علماء عصره على طريقة ذلك العصر في التحصيل العلمي، حيث كان يذهب الصغار إلى شيخ الكتاب لحفظ القرآن، وتعلم الخط، والحساب، وبعض المتون الأخرى، وكثير من الشباب يكتفي بذلك. وأما من كانت له وجهة في التعلم فيلتحق بحلقات أحد المشائخ، أو أكثر.

ومن حسن حظ بعض أبناء المدينة أن المسجد النبوي الشريف يضم أعداداً كثيرة من علماء العالم الإسلامي المبرزين في العلوم الشرعية، والعربية، والسير، والتاريخ، وغير ذلك من العلوم.

والسيد كبريت كان من أولئك المحظوظين الذين التحقوا بالجامعة النبوية، حيث نهل من حياضها على أيدي علماء أفاضل، ويبدو من الاطلاع على قائمة مؤلفاته أنه كان مطلعاً على العلوم الشرعية، والأدبية، ومولعاً بالتاريخ، والسير، والتاريخ المحلي بالذات، كما أنه ميال إلى الأدب، والشعر منه بشكل خاص، يدل على ذلك الكم الوفير من الشعر الذي احتواه كتابه الذي بين أيدينا، على أن ذلك

لا يقلل من قدرات السيد في الجوانب الأخرى.

وقد رحل في سبيل ذلك إلى الآستانة التي كانت قبلة القاصدين في ذلك الوقت، ولا سيما أنها عاصمة دولة الخلافة العثمانية، كما رحل إلى دمشق، والقاهرة، واتصل بعلماء عصره في الأقطار التي زارها، ونال قدراً طيباً من الثقافة؛ مما أثر على نوع إنتاجه التأليفي.

مشائخـــه:

ومن مشائخه في المدينة:

(١) الشيخ الفاضل عبد الملك العصامي.
(٢) الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن عيسى المرشدي.
(٣) الشيخ عبد الله بن ولي الحضرمي[١].

وفي دمشق أخذ عن:

(٤) الشيخ أيوب بن أحمد.

وفي القاهرة أخذ عن:

(٥) الشيخ محمد بن زين العابدين البكري[٢].

ومن مؤلفاتـــه:

(١) بسط المقال في القيل والقال.
(٢) حاطب ليل، وهو كتاب كبير جداً.
(٣) خمائل الأفراح وبلابل الأرواح.
رسالة تشتمل على أشعار لطيفة.
(٤) رحلة الشتاء والصيف، طبع قديماً.

---

(١) ديوان ابن النحاس، تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي (ص٣٤).
(٢) المرجع السابق (ص٣٥).

(٥) نصر من الله وفتح قريب.

مطبوع، وفيه تراجم لبعض فضلاء المدينة.

(٦) الزنبيل، وهو اختصار للكشكول للعاملي[١].

(٧) الفصول السنية للفلاحة المدنية.

طبع بتحقيق المهندس الزراعي أديب عمر الحصري عام (١٤١٦هـ) وقد احتوى على قسمين: قسم للزراعة، وقسم في الطب، ويضم (١٢٦) صفحة.

(٨) منح الفتاح في إصلاح الفلاح[٢].

(٩) الفصول الفاخرة في أخبار الدنيا والآخرة.

(١٠) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

(١١) إركاز الركاز في المعمّى والألغاز.

(١٢) ظل العارض في شرح ديوان ابن الفارض.

(١٣) المطلب الحقير في وصف الغني والفقير.

وهو كتاب حسن الوضع، وعجيب الأسلوب.

(١٤) محك الدهر.

(١٥) رشح البال بشرح البال.

وهذا الكتاب في النكت والألغاز[٣].

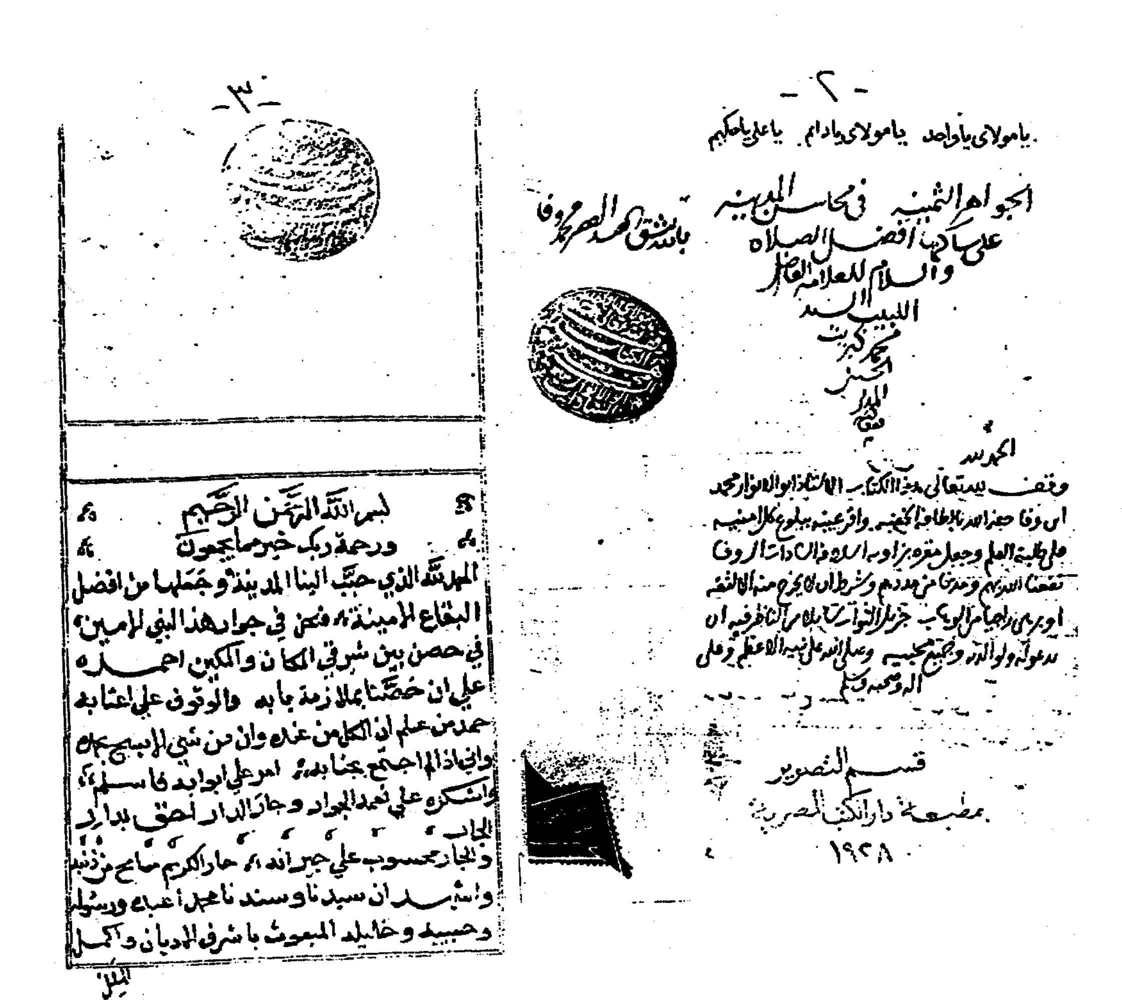
□ □ □

---

(١) الأعلام للزركلي (ج٦/ص٢٤٠) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (ج١٠/ص٢٤٠) ديوان ابن النحاس (ص٣٥).

(٢) الزراعة الوطنية لبلد خير البرية، تأليف الشيخ صالح كمال، وتحقيق الدكتور نايف الدعيس (ص١٩).

(٣) ديوان ابن النحاس (ص٣٥/٣٦).



- ٢ -

يامولاي ياواحد يامولاي يادائم ياعلي ياحكيم

الجواهر الثمينة في محاسن المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام للعلامة الفاضل اللبيب السيد محمد كبريت الحسيني المدني

بالله شيخ محمد الصمد محمد ... وفا

الحمد لله

وقف لله تعالى هذا الكتاب الأستاذ ابو الانوار محمد ابن وفا جزاه الله بالطاف الخفية واقر عينه ببلوغ كل امنية على طلبة العلم وجعل مقره بزاوية اسلافه في دار السادات الوفائية نفعنا الله بهم ومددنا من مددهم وشرط ان لا يخرج منها الا لنفع او برهن ... جزيل الثواب ... الناظر فيه ان يدعو له ولوالديه وجميع محبيه وصلى الله على نبيه الاعظم وعلى آله وصحبه وسلم

قسم التصوير
بمطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٨

- ٣ -

بسم الله الرحمن الرحيم
ورحمة ربك خير مما يجمعون

الحمد لله الذي حبب الينا المدينة وجعلها من افضل البقاع الامينة، فنحن في جوار هذا النبي الامين في حصن بين شريف المكان والمكين احمده على ان خصنا بملازمة بابه والوقوف على اعتابه حمد من علم ان الكل من عنده وان من شيء الا يسبح بحمده وانى اذا لم اجتمع بجنابه [illegible] امر على ابوابه فاسلم واشكره على نعمة الجوار وجار الدار احق بدار الجار والجار محسوب على جيرانه، جار الكريم سالم من ذنبه واشهد ان سيدنا وسندنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله المبعوث باشرف الاديان واكمل

الملل

صورة الورقة الأولى من النسخة (أ)

٣٢٨

يقنون فقال الرجل يا سيدي ادع على هولاء الجاهرين
المنكر فقال الشيخ نعم ثم انه استقبل القبلة
قال اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في
الآخرة فبهت الرجل فلم تمض مدة حتى اهتدى كل
منهم وحسن حاله وكان الى طريق الخير ماله •
[illegible] على راي الجماهير في الجاه اذا امتاع في البيدا [illegible]
يشير الى ان المشايخ هداة الخلق ورعاتهم وارباب
المعاصي من اتباعهم وساحتهم مهما قصروا في ارشادهم
ورعيهم يكون عارا عليهم رحمة الله تعالى عليهم [illegible]
[illegible] الله تعالى عن الخلق [illegible] نفوسهم
فيجذب اوابد النفوس البشرية فعلى الخط لا عليهم
العتاب [illegible] آخر ما جرى به القلم
من ذكر بعض محاسن المدينة المنورة ونشر لطايف
ما تيك الاماكن الامينة المعمورة وهو انه كثر قليلا في جنب
شرفها الشامخ ويسير مما كرمها الله تعالى به من
جميل المناقب ومنحها من جليل المواهب كلت دونها
الاقلام وجفت المحابر ولما وسعت بعضه الدفاتر
والحمد لله الذي شرف طابة وشوق القلوب لسماع
اخبارها المستطابة فهي الارض التي هي في الحقيقة
سما وهي الروض التي من دونها المقام لا سنا •
• [illegible] ما قال •

٣٢٩

ارض تمشي جبريل في عرصاتها • والله شرف ارضها وسماها
ارض كمثل محمد وبناته • والله رب العرش قد اسماها
اللهم اعننا في التمسك باهداب الاداب عن ضبط
باطن [illegible] حبله الواهي وول اوجه قلوبنا شطرك
كي ينطبع في مرآتها امور الاشيا كما هي ولا تحرمنا
[illegible] لا تنال فيه [illegible] وعال تحمل له الاعذار •
[illegible] وسلم على رسولك الذي الزمت ربقة
دينه الرقاب وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب
وجازه بقبول الشفاعة وبالوسيلة والمقام المحمود يوم
الجزاء وزد مثل امته اجتماعا ما اجتمع الكل مع الاجزاء اللهم
يا من وجب وجوده لذاته وعم جميع خلقه انعامه
وجوده صل وسلم على من اكرمتنا بجواره واسكنتنا
بفضلك في ظلال سرحة داره ما بين روضة غناء
وفيضة حسناء ومنازل باهية باهرة ومناره زاهية
زاهرة وجيرة قد شقوا حصا الشقاق وتراضعوا
افاويق الوفاق • ومن احسن ما [illegible]
من [illegible] اثر الغيث سيدهم • مثل الغدير الذي يسري بها السارية
والحمد لله الذي بامره جرى القلم على منوال ما اقتضته
الحكم وعمهم بكرمه جميع اله واصحابه ومواليه
واحزابه والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين
اصطفى وحسبنا الله ونعم الوكيل [illegible]

المولف

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



صورة صفحة الغلاف من النسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

وربك يخلق ما يشاء ويختار، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون. وربك خير مما يجمعون. الحمد لله الذي حبب الينا المدينة، وجعلها من افضل البقاع الارضية من جوار

هذا النبي الامين في حسن جمع شرفي المكان والمكين احمده على ان خصنا بملازمة بابه والوقوف على اعتابه

ان الكلام منه، وان من شيم الابي تجنبه، والمكان الم اجتمع بجنابه، امرها ابوابه فاسلم واشكره على نعمة حمد من علم

الجوار، وجار الدار احق بدار الجار، وللجار محسوب على جيرانه، جار الكريم مسامح من ذنبه واشهد

ان سيدنا وسندنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه المبعوث باشرف الاديان واكمل الملل، النبي المرسل الكريم

المفضل المنادى في الازل يا محمد قد اصطفيناك في الكتاب الاول فاعظم قدرا لهي عيننا يا فضل، اذ من

دونه تحت لوائك يوم الارض تبدل، لك الشفاعة واللواء والحوض، وكل من الانبياء يستغيث لنفسه

ويسال فيما [illegible] من توسل به ونادى الشفاعة يا من عليه في الشفاعة المعول، الشفاعة يا من

يستغيث به المكروب اذا ضاقت به الحيل، الشفاعة يا من قال له جبريل عليه السلام هانت وربك

تدنا وتدلل والصلوة والسلام على من ابرز من خدور الغيب شموس معاني عباراته الزاخره، واطلع

من افق المثاني اقمار لطايف اشاراته الفاخره، اللهم انا نستوهبك صيب صلواتك، وطيب

تسليماتك، لهذا السيد الذي زينت سماء معجزاته بكواكب خطابك الثاقب ونشرت مناشير بيناته

في افاق المشارق والمغارب، ولموازريه الذين نشروا اثيل اعلامه ونظموا قواعده صلوة تكون لنا صلة

وباجل العوايد عايده، اللهم صل وسلم عليه وعلى اخوانه الانبياء والمرسلين، واله واصحابه والتابعين

لهم باحسان الى يوم الدين، اما بعد فلما كانت المدينة الشريفة مسقط راسي، ورياضها الاريضة

منبت غراسي، بلاد بها نيطت على تمامي، واول ارض مس جلدي ترابها فلا برحت تزهو على الافاق

بابهاء ولا زال يهي في الرياض سمابها، وكيف لا وهي مهابط الوحي ومنازل النبوة، ومساقط الكرم

ومغارس الفتوه، ومنازه النفوس والخواطر، والرياض الحسنا، بل الروضة الغنا، باكرتها

المواطر، بلدة ما رايتها قبل الا، قلت هذي ارضي ومسقط راسي، لست اشكو بها من الوحشة الا

انني لا ازال الخجل اسي، بذل الجميع السماحة ودا، وهو منهم يزيد في ايناسي

فنهاري

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ب)

ومنها المقام الاسنى شعر

ارض مشى جبريل في عرصاتها والله شرف ارضها وسماها
ارض سمت بمحمد وباله والله رب العرش قد اسماها

اللهم اغننا في التمسك باهداب الاداب عن خبط باطل نعتمد حياله او ولا توجه قلوبنا شطر ما ينطبع في مرآتها صور الاشياء كما هي ولا تغترنا بمقال الامثال فيه المنازعة ومجال تتحمل له الاعتذارة وصل وسلم على رسولك الذي الزمت ربقة دينه الرقاب وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب وجازه بقبول الشفاعة وبالوسيلة والمقام المحمود يوم الجزاء وزد شمل امته اجتماعا ما اجتمع الكل من الاجزاء اللهم يا من وجب لذاته وجوده وعم جميع خلقه انعامه وجوده صل وسلم على من اكرمتنا بجواره واسكنتنا بفضلك في ظلال سرحة دياره ما بين روضة غناء وغيضة حسناء ومنازل باهية باهرة ومنازه زاهية زاهرة وجيرة قد شقوا عصا الشقاق وتراضعوا افاويق الوفاق

من الذي منهم اقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وعم بكرمك جميع آله واصحابه ومؤازريه واحزابه والحمد لله الذي بامره جرى القلم على منوال ما اقتضته الحكمة وسلام على عباده الذين اصطفى وحسبنا الله وكفى فرغ من تبييض هذا المسطور مؤلفه الفقير الى رحمة ربه الغني محمد كبريت الحسيني المدني في اواخر شهر ربيع الآخر وتمت كتابة هذه النسخة في [illegible] تاريخه سنة ثمان واربعين والف

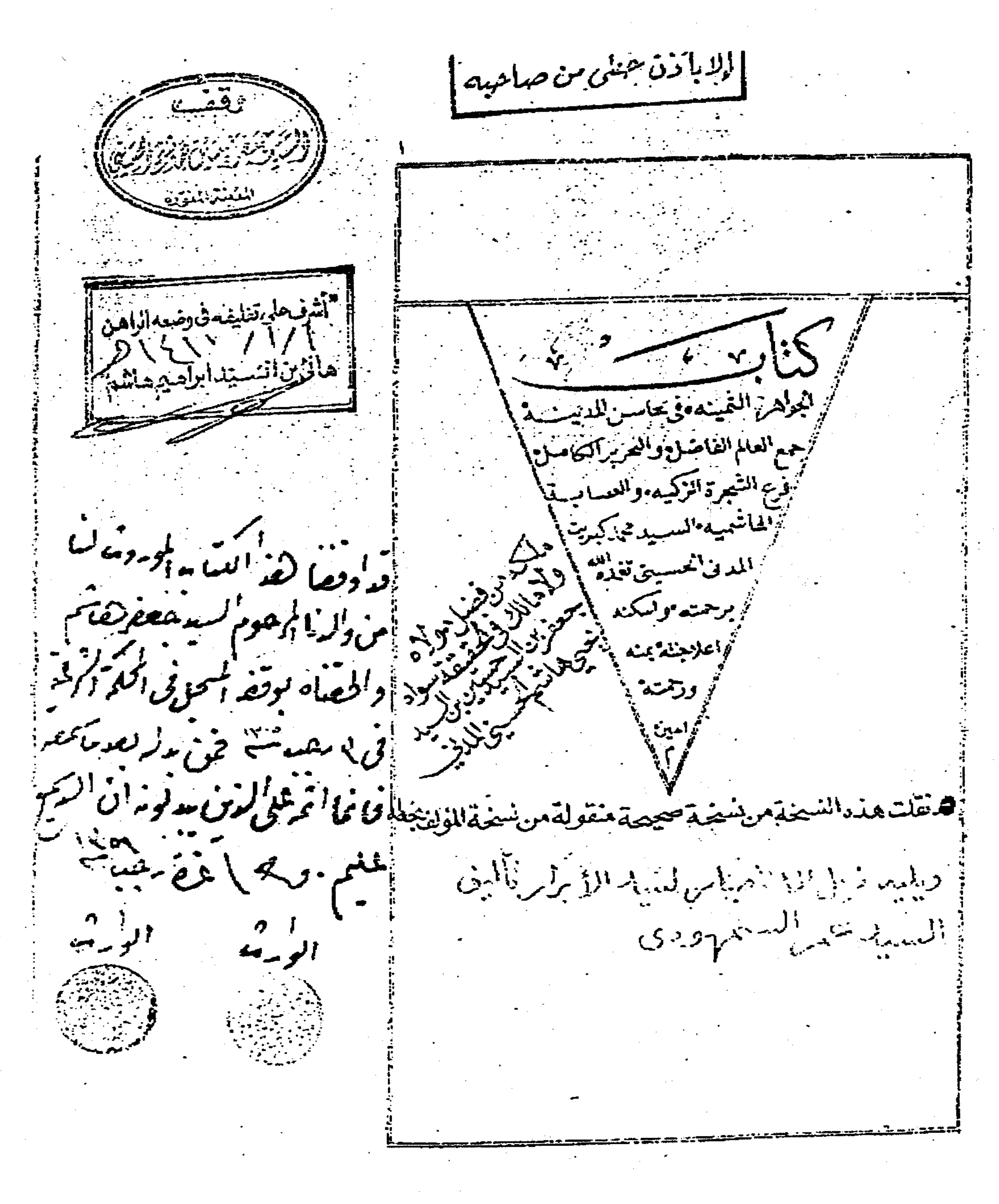
روض من الاداب فاح عبيره ولورد سلسال العلوم غديره
لله در مؤلف شهدت له اوضاعه ان لا يشاهد نظيره
خبر كذا اثر وتاريخ كذا فقه ونص تلوه تفسيره
ولطالب الاداب فيه ما يشا نظم ونثر قد حلا تقريره
جمع المحاسن للمشوق وحسبه تذكارهم للفتى تبصيره
ومآله يفنى ويبلى رسمه وعلى المدى تعفو كذاك سطوره

قد تمت هذا الكتاب المنيف بعون الله الملك اللطيف في شهر رمضان المبارك في سنة سبع ومائتين والف

وما الناس الا شامت ومداهن وذو حسد او مسعد او ممانع
فلا تطرح خوف المقال ما ربا فان الذي تخشاه من ذاك واقع
مداراة الناس صدقة ولا بد من ذلك

١٠٤٨

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)



صورة ورقة الغلاف من النسخة (ج)



من خدر الغيب شموس معاني عباراته الزاخره • واطلع من افق المثاني
اقمار اشاراته الناخره • اللهم انا نستوهبك صيب صلواتك • وطيب
تسليماتك • لهذا السيد الذي زينت سماء معجزاته بكواكب خطابك
الثاقب • ونشرت مناشير بيناته في افاق المشارق والمغارب • ولموازريه
الذين نشروا اشمل اعدائه • ونظموا قواعده • صلاة تكون لنا صلة وباجمل
العوائد عائده • اللهم صل وسلم عليه وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين
واله واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين • اما بعد فلما كانت
المدينة الشريفة مسقط راسي • ورياضها الوريفة منبت غراسي

بلاد بها نيطت علي تمائمي ... واول ارض مس جلدي ترابها
فلا برحت تزهو على الافق بابها ... ولا زال تهمي في الرياض سحابها

وكيف لا وهي مهابط الوحي ومنازل النبوه • ومساقط الكرم ومغارس
الفتوه • ومنازه النفوس والخواطر • ورياض الحسان الروضة الغناء بكرة

بلدة ما رايتها قط الا ... قلت هذي ارضي ومسقط راسي
لست اشكو بها من العيش الا ... انني لا ازال في جلاسي
بذلوا لي مع السماحة ودا ... وهو منهم يزيد في ايناسي
فنهاري في حرز طه مقيم ... ومسائي ما بين ورد وآس
يا خليلي من دون كل خليل ... وانيسي من دون اهلي وناسي
بلغ المصطفى بها من سلام ... وثناء معطر الانفاس
فهو سؤلي من الانام جميعا ... طوق جيد امنيتي تاج راسي
لا تحيل الايام صدق ولائي ... واعتقادي في طيب اصل غراسي
فعلى كل من يحل بناديـ ... ـه وجميع الرفاق والجلاس
من اله الانام الف والف ... من سلام نام بغير قياس

ولقد جاء في الاثر عن سيد البشر • حب الوطن من الايمان • ومن المحبة
نشر المحاسن • والتشبيب بذكر الاماكن •

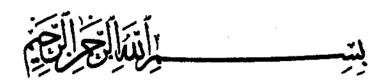
اعد ذكر من حل الغضا يا معيدي ... اوان اعصر مودة بالاصائل والصد

صورة الورقة الأولى من النسخة (ج)

نص كتاب

«الجواهر الثمينة في محاسن المدينة»

مقدمة المؤلف



ورحمة ربك خيرٌ مما يجمعون

الحمد لله الذي حبّب إلينا المدينة، وجعلها من أفضل البقاع الأمينة، فنحن في جوار هذا النبي الأمين في حصن جمع بين شرفي المكان والمكين.

أحمده على أن خصّنا بملازمة بابه، والوقوف على أعتابه، حمد من علم أن الكل من عنده، وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

وإني إذا لم أجتمع بجنابه ... أمرّ على أبوابه فأسلم

وأشكره على نعمة الجوار، وجار الدار أحق بدار الجار.

والجار محسوب على جيرانه ... جار الكريم مسامح من ذنبه

وأشهد أن سيدنا وسندنا محمد عبده، ورسوله، وحبيبه، وخليله، المبعوث بأشرف الأديان، وأكمل الملل، النبي المرسل الكريم المفضل، المنادى في الأزل:

«يا محمد قد اصطفيناك في الكتاب الأول، فما أعظم قدرك عندنا، وأفضل».

آدم فمن دونه تحت لوائك يوم الأرض تبدل، لك الشفاعة،

واللواء، والحوض، وكل من الأنبياء يستغيث لنفسه ويسأل، فما أسعد من توسل به، ونادى الشفاعة، يا من عليه في الشفاعة المعول، الشفاعة يا من يستغيث به المكروب إذا ضاقت به الحيل، الشفاعة يا من قال له جبريل عليه السلام: ها أنت وربك، فدنا، وتدلل.

والصلاة والسلام على من أبرز من خدر الغيب شموس معاني عباراته الزاخرة، وأطلع من أفق المثاني أقمار لطائف إشارته الفاخرة.

اللهم إنا نستوهبك صيب صلواتك، وطيب تسليماتك لهذا السيد الذي زينت سماء معجزاته بكواكب خطابك الثاقب، ونشرت مناشير بيناته في آفاق المشارق والمغارب، ولمؤازريه الذين نثروا شمل أعدائه، ونظموا قواعده.

صلاة تكون لنا صلة، وبأجمل العوايد عايدة، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبب تأليف الكتاب:

أما بعد: فلما كانت المدينة الشريفة مسقط رأسي، ورياضها الوريفة منبت غراسي.

بـلاد بهـا نيطـت علـي تمـائمـي ... وأول أرض مس جلدي ترابها
فلا برحت تزهو على الأفق بابها ... ولا زال يهمي في الرياض سحابها

وكيف لا؟ وهي مهابط الوحي، ومنازل النبوة، ومساقط الكرم، ومغارس الفتوة، ومنازه النفوس والخواطر، والرياض الحسنى، بل الروضة الغناء بكرتها المواطر.

بلـــدة مـــا رأيتهـــا قـــط إلا ... قلت هذي أرضي ومسقط راسي
لست أشكو بها من العيش إلا ... أننـــي لا أزال فـــي جـــلاســـي
بذلوا لي من السماحة وما ود ... وهـو منهـم يـزيـد فـي إينـاسـي

فنهاري في حرز طه مقيم ومسائي ما بين ورد وآسِ
يا خليلي من دون كل خليل وأنيسي من دون أهلي وناسي
بلغ المصطفى بها من سلام وثناء معطر الأنفاسِ
فهو سؤلي من الأنام جميعاً طوق جيدي أمنيتي تاج راسي
لا تحيل الأيام صدق ولائي واعتقادي في طيب أصل غراسي
فعلى كل من يحل بناديه وجمع الرفاق والجلاسِ
من إله الأنام ألف ألف من سلام نام بغير قياس

ولقد جاء في الأثر عن سيد البشر: «حب الوطن من الإيمان» ومن المحبة نشر المحاسن، والتشبيب بذكر الأماكن.

أعد ذكر من حل الغضا يا معذبي وإن أضرموا بالأضالع والصدر
ولا تنسَ سكان العقيق وإنهم على وجنتي أجروه في مدة الهجر

خطر ببالي، ولاح في خيالي أن أذكر بعض محاسنها، وأتعرض لذكر بعض أماكنها، وأشبب باللوى والعقيق، والنقا، والفريق.

طور يماني إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعدنان

منهج المؤلف:

وقد بدا لي أن يكون هذا المجموع البديع وصفه، والمنيع جمعه مبنياً على مقالتين وخاتمة، ومن الله تعالى المسؤول حسن الخاتمة، فإذا تجلت شموسه انجلت عروسه.

اسم الكتاب:

وسميته: «الجواهر الثمينة في محاسن المدينة» وبالله التوفيق.

محاسن تهدي المادحين لوصفها فيحسن فيها منهم النثر والنظم

وإذا نفحته نوافح القبول من حضرة السيد الرسول، وعوذت

محاسن هذه الرسالة بالمرسلات[1]، وأرتشف من زهر منثورها المطلول قطر النبات، فالأولى بها حيث اشتملت على أخبار ديار المصطفى، وهو في الحقيقة حبيب القلوب على الإطلاق، وأنبأت عن آثار أزهار مآثر النبوة، والصفاء، ولا غرو أن تتأرج بهذه الأنفاس المدينة أرجاء الآفاق.

كـرر حـديثـك مخطئـاً ومصيبـا   إن كـان عهـدك بـالـديـار قـريبـا
فلقد رجعت إلى القلوب بروح ما   حـدثـت أرواحنـا لنـا وقلـوبنـا

إن تلحظها عيون العناية الرحمانية، وتشملها سوابق الرعايا الصمدانية، فتندرج في خزائن الملك المؤيد بالسعد، فلا برح قائد اهتمامه المسدد بالتوفيق إلى أقوم طريق، فلا زال رفيقه في رحيله، ومقامه.

أو كما قال:

ملك كأن الشمس ضوء جبينه   متهلـل الإمسـاء والإصبـاح
وإذا حللـت ببـابـه ورواقـه   فـانـزل بسعـد وارتحـل بنجـاح

وقال أيضاً:

ملـك إذا عـاينـتُ نـور جبينـه   فـارقتـهُ والنـور فـوق جبينـي
ولو التثمتُ يمينه وبرزت من   أبـوابـه لثـم الأنـام يمينـي

أعظم من تفخر الأساطين بتقبيل أعتابه، وتتباهى السلاطين بخدمة أبوابه، أكرم من أنام الأنام في ظل عدله، وأحيا ميت الإعدام بوافر إحسانه، وفضله، مظهر آيات الألطاف الربانية، مصدر أنوار العنايات الرحمانية، مطرح أزهار الملكوتية، مطمح الأنظار اللاهوتية، باسط بساط العدل والإنصاف، هادم أساس الجور والاعتساف، ناصر

---

(١) أي: سورة المرسلات.

الشريعة القويمة، مالك المسالك المستقيمة، ظل الله تعالى الوريف، الممتد على القوي والضعيف، صاحب القران السعيد، وإسكندر الزمان المديد؛ الذي أجار الأنام من جور الأيام، وأسبل على الأمة سوابغ الكرم والنعمة، واستقامت له الأقاليم بأقلامه، وأمنت الأيامى في أيامه، ناشر ألوية العدالة والأمان، الممتثل لنص: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

نادى به الملك حتى قيل ذا مَلَك دنا به العدل حتى قيل ذا بشر
سقى به الله دنيانا فأخصبها والعدل يفعل ما لا يفعل المطر

هو مولانا السلطان الأعظم، والخاقان المكرم، صاحب البند والعلم، والسيف والقلم، سلطان البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، السلطان ابن السلطان، الملك، المظفر، المنصور، المعان، مولانا السلطان مراد خان[1] ابن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد الغازي بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان خان، عليهم الرحمة والرضوان.

أولئك الناس إن عُدوا وإن ذكروا ومن سواهم فلغو غير معدود
لـو خلـد الله ذا عـز لعـزتـه كـانـوا أحـق بتعميـر وتخليـد

اللهم أيد الإسلام وأعلِ كلمة الإيمان بدوام دولة هذا الملك[2]؛

---

(١) حكم بين عامي (١٠٣٣هـ/ ١٠٤٩هـ).

(٢) سقطت الخلافة العثمانية على أيدي الاتحاديين في أعقاب الحرب العالمية =

الذي أقيمت بدولته شعائر الدين، وأخمدت بصولته نار الملحدين، وعمرت بأيامه البسيطة، وجعلت ملائكة النصر برايته محيطة.

اللهم اجعل فروع دولته في أيامه الزاهية الزاهرة يانعة، وبهجتها فوق مطالع البدور الباهية الباهرة طالعة، وزدْ في شأنه عظمة، وعلواً، واجعل الجوزاء دون منازل مقداره عزاً، وسمواً. ما دامت خيول عزمه في ميادين الظفر سابقة، ورياض هممه بغيوث كرمه ناضرة، باسقة، وهمته العلياء في البأس والندى، وفي الفضل لم تبرح مدى الدهر فائقة، فإن براعة استهلاله ـ زاد الله تعالى في إجلاله ـ براعة أولى ببديع نظامه، ولم تتخلص في الحقيقة إلى مديح غيره، ولا تكلمت إلا بحسن ختامه، وحيث كانت الثريا أقرب تناولاً من ذلك المرام كما تقضي بصدق هذه الدعوى عز شرف المقام.

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريبٌ ولكن دون ذلك أهوال

وكان يقال: «تمني العلا سهلٌ، وإداركه صعب»، ومن تجاوز حده تعرض بجمعه للخطب، وكان يقال: أين الماء من السماء، وأين موقع السيل من مطلع سهيل؟ أين ورقاء العرش من عنقاء الفرش، أين من فلك المعاني من فلك الصور، وأين من بحر اللآلىء من بحر الفكر، أين مطلع صباح البصائر من مطلع صباح الإبصار، هذا أفق يتعاقب فيه شمس وقمر، وذاك أفق كله شموس وأقمار.

ودون رسم الديار حد سيوف مانع من دنا لسجف خباء
لا تخافوا لو دنوت إليها أحرقتني أشعة الأضواء

وبالجملة: فما مزية التقرب إلى ابن داود برجل الجراد، والتشخب على البحور بأوشال الثمار؟ وكيف أعرض على روح القدس وحياً،

= الأولى، وقد خلع آخر السلاطين السلطان عبد المجيد بن عبد العزيز عام (١٩٢٤م).

وأجلب إلى صنعاء اليمن وشياً؟ أم كيف أخلع رِبقة النهى، وأقابل بين البدر والسهى؟

أين الهباء من البهاء؟ وأين الأغبياء من النبهاء؟ وحيث وقفت الأماني دون تلك المآرب لعزة هاتيك المطالب.

وقلت لأصحابي هي الشمس ضوؤها قريب ولكن في تناولها بُعد

فلتكن خدمة لخزانة مولى، لا زالت عتبته العلية كعبة فضل يعول عليها، وسدته السنية مدينة علم يهاجر إليها، ولا برحت وفود العلماء عاكفة بناديه، وألسنة الرجاء من آفاق الثناء تناديه؛ بسلام فواتح أشواقه أنضر من بهيج الأزهار، وفواتح أوراقه أعطر من أريج الأسحار، مشفوعاً بدعاء يقرع أبواب الإجابة بأنامل الرجاء، وثناء يملأ بطيب أرجه سائر الأرجاء.

أبلج لا يخجل راجي فضله ولا يرى الوصمة في سؤاله
أكفه على العطا قد طبعت والطبع لا يطمع في انتقاله
سلني به يا من يساميه أقل هذا مجال لست من رجاله

هو مولانا، وأحد العلماء، وماجد العظماء، ابن عباس العلوم، محرر المنطوق والمفهوم، إياس القضاء ذكاء وإفادة، وأويس[(١)] الزمان عفة وزهادة، مجمع المفاخر والألقاب الفواخر، المحقق دعوى: كم ترك الأول للآخر!

سل عنه، وانطق به، وانظر إليه تجده ملء المسامع والأفواه والمقل، أكرم به من قاضٍ تشرفت بأحكامه الشريفة مصر المحروسة، وما والاها، واستوفى المستحق بها من ذمة الزمان ديونه إذ تولاها، فللّه أنداد نعمه، ومداد قلمه إذ لم يشكل أمرٌ إلا أزاله برؤوس أنامل

(١) يعني: أويساً القرني التابعي الورع.

إبهامه، ورد الضالة بحسن تدبيره إلى أهلها، وزودهم بالكرامة إنعامه، وكيف لا؟! وهو القائل فيه بعض واصفيه:

هينئاً لمصر إذ حوت قاضياً حوى   كمالاً على تفضيله انعقد النص
فلو ملئت كتب النحـــاة بنعتــه   لما جاز أن يجري على نعته النقص

فهو الغني عن الإطناب بالألقاب، والمستغني بأوصافه الحسان عن ترجمان البيان، المحظوظ، الملحوظ بعناية المعيد المبدي، مولانا شعبان أفندي، لا زال الصدر المعالي بمكانه في انشراح، وفوائد وقلائد معاليه في أبهى وشاح، ولا برح الزمان ينفذ ما صدر من قضائه، وحكمه، والله تعالى يزيده بسطة في علمه، وجسمه، مصيباً به الأغراض في مرام المرام، محسناً مطابقته في النقض والإبرام.

فإنه أعز الله تعالى ذاته وأطال، وأطاب حياته، لا جملة من إخباره إلا ولها محل من الإعراب عن المقصد الجليل، ولا ضمير إلا هو في اعتقادي على النحو القديم، والرأي الجميل. وما ألطف ما قال:

فـلا زال ميمــون اليميــن بهمــة   تعلمنــا بــالفعــل كيــف نقــول

هذا، ولما كان من لازم من تمسك بأهداب الآداب اطلاع مواليهم على محاسن ما يستطاب، ولا زالت السنة طارئة، والعادة جارية بإهداء النفائس إلى النفيس من المرؤوس إلى الرئيس.

وأحسن ما يهدى إلى المرء ماله   إليه ارتياح وهو ذكر الحبائب

الإهـــداء:

ولم تزل الفضلاء في كل مكان وزمان، والنبلاء في كل عصر وأوان، يتقربون إلى خواطر مخاديمهم بأحسن ما يؤلفون، وأبدع ما يصنفون، فلا غرو في إهداء هذا الوضع البديع، إلى ذلك الجناب المنيع، فإن لكل جديد بهجة، ولكل ناطق لهجة، والجزء كل عند الكريم، والقليل جليل مع ملاحظة التعظيم، وإن كنت في ذلك كمن

أهدى الزهر إلى غصنه، والقطر إلى مزنه.

والبحر يمطره السحاب وماله مـنّ عليـه لأنـه مـن مـائـه

هذا، ولقد عرضت حكمة على لقمان، وأهديت جرادة إلى حضرة السيد سليمان. قال بعضهم في صدر كتاب له: ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه، وتعضد الشكر وتساعفه، أحببت أن أهدي إليه هدية فائقة، تكون في سوق فضائله نافقة، فلم أجد إلا العلم الذي شغفه حباً، والحِكم التي لم يزل بها صباً، والأدب الذي أتخذه كسباً، ورأيت فإذا التصانيف في كل فنّ لا تحصى، والإملاء من سطور العلماء، وطروس الحكماء أوسع دائرة من أن تستقصى، إلا أن التأنق في التحبير من قبيل أبرز الحقائق في الصور، ولكل جديد لذة، ولا خلاف في ذلك عند أهل النظر.

ما كل من حمل اليراع بكاتب خطـاً يبـاري بهجـة وبيـانـا
أخذ العصا بالكف ليس بمعجز الشـأن فـي تحـويلهـا ثعبـانـا

وكان يقال: الوضع وضعان[1]، وضع له افتخار، ووضع له تجار، وحسن التأليف مواهب، وللناس فيما يعشقون مذاهب، ومعلوم أن الجنون فنون، وكل حزب بما لديهم فرحون.

وقد يلام الفتى في الشيء يصنعه وليـس يلحقـه لـوم إذا تـركـه

هذا مع اعترافي بأني في فنون الذوق قليل البضاعة، وفي شجون الشوق كليل الصناعة، ولكن دأبي التقاط درر العبارات من حياض العلماء، وديدني أخذ غرر الإشارات من غياض الحكماء، فهو لسان إخوان الصفا لا لساني، وبيان خلاصة الوفا لا بياني.

كمـن يحـدو وليـس لـه بعيـر ومـن يـرعـى وليس لـه سـوام

---

(١) يعني التأليف.

ومـن يسقـي وقهـوتـه شـراب ومن يدعو الضيوف ولا طعام

وبالجملة: فإن المرء ما بين هاج ومادح، ومنتصر وقادح.

على أنني لم أخل من حاسد ومن عـدو ولكنـي لـه بـاسـط العـذر

وهذه بنات فكر عاجز، وبنيات ذهن بينه وبين المعاني حاجز، قد ترهبت إما من الكساد فلبست من المدار مِسحاً، أو من الوجل فجاءت تمشي على استحياء صفحاً، وقد أطاع القول على هذا العذر المنصوص، وأبث كؤوس المعاني إلا أن ترقص بما فيها رقص القلوص.

سقوني وقالوا لا تغنِّ ولو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنت

ومن وقف على تحقيق هذا الكلام أنشد في تصديق هذه الدعوة إذا قالت حذام[1] وإن كنت فيما أعاينه أتعوض عن الجوهر بالخرز، وأكتفي عن المعاني الجليلة بما هو سداد من عوزه، لكنني ممن يعرف الدر ولا يملكه، وينقل التبر وإن لم يسبكه.

ولقد جاء بعناية الله تعالى ونظرته السعيدة نزهة للنظر، هذا وإن السعادة كما يقال لتلحظ الحجر.

فكـأنهـم مـن حسـن رقـة لفظـه ذكـرى حبيـب فـاق كـل حبيـب

مـا شيـق إلا صـريـع عنـده ولشعـره يشتـاق كـل لبيـب

فليكفني كتاباً بسببه ذكره الشريف يؤرخ، وكافور القرطاس بغالية أوصفه في معناه، ويُضمخ.

مـا تنسـج الأيـدي يبيـد وإنمـا يبقـى لنـا مـا تنسـخ الأقـلام

فقد سارت شفاه الليالي بقاياه، وأخلفت بواسق النخيل واوياه،

---

(١) كأنه يعني قول الشاعر:

إذا قـالـت حـذام فصـدقـوهـا فـإن القـول مـا قـالـت حـذام

وعلى رفيق خزامى بادية العربية في غضاضة دولة الإسلام، وإقبالهم على الوردة الفارسية في حدائق الكلام، مآرب تغذي الروح، وتهز العطف المروح، أفدتها من المستجن بطيبة طيباً، فشدت بها أيكة النطق على متن اللسان رطيباً.

وإني على ما في من حضرية يعجبني ظل الحنا المشرع

وقد استقرت العزيمة على الاكتفاء بغيض من فيض، وطلّ من وبل، ونهر من بحر، إذ كل كثير عدو للطبيعة، وراكب سهوب الإسهاب مستهدف للوقيعة، وإنما يحمد المرء في اختصار القيل، وإلغاء القول النقيل، وأوجزت جمعي وفي الإيجاز فائدة، وللكرام من التطويل تصديع، على أني لا أزعم أنه جمع سلامة، ولا أدعي أنه صنيع فاضل يستحسنه النبيه، والعلامة، ولا فحوى البلاغة من بعد لم ينقطع وسلوك طريق الإيجاز أصلاً، وراء سالم يمتنع، ومن لي بخلو البال، واستقامة الحال، ومعاضدة الزمن الغشوم بانتفاء الهموم والشواغل، ومساعدة القدر بكف أذى اللئام، والأراذل، فآخذ في مصنوع الكلام، وأثني على ذلك المقام، وكيف تصفو القريحة وصفاء الوقت تكدره، وسيل المحن من أعلى الروابي تحدره. مع أني في زمن تشابه فيه الضاحك والباكي، وقل به الشاكر، وكثر الشاكي، وفيما دفعت إليه من المضائق، وحال دون آمالي من العوائق، ما يرتج به الكلام على الفصيح، ويشتبه الصواب على الحازم المشيح.

وما أصدق ما قال:

إذا كان عون الله للمرء قائداً تهيأ له من غير سعي مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده
وإن اعترافي بالتأخر حيث لا يقدمني فضل أجل وأرفع

وكأني بالحواسد والعذال نسبوني في ذلك إلى المحال، وقائل

قائلهم: مادح نفسه يقرئك السلام. فأقول: نعم يهدي من التحية والثناء ما تتأرج به الرياض باكرتها الغمام، والله الموفق للسداد، وعلى كرمه التعويل، وبواسطة لطفه التأميل.

تعريف المدينة لغة واصطلاحاً:

المدينة من مَدَنَ بالمكان: أقام، أو: من دان؛ إذا أطاع، فالميم زائدة، وذلك لأن السلطان يسكن المدن، فتقام له طاعة فيها، أو لأن الله تعالى يطاع فيها، أو لأنه عليه الصلاة والسلام سكنها، فدانت له الأمم، وهي أبيات مجتمعة يجاوز حد القرى كثرة، وعمارة، ولم تبلغ حد الأمصار. وقيل: يقال لكل مصر مدينة، والمدينة علم على طابة، مهاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، بحيث إذا أطلق هذا اللفظ لا يصرف إلا إليها، والنسبة إليها: مدني، وإلى غيرها من المدن: مديني، للفرق. كذا في الوفاء[١].

والمدينة من الإقليم الثاني، وهو حيث يكون طول النهار الأطول ثلاث عشرة ساعة ونصف الساعة، ويرتفع القطب الشمالي فيه مقدار أربعة وعشرين جزءاً وعشر الجزء، ومساحة هذا الإقليم: أربعمئة ميل، وفيه سبعة عشر جبلاً، وسبعة عشر نهراً، وأربعمئة وخمسون مدينة. كذا في «الخطط» للمقريزي.

دورة[٢] كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل، وذلك عن ثمانية آلاف فرسخ، بحيث لو وضع جبل على نقطة الأرض، وأدير الميل على الكرة حتى انتهى الطرف الآخر إلى نقطة الابتداء، كانت مساحة

---

(١) وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى، للسمهودي (ج١/ ص٢٢) وما بعدها.
(٢) وكأنه يعني محيط الأرض. الفرسخ يساوي (٣) أميال. الميل يساوي (١٠٠٠) باع. الباع يساوي (٤) أذرع، بذراع اليد.

الجبل العدد المذكور، وكل درجة من درجات الفلك يقابلها من سطح الأرض ستة وستون ميلاً وثلثا الميل، كانت الجملة أربعة وعشرون ألف ميل، وهي ثمانية آلاف فرسخ.

وأعظم جبل على وجه الأرض ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ، ونسبة ارتفاعه إلى كرة الأرض سبع عشرة شعيرة إلى كرة قطرها ذراع، وغاية ما يرتفع الطير في الهواء اثني عشر فرسخاً، وتنقطع الكيفيات من وراء ثمانية عشر فرسخاً[1]، ولا يخلو وجه الأرض المعمور من الشمس في وقت أبداً، فالوقت الواحد يكون شروقاً عند قوم زوالاً عند غيرهم، غروباً عند آخرين.

وأصغر كوكب يرى من الثوابت كالسهى أكبر من زحل، وزحل مثل الأرض إحدى وتسعين مرة.

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته   والذنب للعين لا للنجم في الصغر

مسألـة:

إن قيل: تقرر في الشرع، وفي علم الهيئة أن الأراضين سبع كالسموات، فلم يذكر في الكتاب العزيز الأرض؟

الجواب:

إنه عليه وآله الصلاة والسلام رقى إلى السموات السبع فلتشريفها به ذكرت، أو لأن الانتفاع في أرض الدنيا فقط، بناء على أنها طبقات، ولم يتشرف به غيرها، وفي كتاب «المواهب اللدنية» قد جاء أن السموات تشرفت بموطىء قدميه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بل

---

(١) ويبدو أن بعد هذا الارتفاع ينعدم الأوكسجين فلا يتمكن الطير من الارتفاع فوق ذلك، على أن الإنسان في الوقت الحاضر قد صنع من الطائرات وسفن الفضاء ما وصل بواسطته إلى الكواكب الأخرى.

لو قال: إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء، لشرفها بكونه صلى الله عليه وعلى آله وسلم حالاً فيها لم يبعد، بل هو الظاهر المتعين، وحكاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها، ودفنهم فيها، لكن قال النووي: الجمهور على تفضيل السماء على الأرض ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة في حرم المدينة.

مسألـة:

هل للمدينة حرم كما لمكة أم لا؟

الجواب:

إنها ليست بحرم عندنا[١] والمراد من الوارد: الحرمة الحاصلة بتوطينه عليه وآله الصلاة والسلام إياها، ودفنه فيها عليه وآله الصلاة والسلام.

ومعنى حرمت: أي: وجبت حرمتها وحماها بإقامتي فيها، وصارت حمى محروساً من الآفات، كما ورد: «على كل ثقب منها ملك يحرسها» ولذا يصرف عنها الدجال، يؤيد أنه كان يوجد صغيراً بالمدينة، وكان عليه وآله الصلاة والسلام يقول له: «يا أبا عمير ما فعل النغير[٢]؟» فلو كانت كمكة ما جاز ذلك.

قال الملا علي قاري[٣] في «شرح لباب المناسك وعُباب المسالك» عند قوله: وإذا أردنا من حرم المدينة المشرفة، أي: حولها من الأماكن المحترمة، إذ لا حرم للمدينة عندنا كحرم مكة في أحكامها،

---

(١) إشارة إلى أن المؤلف حنفي (من تعليقات السيد جعفر هاشم).

(٢) هو أخو أنس بن مالك، والنغير: تصغير نغري، وهو طائر بري يشبه العصفور، ويعرف بالمدينة بالنغري، ويظهر بين النخيل أيام الرطب.

(٣) ملا علي قاري: ستأتي الترجمة له لاحقاً.

قلت: فيما ورد من الأحاديث في ذلك ما يقضي للمدينة بأنها حرم كمكة في أحكامها، وقد أطال الكلام على ذلك السيد السمهودي في تاريخه الوفاء، وأنشد عليه بعضهم:

إن المدينة لا أشك كمكة ... حرم ولكن بالنبي تفضل
فهي الأمان لخائف ولعاكف ... فيها معاش ليس فيه معضل

وفي الصحيح: «اللهم إن إبراهيم عليه السلام حرم مكة، وأنا حرمت ما بين لابتيها[1]» وعلى القول بأنها حرام فهي بريدٌ في بريد[2]، وذلك ما بين عير إلى ثور، وهذا بيان ما يحدها من الجنوب إلى الشمال، وهما مأزماها وما بين لابتيها، أي: حرتيها الشرقية والغربية.

ونظم ذلك من قال:

حرم المدينة حده فيما حكوا ... عيرٌ وثورٌ قبلة وشمالا
واللابتان تحده يا ذا النهى ... شرقاً وغرباً فاعتمده مقالا

مسألة[3]:

صح أنه ـ عليه وآله الصلاة والسلام ـ التفت إلى المدينة الشريفة وقال: «إن الله تعالى قد برأ هذه الجزيرة من الشرك»[4] قال بعضهم: قلت هنيئاً لأهلها فإنهم برءاء من الشرك بشهادته[5] وقال بعضهم: هذا الأثر بشرى لهم بتسميتها دار الأبرار، ودار الأخيار، والعاصمة، والمرحومة، والمرزوقة، والناجية، والمقدسة، والجابرة، ودار

---

(١) رواه مسلم.
(٢) والبريد = ٤ فراسخ، والفرسخ = ٣ أميال.
(٣) انظر الملحق رقم (١) في آخر البحث.
(٤) رواه البزار وأبو يعلى وغيرهما.
(٥) أي بدلالة هذا الحديث.

السلام، وهذه أسماء لم تزدها معرفة، وإنما لذة ذكرناها.

وبالجملة فإن فضل المدينة لا ينكر، ومحاسنها الغراء لا تحصى، ولا تحصر، وجيران صاحب الحوض والكوثر المغفور من ذنبه ما تقدم وما تأخر، على يقين إن شاء الله تعالى من السلامة في المعاد، وثقة بالكرامة في يوم يقوم الأشهاد.

وما أحسن ما قال:

تلك دار إن لم تكن هي ذات ... النفس مني فإنها مشتهاها
لو تمكنت أن أمضي بها العمر ... جميعاً لما قصدت سواها

وما أحسن ما قال الشيخ محمد البكري:

دار الحبيب أحق أن تهواها ... وتحن من طرب إلى ذكراها
وعلى الجفون متى هممت بزورة ... يا بن الكرام عليك أن تغشاها
فلأنت أنت إذا حللت بطيبة ... وظللت ترتع في ظلال رباها
مغنى الجمال مُنى الخواطر والتي ... سلبت عقول العاشقين جُلاها
لا تحسبن المسك الزكي كتربها ... هيهات أين المسك من ريّاها؟!
طابت فإن تبغي التطيب يا فتى ... فأدم على الساعات لثم ثراها
وأبشر ففي الخبر الصحيح مقرر ... إن الإله بطابة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها ... واختارها ودعا إلى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها ... شرفاً حلول محمد بفناها
حظيت بهجرة خير من وطىء الثرى ... وأجلهم قدراً فكيف تراها؟!
كل البلاد إذا ذكرن كأحرف ... في اسم المدينة لاخلت معناها
حاشا مسمى القدس فهي قريبة ... منها ومكة إنها إياها
لا فرق إلا إن ثمّ لطيبة ... مهما بدت يجلو الظلام سناها
جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكا مأواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة ... فغدت وكل الفضل في مغناها

حتى لقد خفيت بروضة جنة | الله شـرفها بها وحباها
مـا بيـن قبـر للنبـي ومنبـر | حبـا الإلـه رسـولـه وسقـاهـا
هذي محاسنها فهل من عاشق | كلـف شحيـح بـاخـلٍ بنـواهـا
إنـي لأرهـب مـن تـوقـع بينهـا | فيظـل قلبـي مـوجعـاً أواهـا
ولقلما ما أبصرت حال مودع | إلا رثـت نفسـي لـه وشجـاهـا
فلكـم أراكـم قـافليـن جمـاعـة | في إثـر أخـرى طـالبيـن سـواهـا
قسماً لقد أذكى فؤادي بينكم | نـاراً وفجـر مقلتـي أمـواهـا
إن كان أعجزكم ظلال فضيلة | فـالخيـر أجمعـه لـدى مثـواهـا
أو خفتـم ضـرراً بهـا فتـأمّلـوا | بـركـات بلغتهـا فمـا أزكـاهـا
أف لمـن يبغـي الكثيـر لشهـوة | ورفـاهـة لـم يـدرِ مـا عقبـاهـا
والعيش ما يكفي وليس هو الذي | يطغى النفوس وإلا خسيس مناها
يا رب أسال منك فضل قناعة | بيسيـرهـا وتجنبـاً حمـاهـا
ورضـاك عنـي دائمـاً ولـزومهـا | حتـى تـوافـي مهجتـي أخـراهـا
فإن الذي أعطيت نفسي سؤلها | وقبلـت دعـواهـا فيـا بشـراهـا
بجـوار أوفـى العـالميـن بـذمـة | وأعز مَن بالقرب منه يباهى
من جاء بالآيات والنور الذي | داوى القلوب من العمى فشفاها
أولى الأنام بخطة الشرف التي | يعطي الوسيلة خير من يعطاها
إنسان عين الكون سر وجوده | يسيـر أكسيـر المحـامـد طـه
حسبي فلست أفي بذكر صفاته | ولو أن لي عدد الحصى أفواها
كثرت محاسنه وأعجز حصرها | فغـدت ومـا تلقـى لهـا أشبـاهـا
إني اهتديت من الكتاب بآية | فعلمت أن علاه ليس بضياها
ورأيت فضل العالمين محدداً | وفضـائـل المختـار لا تتنـاهـى
كيف السبيل إلى تقصي مدح من | قـال الإلـه لـه وحسبـك جـاهـا

إن الــذيــن يُبــايعــونــك إنمــا	فيمــا نقــول يبــايعــون الله[1]
هذا الفخار فهل سمعت بمثله	واهــاً لنشــأتــه الكــريمــة واهــا
صلــوا عليــه وسلمــوا فبـذالكـم	تهدى النفوس لرشدها وعناها
صلـــى عليـــه الله غيـــر مقيـــد	وعليــه مــن بــركــاتــه أن مــاهــا
وعلى الأكابر أله سرج الهدى	أحبــب بعتــرتــه ومــن والاهــا
وكـذا السـلام عليـه ثـم عليهـم	وعلــى عصــابتــه التــي زكــاهــا
أعني الكرام أولي النهى أصحابه	فئة التقى ومن اهتدى بهداها
والحمــد لله الكــريــم وهــذه	نجــزت وظنــي أنــه يــرضــاهــا

□ □ □

(١) لقد ضمن الشاعر بيته قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

المقالة الأولى
فيما يتعلق بالمكان

الباب الأول:

فيما تميزت به المدينة عما سواها، وذكر بعض محاسنها التي يطرب لها المحب ويرضاها.

الباب الثاني:

فيما يتعلق بالحجرة المعطرة والمنبر الشريف، وذكر فضل الروضة والمسجد المنيف.

المقالة الأولى
فيما يتعلق بالمكان

ويشتمل على أبواب، هي بالقبول إن شاء الله تعالى مفتحة لأولي الألباب.

أبــواب إقبــال تفتــح بــالهنــا   أيـــام شعبـــان لهـــا أبـــان
قـال الـزمـان وقـد رأى إقبالهـا   يـــاليـــت دهـــري كلــه شعبـــان

الباب الأول: فيما تميزت به المدينة عما سواها، وذكر بعض محاسنها التي يطرب لها المحب ويرضاها

ولا أتعرض لحصر ألقابها، فيعترض دونها الحصر، بل كخصور الملاح لرشاقتها تختصره.

أملياني حديث من سكن الجزع   ولا تكتبـــاه إلا بـــــدمعـــــي
فـاتنـي أن أرى الـديـار بطـرفـي   فلعلـــي أرى الـــديـــار بسمعـــي

من أحسن محاسنها السنية: اشتمالها على البقعة التي انعقد الإجماع على تفضيلها على سائر البقاع، وإن كان صلوات الله

وتسليماته على فرعه وأصوله رُوح وجود الكائنات، وسر الموجود جليلة وجميلة.

لا تقل دارها بشرقي نجد ... كل نجد للعامرية دار
ولها منزل على كل ماءٍ ... وعلى كل دمنة آثار

وما أحسن ما قال:

أحن إليه وهو قلبي فهل ترى ... سواي أخاً وجد يحن لقلبه
ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري ... وما بُعده إلا لأفراط قربه

وقال آخر:

أمُرّ له وبه ومنه تعنيت ... أعياننا ووجودنا المتلبّس
وحقيقة طوت البعد فرامة ... نجد وليث الغاب ظبي العس
ووراء ذلك ولا أشير لأنه ... سر لسان النطق عنه أخرس

وقال:

وجود غيرك يأكل المنى عدم ... وأيّ غير وأنت الكل لو علموا
هام الورى بمعان فيك قد جمعت ... وكلهم لك عشاق وما فهموا

ومن محاسنها: أن سائر بلاد الإسلام افتتحت بالسيف، وافتتحت هي بالقرآن العظيم، وأنه يبعث منها أشرف هذه الأمة يوم القيامة، على ما نقله القاضي عياض في «المدارك» عن مالك.

ومن محاسنها: تحريكه عليه وآله الصلاة والسلام دابته عند قدومه إليها إذا أبصر منازلها، ودعاؤه لها بالبركة، وقوله: «سيروا فقد سبق المفردون».

ومن محاسنها: تأسيس مسجده على يده الكريمة، وكون ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، وإن ذلك يعم مسجده ولو اتصل

بصنعاء، وكون المنبر على ترعة من رياض الجنة[١].

وما أحسن ما قال أبو عبد الله الفيومي:

سكان طيبة أبلى الحب صبكمُ والشوق باق ليوم العرض في طول
تالله لم ينسه المقياس روضتكم ولا تسلى عن الزرقاء بالنيل

ومن محاسنها: أن ترابها شفاء من الجذام كما هو الوارد، وشفاء من كل داء[٢] بالتجربة الصادقة المعروفة عند السلف، والخلف.

وما أوقع ما قال:

ولو قيل للمجنون ليلى أحب أم جنان بها حور جلت نعم الخد
لقال غبار من تراب نعالها أحب إلى قلبي وأشهى من الخلد

فائدة:

ذكر علماء الخواص أن من قدم أرضاً، فأخذ من ترابها، فجعله في مائها، ثم شربه، عوفي من بلائها، وقيل: يستحب للمسافر أن يصحب معه تراب أرضه التي ولد فيها، فإذا قدم أرضاً أخرى جعل منه شيئاً في مائها، وشرب منه، فإنه يسلم من ضررها. وهو من المجرّبات.

ومن محاسنها: أن من أصابه عرضٌ، أو مرضٌ، وأقبل على الشباك الشريف متضرعاً مستغيثاً، لم يبرح حتى يفرج الله تعالى كربته[٣]، والناس في ذلك تتفاوت بحسب الاعتقاد، والاستعداد.

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناسٍ رأوه بالأبصار

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل وغيره، وفي نسخة (ب) (ج): ترعة في رياض الجنة، والأول أصح.

(٢) رواه الزبير بن بكار وغيره.

(٣) راجع الملحق رقم (٢) في آخر الكتاب حول الرد على هذا الموضوع.

وكان يقال: الفوائد في العقائد، وكان يقال: المنح في المواهب، والمواهب منح، ولذالك يفتح لشخص دون آخر من الأبواب ما لا يتطرق إليه سبب من الأسباب.

وكان يقال:

فمـــا كل عين بالجمـــال قريرةٌ ... ولا كل من نودي يجيب إذا دعي
فقل للعيون الرمد للشمس أعين ... سواك تراها في مغيب ومطلعِ

وكان يقال:

دنت بأناس عن تناء ديارهم ... وشـط بليلـى عـن دنـوّ مـزارهـا
وإنـا مقيمـان بمنعـرج اللـواء ... لا قرب من ليلى وهاتيك دارها

وقال آخر:

يقولون لي دار الأحبة قد دنت ... وأنـت كئيـب إن ذا لعجيـب
فقلـت ومـا نفعـي بـدار قـريبـة ... إذا لم يكن بين القلوب قريب

وأقول كما قال المتقدم:

هبوا أن ذاك الحسن عني محجب ... أليس برياه مرت نسمة الصبا
إذا رمت أن تبدي مصونات خدره ... فحدث بذاك الحي عن ذلك الخبا

وما أحسن ما قال:

وإنـي لمشتـاق إلـى أرض طيبـة ... وإن خانني بعد التفرق إخواني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها ... كحلت به من شدة الشوق أجفاني

وبالجملة فكل مقصور على شربة وذوقه الناتج عن حبه وشوقه، وكان يقال: لا يفتح أقفال الغيوب إلا من سلم من العيوب، وأما من عُري عن الكشف والشهود، واستنطاق ضمائر صحائف الوجود، فحرام عليه التفكر في الآثار الكونية، والأسرار اللدنية فليلزم لسان الاعتراض، ولا يبرز راعونات الأغراض، فإنه يخشى عليه سلب السابقة في عالم الأرواح، والخاتمة في عالم الأشباح.

وليرجع إلى نقص فطرته، وقصور باعه في ميدان حكمته، فلا يشهد حقيقة الكمال، ولا يظفر من أبكار المعاني بلذة الوصال، وليقل بلسان التسليم، وفوق كل ذي علم عليم.

قال ابن رافع راس في شذور الذهب:

وحظ العيون الرمد من نور وجهها لشدتها حظ العيون العوامش
فلا أخصبت إلا لذي الحلم والثقة ولا أجدبت إلا لأهل الفواحش

والحمد لله الذي أطلع من اجتباه من عباده الأبرار على خبايا الأسرار، وأسمع من ارتضاه من أصفيائه الأخيار من الغيب تغريد سواجع قضايا الأقدار، وأودع قلوبهم من جواهر المعرفة ما تختار منه عيون البصائر والأبصار، وأطمع نفوسهم في إحراز رموز كنوزها بيد الإظهار، من سجف حُجب الأستار؛ الذي قدر حكم أحكامه، وكل شيء عنده بمقدار، وبصّر من شاء لإكرامه بنور إلهامه فاستخرج غرائب الأسرار بثواقب الأفكار.

وصلى الله تعالى على سيدنا وسندنا محمد المصطفى المختار، ومؤازريه الأئمة الأطهار، صلاة متصفة بالاستمرار، متلوة آناء الليل وأطراف النهار.

قال العلامة ابن حجر في كتابه «الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم»:

حرام عند أرباب القلوب على كل قلب شغل بالإرادات الدينية، والشهوات الدنيوية، أن يصل إليه المدد النبوي، بل ربما يخشى عليه من الوقوف بين يديه صلى الله تعالى وسلم عليه. فيجب الاجتهاد في تصفية الجنان مع ملاحظة الاستمداد من سعة العفو عما لا وصول إليه، فإنه يمدّ كلّ بما يناسب حاله، ولا وصول إلى الحضرة الإلهية إلا من بابه.

كما قيل:

وأنــت بــاب الله أي امــرىء أتــاه مــن غيرك لا يــدخــل

إسعـاد وإمـداد:

يحكي القاضي شهاب الدين ابن خلكان[1] في ديوانه: أن الفقيه منصور التميمي أصابته مسغبة في سنة شديدة القحط، فرقي سطح داره ليلاً، ونادى بأعلى صوته:

الغيــاث الغيــاث يــا أحــرار نحـن خلجـانكـم وأنـت بحـار
إنمـا تحسـن المـؤاسـاة في الشـدة لا حين تــرخــص الأسعــار

قال: فأصبح على بابه مئة حمل من البُرّ. توفي الفقيه منصور الشافعي[2] سنة ست وثلاثمئة.

وما أحسن ما قال:

لا تحــزنــن ولا تخــف ودع التفكــر والأســف
الله عــودك الجميــل فقــسْ على مــاقــد سلــف

لوائح وفواتح:

حكي أن بعض الأمراء سمع عن رجل من أهل الله تعالى أنه قال: من رآني ضمنت له على الله الجنة، فقال الأمير: كيف ساغ لهذا الرجل أن يقول مثل هذا الكلام، مع أن رؤية أبي جهل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم تفده، فقال له بعضُ من سمعه: إنما أراد الشيخ بقوله: من رآني رؤية ولاية، وأبو جهل لو رأى النبي صلى الله عليه

---

(١) ابن خلكان: هو أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ) ولد بمدينة إربل، ثم رحل إلى حلب، ثم إلى دمشق، ثم إلى مصر، وتولى القضاء بها، وفيها ألّف كتابه «وفيات الأعيان» ثم تقلبت به الأحوال بين ومصر والشام، إلى أن مات بدمشق. جواهر الأدب (ص٤٦٥).

(٢) لعله منصور التميمي السالف الذكر، أو أنه منصور التميمي الشافعي.

وعلى آله وسلم رؤية نبوة لم تفته السعادة، على أنه قيل: تخفيف العذاب عمن شرف برؤيته.

يـا أرمـد العين قـم قبـالتـه ... فـداوِ بـاللّحـظ نحـوه رمـدك

فائدة:

رأيت في بعض التذاكر أن من أصابه الرمد يقف تجاه الحضرة الشريفة، وينشد هذين البيتين مرات، فإنه يزول رمده. قال: وقد أصابني الرمد مرة ففعلت كذلك، فزال ما اشتكيه، والبيتان هما هذان:

أنت الملاذُ وأنت الغوثُ للبشر ... مـن معجـزاتـك رد العين للنظـر

فـانظـر إليّ لعلي إن رأى فـرجـاً ... فبحـر جـودك يبري شـدة الضرر

وفي «الفوائد الشرجية» ما يقرأ أو يكتب للرمد قوله:

إذا مـا مقلتـي رمـدت فكحلي ... تـرب مـسّ نعـل أبي تـراب

هـو البـاكـي في المحـراب ليـلاً ... هو الضاحك في يوم الضراب[1]

ومما يكتب للرمد، وهو مروي عن ابن عجيل اليماني[2]:

يـا نظـري بيعقـوب أعيـذكمـا ... بمـا استعـاذ بـه إذ مسّه الكمـد

قميص يوسف إذ جاء البشير به ... بحق يوسف أذهب إليها الرمد

قال في «المواهب اللدنية»: أنبئتُ أن العلامة أبا عبد الله بن رمثد قال: لما قدمنا المدينة الشريفة سنة أربع وثمانين وستمئة، كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم، وكان أرمد العين، فلما وصلنا ذا الحليفة، نزلنا عن الأكوار، وقد قوي الشوق لقرب

---

(١) موضوع التداوي بتراب المدينة ورد فيه أحاديث: ترابها شفاء من البرص والجذام، ومن كل داء، والله أعلم.

(٢) يشير الشاعر إلى قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣].

المراد، ونزل وبادر إلى المشي على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظاماً لمن حلّ هاتيك الديار، فأحسّ بالشفاء، فأنشد لنفسه في وصف الحال، فقال:

ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب أعلاماً أثرن لنا الحبا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا ... شُفينا فلا بأساً تخف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها ... ومن بعدها عنا أدنيت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن حل فيها أن نلم بها ركبا
نسحّ سجال الدمع في عرصاته ... ونلثم من حب مواطئه التربا
وإن بقاي دونه لخسارة ... ولو أن كفي تملك الشرق والغربا
فيا عجباً ممن يحب بزعمه ... يقيم مع الدعوة ويستعمل الكذبا
وزلات مثلي لا تعد كثيرة ... وبُعدي عن المختار أعظمها ذنبا

ومن نبويات المواهب:

ألا مع البرق يغتدي ويروح ... أم النور من أرض الحجاز يلوح
أريح الصبا هبت بطيّب عرفهم ... أم الروض في وجه الصباح يفوح
إذا ريح ذاك الحي هبت فإنها ... حياة لمن يغدو لها ويروح
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت ... فللنور بين الواديين وضوح
فما هذه إلا ديار محمد ... وذاك سناها في البقاع صريح
وإلا فما للكرب هاج اشتياقهم ... فكل من الشوق الشديد يصيح
وأتت مطايا القوم حتى كأنها ... حمام على قضب الأراك تنوح
وقد مدت الأعناق شوقاً وطرفها ... إلى النور من تلك الديار يلوح
رأت دار من تهوى فزاد حنينها ... ومدمعها في الوجنتين سفوح
إذا العيس باحت بالغرام ولم تطق ... خفاء فما للصب ليس يبوح

قال في «المواهب»:

ولما قربنا من المدينة المنورة وأعلامها، وتدانينا من معاينة رباها

الكريمة، وآكامها، وانتشقنا عرف لطائف أزهارها، وبدت لنواظرنا بوارق أنوارها، وترادفت واردات المنح والعطايا، ونزل القوم عن المطايا، أنشدت متمثلاً:

أتيتــــك زائـــراً وودت أني ... جعلـت سـواد عينـي أمتطيـه
ومـالي لا أسير علـت المـآقـي ... إلى قبر رســول الله فيــه

ولما وقع بصري على القبر الشريف، والمسجد المنيف، فاضت من الفرح سوابق العبرات، حتى أصابت بعض الثرى، والجدرات.

وكان ما كان مما لست أذكره ... فظـن خيراً ولا تسـأل عـن الخبر

شعر فائق، وشعور موفق:

أيهـا المغـرم لمشـوق هنيئـاً ... ما أنا لولاك من لذيذ التلاقي
قـل لعينيـك يهمـلان سُـرورُاً ... طـال مـا أسعـداك يـوم الفـراق
أبـدل الـوجـد بـالسرور ابتهـاجـاً ... وجميـع الأشجـان والأشـواق
وأومـر العين أن تفيـض سجـالاً ... وتـوالي بـدمعهـا المهـراقِ
هــذه دراهــم وأنــت محــبّ ... مـا بقـاء الـدمـوع في الآمـاق؟!

وأنشد لنفسه أبو العباس أحمد بن محمد:

إذا ما حدا الحادي بأجمال يثرب ... فليـت المطـي فـوق خـدي تعنـق
فمـا عبـق الـريحـان إلا وتـربهـا ... أجل من الريحان طيباً وأعبق

ومن محاسنها: حديث: «من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاة كتبت له براءة من النار، وبراءة من العذاب، وبراءة من النفاق»[1].

ومنها: «أنه من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كانت بمنزلة

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل، وابنه عبد الله، والطبراني في الأوسط.

حجة»[1] وإن إتيان مسجد قباء يعدل عمرة[2]، وإن صيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها، وكذا سائر أفعال البر بها، وكل عبادة شرعت بالمدينة فهي بها أفضل منها بمكة.

ومنها: «أن ما بين منبره ومسجد المصلى روضة من رياض الجنة»[3] (وهذا جانب كبير من هذه البلدة المشرفة)[4].

ومنها: حثه عليه وعلى آله الصلاة والسلام على الموت بها، والوعد على ذلك بالشفاعة والشهادة[5].

وإني إذا أوعدته أو عدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وما أحسن ما قال:

(لست آسى على تفرق شملي ... غير قبري بأي أرض يكون)[6]

أبأرض البقيع تحت تراب ... فيه جدي ووالدي مدفون

بين قوم أعزة في حماهم ... ولهم عند ربهم تمكين

أم بأرض أخرى فياليت أني ... في سوى أرض طيبة لا أكون

تلك أرض لخاطري مثلي ليلى ... وفؤادي بحبها المجنون

وثراها لمقلتي أن تراها ... إثمد منه تستنير العيون

إن ظني بخالقي لجميل ... ليس في مثله تخيب الظنون

---

(١) رواه البخاري في تاريخه.

(٢) رواه الإمام أحمد، والبخاري في تاريخه، وغيرهما.

(٣) نص الحديث: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» رواه البزار.

(٤) انفردت بالعبارة النسخة (أ) (ج).

(٥) ونص الحديث: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل، فإني أشفع لمن مات بها» رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم.

(٦) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

ومن محاسنها: أن أهلها أول من يشفع لهم[١] مع الاختصاص بمزيد من الإكرام، وأنه يبعث الميت بها من الآمنين، وأنه يبعث من بقيعها سبعون ألفاً على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب، وتوكل ملائكة بمقبرة البقيع، كلما امتلأت أخذوا من أطرافها فكفؤوها في الجنة، ويبعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس[٢].

وما أصدق ما قال:

ألا أيها الباكي على ما يفوته — من الحظ في الدنيا جهلت وماتدري
على فوت حظ من جوارِ محمد — حقيق بأن تبكي إلى آخر الدهر
ستدري إذا قمنا وقد رفع اللواء — وأحمد هادينا إلى موقف الحشر
من الفائز المغبوط في يوم عرضه — أجار النبي المصطفى أم أخو للوفر

ومنها شفاعته، أو شهادته عليه وآله الصلاة والسلام لمن صبر على لأوائها وشدتها[٣]، ووجوب شفاعته لمن زاره بها[٤].

قمْ وزرْ حجرة الرسول ويممْ — كعبة الجود معدن الأسرار

---

(١) ونص الحديث: عن عبد الملك بن جعفر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «أول من أشفع له من أمتي: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الطائف» رواه البخاري في تاريخه.

(٢) ونص الحديث: عن المطلب بن حنطب عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يحشر من مقبرة المدينة ـ يعني: البقيع ـ سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر. .» الخ، رواه ابن شبة.

(٣) ونص الحديث: عن أسماء بنت عميس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا يصبر على لأواء المدينة، وشدتها أحد إلا كنت شفيعاً له أو شهيداً يوم القيامة» رواه الإمام أحمد وغيره.

(٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «من زار قبري، أو قال: زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً» رواه الإمام أحمد.

وإذا لم تجــد إليــه سبيــلاً   زر حمـاه بـالـوصـف والأخبـار

ومنها: اللعنة والوعيد الشديد لمن أخاف أهلها، أو ظلمهم[1]، وإن من أرادها وأهلها بسوء أذابه الله تعالى كما يذوب الملح[2]، وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «ما من مسلم يسلم عليه في شرق أو غرب إلا أنا وملائكة ربي ترد عليه السلام» فقيل له: فمال أهل المدينة؟ فقال: «وما يقال لكريم في جيرانه وجيرته، إن مما أمر به من حفظ الجوار، وحفظ الجار». قال بعضهم: تأكدت وصيته صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «حقيق على أمتي حفظ جيراني».

وقوله: «لا يزال جبريل يوصيني بالجار» ولم يخص جاراً دون جار، وفهم منه أن سكان بلده قريبهم وبعيدهم، حاضرهم، وغائبهم، مليهم وعاجزهم على حد سواء في استحقاق الرعاية من حيث الجوار، وإنما التفاضل بالتقوى، وحسن الأدب، فنسأل الله تعالى كما منّ علينا بنعمة الإسلام، وخصنا بجوار نبيه عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام أن يوفقنا لسلوك الأدب في هذا المقام، وأن يرزقنا والمسلمين شفاعته في يوم الزحام، وأن يلهم من ولي شيئاً من أمورنا الرفق بنا، وحسن القيام.

ويروى عن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ أنه دخل على المهدي فقال له: أوصيك بتقوى الله، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه

---

(١) نص الحديث: عن معقل بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من أخاف أهل المدينة ظلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» رواه ابن عدي.

(٢) ونص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من أراد أهل هذه البلدة بسوء ـ يعني: المدينة ـ أذابه الله كما يذوب الملح في الماء» رواه مسلم، وغيره، واللفظ له. =

وعلى آله وسلم وجيرانه، فإنه بلغنا خبر أنه قال: «المدينة مهاجري، ومنها مبعثي، وبها قبري، وأهلها جيراني، وحقيق على أمتي حفظ جيراني، فمن حفظهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال».

وما أحسن ما قال:

لي فيك يا ربع الحبيب معاهد قلبي المقيم على العهود موددا
ولساكنيك عليّ حفظ مودة ما خنتهم أبداً وربي شاهدا

ومنها: الوعيد لمن لم يكرم أهلها، وإن إكرامهم، وحفظهم حق على الأمة. قال بعضهم: وليس المراد إكرام أرباب النعم منهم، والمتسورين بالآداب، فإن حال أولئك تقضي بإكرامهم، وإنما الكلام في إكرام المبتلى منهم، ومن عدم الأدب، والفضيلة، وألبسته الفاقة رداء المذلة.

وكان يقال: إذا أقبلت الدنيا في قوم ألبستهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عن قوم سلبتهم محاسن أنفسهم، وهذه الدسائس أيضاً تكشف عند التأمل، والتوفيق لمن يدعي حب آل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وما أحسن ما قال:

يا أهل طيبة قد سكنتم أضلعي فودادكم نام وشوقي محكم
لا غرو أن أرعى هواكم منشداً من أجل عين ألف عين تكرم

ومنها حديث: «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي».

وما ألطف ما قال:

فنحن بقربه فيما اشتهينا وأحببنا وما اخترنا وشئنا
يقينا ما نخاف وإن ظننا به خيراً أريناه يقينا
نميل على مكارمه كأنا إذا ملنا نميل على أبينا

ومنها حديث: «من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاء وقلبه مشرب جفوة»[1].

وقال بعضهم:

ومسك حديث في هواها لأهلها ... يضوع وفي سمع الخليين ضائع
سلا هل سلا قلبي هواها وهل له ... سواها إذ اشتد عليه الوقائع
وقولا لها يا قرة العين هل إلى ... لقاك سبيل ليس في موانع؟!

وما أحسن ما قال:

قنعنا بنا عن كل من لا يردنا ... وإن حسنت أوصافه ونعوته
فمن جاءنا يا مرحباً بمجيئه ... يجد عندنا وداً صحيحاً ثبوته
ومن صدّ عنا حسبه الصد والجفا ... ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

ومنها: ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية، وطيب العيش بها خصوصاً لأهلها؛ الذين لا تعلق لهم بالدول والدنيا.

رياض من نجد عرفها ضائع ... ونشرها الأرجاء قد عمّا
ومن يقل في المسك أين الشذا ... كذبه في الحال من شمّا

قال القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» عند ذكر المدينة المنورة: للطيب فيها فضل رائحة عليه منه في غيرها.

وما أحسن ما قال:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وقال آخر:

أكرم بها بقعة بالمصطفى شرفت ... على البقاع فضمت أعظم الرسل
أجل من وطىء الغبراء وأفضل من ... مشى على الأرض من حافٍ ومنتعل

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

ولله درّ القائل:

طاب الصعيد بجسمه فكأنه ... روض نعم معفة المتأرج

ما جسمه مما يغيره البلى ... والروح منه كالصباح الأبلج

ومنها: إن من عاب ترتبها، أو انتقص سكانها استحق التعزيز، وقد عزر مالك ـ رحمه الله ـ شخصاً انتقص تربتها بأنها سبخة.

وما ألطف ما قال:

دار طه هي التي أتوخى ... ولطه تشتاقها للأعضاء

فعليها من المهيمن نور ... وعلى الترب راية بيضاء

ولله در الأمير أبي فراس الحمداني حيث يقول[1]:

عليّ لربع العامرية وقفة ... ليملى عليّ الشوق والدمع كاتب

ومن مذهبي حب الديار لأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

قال في «الوفاء»: لا يجوز لغير أهل المدينة المنورة أن يماروا أهل مكة المشرفة، أو ينافسوهم لأن الله تعالى فضلهم على سائر البلاد.

ومن محاسن المدينة زيادة البركة بها على مكة، وأن المدعو به لها من البركة ستة أضعاف مالمكة من البركة[2].

ومنها: أن خبر الواحد من أهلها إذا عارضه إجماع غيرهم قدم على إجماعهم، كما نقل عن مالك ـ رحمة الله تعالى عليه ـ وقيل: البقاع

---

(١) الأمير أبو فراس الحمداني (٣٢٠/ ٣٥٧هـ).
هو الحارث بن سعيد الحمداني التغلبي، ابن عم سيف الدولة، حاكم حلب، شاعر وفارس، ويعدّ من الفرسان الشعراء العرب. له ديوان شعر مطبوع.
الأعلام للزركلي (ج٢/ ص١٥٥).

(٢) ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة كما أن أهل المدينة، وزائريها يلمسون ذلك، ويعرفونه.

لا أثر لها في ذلك، وفيه نظر وتأمل.

وفي الأرض آيات فلا تكن منكراً وعجائب الأشياء من ملكوته

ومنها: حديث«يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدوا عالماً أعلم من عالم المدينة» قيل: معناه: إن العالم من أهل المدينة أعلم من غير أهلها. وفيه إشارة إلى أن للبقاع أثراً في ذلك. وفي الأرض قطع متجاورات فافهم.

وقول ابن عيينة: نرى هذا العالم مالك بن أنس لا يمنع من ذلك؛ لأن مالكاً كان إذ ذاك من علماء المدينة، ويؤيده قول سفيان، وقد قيل له ما قاله ابن عيينة: إنما العالم من يخشى الله تعالى، ولا نعلم أحداً أخشى لله تعالى من العمري[1]، فتنبه.

ومن محاسنها: قلة المظالم بها، وشذوذ المتظاهر فيها بالمنكرات بالنسبة إلى غيرها من بلاد الإسلام.

وما أصدق القائل:

قل لمن أبصر حالاً منكره ورأى من دهره ما حيره
ليس بالمنكر ما أبصرته إن من عاش يرى مالم يره

وقال آخر:

قل من شاهد أمراً أقلقه ورأى ما تستحل الفسقة
سترى هذا الذي تنكره مستحباً بعد تلك الطبقة

ومنها: حديث «المدينة كالكير تنفي خبثها»[2] قيل: معناه: تصفي

---

(١) يعني: عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. من تعليقات السيد جعفر هاشم.

(٢) ونص الحديث: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها، وتنضج طيبها». رواه =

أهلها من الكدورات حتى يكونوا محلاً للفيض الرحماني، وقيل: هو على بابه، ويكون إخراج الخبيث منها زيادة في حسرته، وهذا بعيد مما أعتقده، أو هو من باب الترهيب، فهذا اختياري، فوافق إن رضيت به، أولا فدعني.

وما أحسن ما كتب به بعضهم إلى أبي الوفاء:

أيجوز أن أظمأ وماء غديركم … عذب وفيه من الزلال رحيق؟!
ويظمني دهري وفي عتباتكم … تلقى الرحال وتستريح النوق؟!

فكتب إليه الجواب:

أهلاً وسهلاً إن أتيت ومرحباً … ما في حمى كرم الأحبة ضيق
لا تتأسن روح من أحببته … فعلى الأحبة للمحب حقوق

وما أحسن ما قال:

وبعد ذاك الجفا إن جئت معتذراً … إلى حمانا تجد عفواً وغفرانا
حتى تظن بأن الوصل ما برحت … أيامه وكأن الهجر ما كانا

ومن محاسنها: أنه عليه وآله الصلاة والسلام رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح على بئر غرس[1]، ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق. ومنها: حديث «إن العجوة من الجنة» فقد اشتملت المدينة المنورة على شيء من أرض الجنة، ومياهها، وثمارها[2].

وما أحسن ما قال:

رياض نجد بكم جنان … فضية حورها حسان

= البخاري.

(١) «بئر غرس»: هي بئر شمال شرقي قباء، ويعرف مكانها في الوقت الحاضر بالغرس. تاريخ معالم المدينة، للشيخ أحمد ياسين الخياري (ص١٨١).

(٢) كأنه يعني: أن الروضة المشرفة من أرض الجنة، وكذا بئر غرس، وتمر العجوة المعروف بالمدينة.

وتـــرب واديكـــم بنجـــد مســـك وحصبـــاؤهـــا جمـــان

والجـــار في ربعكـــم عـــزيـــز والحـــر في أرضكـــم مصـــان

والـــريـــح مـــن شعبكـــم عبير والـــزهـــر ورد وزعفـــران

يـــا مـــن لهـــم في الفـــؤاد مثـــوى دأبـــه يشهـــد الجنـــان

كـــم حـــن قلبـــي إلى لقـــاكـــم وبيننـــا الفـــور والـــرعـــان

وكنـــت أخفـــي الهـــوى ودمعـــي مـــن شـــدة الـــوجـــد تـــرجمـــان

وبالجملة: فقد اشتملت المدينة الشريفة على محاسن تعشقها العقول، وأوانس ما بين القلب وهمومه تحول، ولطائف تعطر أندية الأفكار طيباً، وتعطي من تعرّض لنفحاتها من عرف الطيب نصيباً.

وحدثتني يا سعد عنها فزدتني شجوناً فزدني من حديثك يا سعد

فما أحلى ذلك الحديث، فهو حبيب النفس، وعشيق الطبع، وسمير ضمير الجمع، تتولع به الأرواح، لا الرياح، وتزهو به الألسن، لا الأغصن، وتبدو به طلعة البشر، لا الشجر، ويسمح بجنائه الجَنان، لا الجِنان، ويحلو به المنطق السحار، لا الأسحار.

أعـد ذكـر نعمـان لنـا إن ذكـره هـو المسـك مـا كـررتـه يتضـوع

فـإن قـر قلبـي فـاتهمـه وقـل لـه بمن أنت بعد العامرية مولع

قال المجد الشيرازي في «المغانم المطابة في معالم طابة»:

وبعد؛ فإن العناية بالمدينة الشريفة متعينة، والرعاية لعظم حرمتها لكل خير متضمنة، والوسيلة بنشر شرفها شائعة، والفضيلة لأشتات معاهدها جامعة؛ لأنها طابة ذات الحُجر المفضلة، ودار الهجرة المكملة، وحرم النبوة المشرف بالآيات المنزلة، والبقعة التي تهبط الأملاك عليها، والمدينة التي يأرز الإيمان إليها، والمشهد الذي تفوح أرواح نجد من ثياب زائريه، والمورد الذي لا تروي بالشوق إليه غلة وارديه، والبقعة التي خصها الله تعالى بالنبي الأطهر، والحومة التي فيها

الروضة المقدسة بين القبر والمنبر، والتربة التي سمت على الآفاق بساكنها، وفضلت على جميع بقاع الأرض بالبقعة التي هي أفضل أماكنها.

بقعة ضمت الرسول تسامت ... وعلا قدرها على الآفاق
فهي عند الجميع لاشك خير ... من جميع الثرى على الإطلاق

وجدير لمواطن عمرت بالوحي، والتنزيل، وتردد فيها الأمين جبريل عليه السلام، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله تعالى ما انتشر. مدارس آيات، ومساجد صلوات، ومشاهد خيرات، ومعاهد معجزات، ومناسك دين، ومسالك تمكين، مواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، وأين فاض عبابها، ومواطن مرابط مهابط الرسالة، وأرض من مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم حرماتها، وتستنشق نفحاتها، وتقبل ربوعها وساحاتها.

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدى الأنام وخُصّ بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متضاعف الزفرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري ... من تلكم الحومات والساحات
لأعفرن مصون وجهي بينها ... وأقبل الآثار والحُجرات

قال في «المواهب اللدنية»:

وقد اطلعت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة، وإن كان مذهب إمامنا الشافعي تفضيل مكة(١)؛ لأن هوى كل نفس حيث حل حبيبها. على أن للقلم في أرجاء تفضيل المدينة مجالاً واسعاً، ومقالاً جامعاً، لكن الرغبة في الاختصار تطوي أطراف بساطه، والرهبة من الإكثار تصدف عن تطويله، وإفراطه، وأنت إذا تأملت قوله عليه وآله الصلاة والسلام: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه:

---

(١) لا يخفى علينا أن المرء يحب بلده، والإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ مكي، فهو معذور لذلك.

هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده! لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه»[1].

ظهر لك أن فيه إشعاراً بذم الخروج من المدينة، بل نقل المحب الطبري عن قوم أنه عام أبداً مطلقاً، وقال: إنه ظاهر اللفظ. انتهى.

وأقول:

أيا ساكني أكناف طيبة حبكم ... من السعي للعلياء جيرة أحمد
فمن يبتغي عنها بلاد وإن سمت ... لأمر من الدنيا فليس بمهتد

وما أحسن ما قال الناظم:

عليّ عهود عن دياركم لا أخطو ... ولو ضاق فيها العيش أو طاول القحط
على أنني فيها على خير حالة ... عزيز جنابي لا يزاولني البسط
أبى الله أن ترضى سواها جبلتي ... فتنتقل أقدامي إلى غيرها الوخط
أأرحل عمن لا يضام نزيله ... ومن لا يطيق الخطب في جاره يسطو
أأضرب صفحاً عن شفيعي ونافعي ... إذا أعرضت عني الأقارب والرهط
فما أسعد القوم الذين رضوا به ... معيناً وفي أكنافه أبداً حطوا
أولئك يمحو الله عنهم ذنوبهم ... وإن عظمت فحشاً ولم يحوها ضبط
فكم عثرات لي أقيلت ببابه ... ومن شدة حلت وقد أحكم الربط
ولي هفوات قد كثرن ولا أرى ... لها غير جاه المصطفى نافع قط
فيا سيدي سل لي من الله عطفة ... وطيب رضا لا يختشى بعده سخْط
وجبر الكسر طال ما قد شكوته ... إليك فأدركني لينجبر الوهط
فخذ بيدي يا أكرم الخلق عندما ... أقدم يوم العرض إذا ينصب القسط
هناك لك العليا هناك الرضا ... هناك لك العز الذي ما له خلط
عليك صلاة الله ثم سلامه ... وآلك والأصحاب ما اضطرب الخمط

□ □ □

---

(١) رواه مسلم، واللفظ له.

الباب الثاني

فيما يتعلق بالحجرة المعطرة والمنبر الشريف وذكر فضل الروضة والمسجد المنيف

- الحجرات المعطرة
- الزيارة
- رؤية الرسول الله ﷺ
- الكوكب الدري
- ميضاء باب الرحمة
- محاسن الحجرة المعطرة
- لوائح وفواتح
- الكوة التي في القبة الشريفة
- عقيقة
- قدوم الرسول إلى المدينة
- بناء المسجد النبوي
- القبة الزرقاء
- الروضة المطهرة
- المنبر الشريف
- كسوة الكعبة المشرفة والحجرة المطهرة
- قناديل الحرم
- المحراب النبوي
- الآبار المنسوبة إلى النبي ﷺ
- نسب الرسول ﷺ
- خاتمة

الباب الثاني

فيما يتعلق بالحجرة المعطرة، والمنبر الشريف وذكر فضل الروضة، والمسجد المنيف

نفائس هذا الباب أنفاس روضة ونظـم المعـاني سلسبيـل وسلسـل

الحجرات المعطرة:

لمَّا بنى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مسجده، بنى لنسائه حجراً على نعت بناء المسجد من اللبن، وجريد النخل، وهي تسعة أبيات، على أبوابها مسوح الشعر الأسود، طول كل ستر ثلاثة أذرع في عرض ذراع. فلمّا كانت أيام الوليد بن عبد الملك أمر بإدخالها في المسجد[1]، ولم تكن منه قبل بنائها.

---

(١) وقد أورد صاحب «الدر الثمين» رواية نقلاً عن «وفاء الوفا» عن أسباب ودوافع إدخال الحجرات داخل المسجد النبوي الشريف، قال:
إن الوليد كان يرسل كل سنة إلى المدينة رجلاً يثق به ليأتيه بأخبارها، وهل يوجد ما يهدد دولة بني أمية بها؟ فأخبر ذلك الرجل الوليد بأن في داخل المسجد النبوي داخل بيت فاطمة بنت رسول الله حفيدها الحسن بن الحسن، وزوجته فاطمة بنت الحسين، وكلما حان وقت الصلاة خرج الحسن من باب البيت المفضي إلى الروضة، فقام مَن كان فيها للسلام عليه، والترحيب به.
فقال ذلك المخبر أنه: يا أمير المؤمنين! ليس لك حكمٌ في المدينة ما دام هذا المنظر يتكرر في المسجد عند كل صلاة، فقال الوليد: كيف نصنع وهو بيت =

وعن سعيد بن المسيب[1] أنه قال: وددت لو تركوها على حالها لينشأ ناشىء من المدينة، ويقدم قادم من الآفاق، فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حياته، فيكون ذلك مما يزهّد الناس في التكاثر، والتفاخر.

قلت: وحيث قامت بأوصاف هذه الحجرات أقلام الأعلام، فهي بأبصار التصور لذي الاعتبار مشاهدة، ولكن المحسّن، والمقبّح كما يقال هو العرف. فياليت شعري ما الفائدة؟!

أرى الصمت خيراً من خطاب بليغة   إذا لم يكـن للسـامعين قبـول

وأمّا الحجرة الشريفة النبوية فقد بنيت مراراً، ومن أحسن ما ذكر في ذلك أن السلطان نور الدين[2] حفر حولها خندقاً إلى الماء، وملأه بالرصاص المذاب، وذلك في سنة (٥٥٧هـ) سبع وخمسون وخمسمئة، بسبب واقعة النصرانيين[3]، فصار ذلك سوراً محكماً على الحجرة.

= أبيه؟ فقال المخبر مشيراً على الوليد بتوسعة المسجد، وإدخال الحجرات ضمنه. فكلف الوليدُ عمرَ بن عبد العزيز واليه على المدينة بالقيام بالتوسعة، وتعويض أصحاب العقار، إلا أن الحسن وزوجته فاطمة بنت الحسين أبيا الخروج من بيتهما، وعمل الوالي على إزالة الأسس، وكاد البيت أن يُقوّض عليهما، فخرجا ولم يقبلا بالثمن، فأودعه في بيت المال. نزهة الناظرين (ص٤٤) وما بعدها. تأليف السيد جعفر البرزنجي، تحقيق الأستاذ: أحمد سعيد بن سلم.

(١) سعيد بن المسيب عُرّف به في مكان آخر من البحث.

(٢) نور الدين زنكي.

(٣) والقصة ملخصة هي: أن رجلين من نصارى الأندلس قدما المدينة متخفيين في زي المغاربة، وتظاهرا بالتقوى والمجاورة، وغرضهم الحقيقي هو الوصول إلى القبر الشريف، وذلك عن طريق حفر خندق يوصل إلى الجسد الطاهر، وأعدّا لذلك العدة، حيث سكنا في الجهة الشرقية من الحجرة الشريفة، فرأى =

وأمّا المقصورة الآن والقبة المشرفة ففي غاية الإتقان، والإحكام، وهي ملحوظة برعاية الله تعالى للولاة، والحكام. ولسنا في صدد أخبار عمارتها والقائم عليها، بل في التعرض لذكر محاسنها.

الزيـــارة:

فمن ذلك الزيارة التي هي الغنيمة والنعمة السمينة العظيمة.

هنيئـــاً لمـــن زار خير الـــورى وحـــط عـــن النفـــس أوزارهـــا
فـــإن السعـــادة مضمـــونـــة لمـــن حـــلّ طيبـــة أوزارهـــا

قال العلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم»:

نقل المطوعي عن السلف أنهم كانوا قبل إدخال الحجرة في المسجد يقفون في الروضة(١) مستقبلين الرأس الشريف؛ لتعذر استقبال الوجه الكريم، وإذا سُنّ استدبار القبلة في الخطبة لأجل مواجهة السامعين فلأجله أولى.

وما أحسن ما قال:

وأي بـــلاد الله حلـــت بـــه فمـــا أراها وفي عيني حَلَت غير مكة
وأي مكـــان ضمـــه حـــرم كـــذا أرى كل دار وطنت دار هجرة

والوقوف أفضل، وإن جثا على ركبتيه ناظراً إلى الأرض، أو إلى

= نور الدين زنكي الرسول الأعظم في المنام عدة مرات، وأخبره بالحادثة، فقدم المدينة، وتعرف على الرجلين، وقتلهما بعد أن اعترفا بجرمهما، وقام بملء الخندق بالرصاص، ويبدو أن سقيفة الرصاص التي كانت في الجنوب الغربي من المسجد النبوي كانت الورشة التي صبّ فيها الرصاص، ونقلَ إلى مكان العمل، وهو حول الحجرة الشريفة. نزهة الناظرين، تحقيق الأستاذ أحمد سعيد بن سلم (ص٢١٧) وما بعدها.

(١) وهو الأصل في الزيارة؛ لأن الواجهة الحالية كان إحداثها في توسعة عثمان ابن عفان.

أسفل ما يستقبله من جدار القبر الشريف، ويغضّ طرفه عما هناك من الزينة، وغيرها، ويتمثل ذاته الشريفة بين عينيه، حتى كأنه يراه، مع ملاحظة الأدب والاستغاثة.

وما أحسن ما قال:

(يعن)[1]لك الشوق الشديد لناظري فأطرق إجلالاً كأنك حاضر

وقال آخر:

وإطراق طرف العين ليس بنافع إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

مسألة:

إذا وقف الزائر وضع يمينه على يساره على ما قاله الكرماني، وروى الإرسال، ولكل وجهة.

وجه أول:

إن الوضع يستلزم أن يكون الإمساك محاذياً للقلب، ويستفاد منه إنه لا يمسك كذلك إلا النفيس، ومنه ينتقل إلى أنه لا أنفس من القلب، فيمسك عن الخواطر المذمومة، فإن الإمساك الحسي وسيلة إلى الإمساك المعنوي الذي هو روح الصلاح، وسرها المقصود منها.

ووجه ثانٍ:

إن الإرسال صورة الانطراح، بل الموت المشار إليه بـ: موتوا قبل أن تموتوا، فحقيقة الحركات، والسكنات لله الواحد القهار، وملاحظة ذلك يكون الإرسال أولى، وهو سنة أهل البيت، فتأمله.

مسألة:

يسنّ للزائر أن يقصد الروضة المطهرة مع الوقار، والافتقار، فيصلي

---

(١) وفي النسخة (ب) (ج) بمثلك، بدل من: يعن لك.

تحية المسجد بمصلاه عليه وآله الصلاة والسلام، وهو المحراب النبوي، ويسجد للشكر على نعمة الوصول إلى هذا المقام، ثم يقصد القبر الكريم من نحو الرأس الشريف كما هو المأثور عن أهل البيت، مع أن فيه إيثار الأشرف، فهو الأليق بالأدب، ولأنه عليه وآله الصلاة والسلام لمّا فرغ من دفن إبراهيم قال عند رأسه: «السلام عليكم» وهو ظاهر في أن السلام من جهة الرأس، ويختم بوقوفه عند رأس القبر الشريف عند نهاية الصفحة الغربية مما يلي القبلة بصف إسطوانة التوبة؛ إذ هو موقف السلف فيدعو، ويصلي، ويسلم.

وعن المجد اللغوي: السلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره أفضل من الصلاة للأخبار الواردة، وينبغي بعد زيارة اللقاء[1] أن يجمع بين الصلاة والتسليم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا ينبغي الصلاة على أحد[2] إلا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقيل: يقصرونها على الأنبياء، وقيل: عليه دونهم، وقيل: بجوازها مطلقاً بلا كراهة، وقيل: تبعاً، ومثلها السلام، إلا إذا كان تحية، أو لحاضر، أو لحيّ غائب. حكاه ابن حجر.

مسألة:

من استودع السلام قال: السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان، وإبلاغه سنة؛ لأنه للاستمداد منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخلاف إرسال السلام للغائب؛ فإنه إبلاغه واجب على من لم يصرح

---

(١) لعله يعني زيارة القدوم.

(٢) يبدو أنه يعني تفضيل القول: السلام عليك يا رسول الله، بدل من أن يقول: الصلاة والسلام عليك، ولا يعني بالصلاة: الصلاة المعروفة.

بعدم قبول تحمله عقب التحميل؛ لأن في تركه وسيلة إلى المقاطعة المحرمة.

مسألة:

نقل ابن الهُمام[1] أن مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ استقبال القبر الشريف، قال:

وما نقل عنه ـ يعني: قول الكرماني ـ من استقبال القبلة مردود بما رواه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً أنه قال: من السنة استقبال القبر المكرم، وجعل الظهر إلى القبلة، ويقف على نحو أربعة أذرع من جدار القبر الشريف، وذلك أقل مراتب البُعد، وأما الإطالة وخلافها فهي بحسب الحضور، فمن فقده فالانصراف أولى به، ويسلّم على الصّدّيق الأكبر، والفاروق الأطهر، وإفراد كل بالسلام أولى.

وعن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وهكذا في بعض مناسك الحنفية.

وهل يشير بإصبعه إذا أراد الزيارة إلى الصاحبين، كما هو صنيع أهل البادية؟ قال في «مناسك السروجي»: نعم، يشير إليهما بيديه إذا أراد أن يسلم عليهما، ولا أدري ما معنى التخصيص؛ لأنهم يسلمون على النبي كذلك.

مسألة:

كره مالك ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره من الأئمة دون الثلاثة كلما دخل الرجل المسجد، وخرج الوقوف بالقبر الشريف. قال: وإنما ذلك للغرباء

---

(١) ابن الهمام: محمد بن عبد الواحد (٧٩٠/ ٨٦١هـ) ولد بالإسكندرية، وتنقل بين مصر والشام والحرمين. عالم فقيه، له كتب في الأصول والفقه والتفسير، ومنها: فتح القدير وغيرها. الأعلام (٦/ ٢٥٥).

وذلك لأنه قد يفضي إلى الملل، وقلة الأدب، والحكم يدور مع العلة، وعنه عليه وآله الصلاة والسلام: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»[1].

مسألة:

قال في «الجوهر المنظم»: مذهب أهل البيت تقبيل القبر، ومسّه. وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ لا بأس به، وعليه المحب الطبري[2] وابن أبي الصيف وغيرهم من الأجلاء كالسبكي وأضرابه.

وقال الغزالي في «الإحياء»: مس المشاهدة، وتقبيلها عادة اليهود والنصارى، ولما رجع بلال ـ رضي الله تعالى عنه ـ من الشام جعل يبكي، ويمرغ وجه على القبر.

وعن الزهراء البتول ـ رضي الله تعالى عنها ـ لما قُبر عليه الصلاة والسلام، أخذت قبضة من تراب قبره عليه الصلاة والسلام، وجعلته في عينيها، وبكت، وأنشدت:

ماذا علي من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الأزمان غواليا
صُبّت عليّ مصائب لو أنها صُبّت على الأيام صرن لياليا

وفي حديث أبي أيوب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن مروان أقبل فرآه ملتزماً القبر المكرم، فأخذ برقبته، وقال: هل تدري ما تصنع؟ قال: نعم، لم آتِ الحُجر، وإنما أتيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه

---

(١) رواه الإمام أحمد والإمام مالك.

(٢) المحب الطبري: أحمد بن عبد الله الطبري (٦٥١/٦٩٤هـ) مكي، متقن، فقيه، شافعي، وكان شيخ الحرم المكي، له كثير من الكتب، منها: السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، والرياض النضرة في مناقب العشرة، وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، وغير ذلك. الأعلام (١/١٥٩).

غير أهله[1].

وعن بعضهم: اتبع طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.

وهـذا الحـق ليـس بـه خفـاء فـدعنـي مـن بنيـات الطـريـق

مسألة:

إن قيل: ما حكمة دفنه عليه وآله الصلاة والسلام بالمدينة المنورة؟ وقد جاء أن كل أحد إنما يُدفن في المحل الذي خُلق منه، وإنما خُلق عليه وآله الصلاة والسلام من طينة الكعبة.

قيل: حكمة إفراده عن مكة الشريفة بمحل بعيد منها؛ ليكون متبوعاً لا تابعاً، ولتتمايز الناس في شد الرحال إليه بخصوصه.

وقد حكى صاحب «عوارف المعارف»: أن الطوفان لما علا الكعبة موج منها توجه إلى محل قبره الشريف، فهو في الحقيقة لم يدفن إلا في أصل الكعبة.

وحكى السهروردي: أن سليمان عليه السلام زار محل قبر محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وأخبر أنه سيقبر فيه.

واختصاص المدينة بذلك من بين قرى الحجاز لأنها باعتبار ذاتها، لا بما عرض لها من نحو حُمّاها، مع أنها نقلت إلى الجحفة أعذب أرض في تهامة، وأعدلها، وأهلها، وأكثرها ماء ونخيلاً، وأحسنها أهلاً ومقيلاً، سيما وفيها أخوال نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأنصاره، وغير ذلك من محاسنها، ومحاسنهم الجمة التي لا تكاد توجد في غيرها وغيرهم.

وما أحسن ما قال:

---

(١) تعريضاً بمروان.

زر أشرف الرسل الكرام وإن نبا بك منزل أو شط قرب مزاره
فعليك بالتاريخ يا مغرم به لتشاهد الأخبار من آثاره

مسألة:

قال العلامة ابن حجر في كتابه «الجوهر»: إن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حيّ يُرزق، أي: من المعارف الربانية، والكرامات الرحمانية ما يليق بعلوّ مقامه، ويتلذذ في قبره كما كان يتلذذ به قبل وفاته، ولكونه غذاء لروحه الشريف عبّر عنه بالرزق.

مسألة:

النفس كلما كان استيلاؤها على ما ليس من شأنه الدخول تحت حيازتها لولا ما اختصت به من ضروب مقاهرته، كانت به أشد ابتهاجاً، وأنشدوا:

رأيت النفس تسأم ما لديها وتطلب كل ممتنع عليها

وقد أجمعوا على أن إحساس النفس بالملائم، والمنافي بعد مفارقة البدن أشد، وأقوى للتخلي له، فيكون الإدراك بالحواس الباطنة أقوى لشبهها عند خلوها بهذه الحواس بحالة المفارقة، وقالوا: تصور الذات المحمدية بما وُصفت به سبب لمشاهدتها التي هي من أسنى المطالب، بهذه الحواس بحالة المفارقة.

إشارة في ضمن بشارة رؤية الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

روي عنه عليه وآله الصلاة والسلام: «من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة، ولا يتمثل بي الشيطان»[1].

وعنه: «من رآني فقد رأى الحق».

---

(١) متفق عليه.

وعنه: «من رآني فلن يدخل النار».

وفي رواية: «لن يدخل النار من رآني».

كذا في «التحفة الفاخرة في إصلاح الدنيا والآخرة» وفي «المواهب اللدنيّة» عنه عليه وآله الصلاة والسلام: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»[1]، أو: «فكأنما رآني في اليقظة، ولا يتمثل بي الشيطان».

وعنه: «من رآني في المنام فقد رآني، إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي».

قال القاضي أبو بكر بن العربي:

رؤيته ـصلى الله عليه وآله وسلمـ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على غير صورته إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، فيكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، وإدراك الصفات إدراك للمثال.

قوله: «فسيراني» تفسيره: فسيرى ما رأى؛ لأنه حق وغيب.

وقوله: «فكأنما رآني» قيل: معناه: أنه لو رآني في اليقظة لطابق ما رآه في المنام، فيكون الأول حقاً وحقيقة. والثاني: حقاً وتمثيلاً، وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة، فإن رآه على خلاف صورته المعروفة في حياته، فهي أمثال.

والمعتمد: أن رؤيته في كل حال ليست باطلة، ولا أضغاث أحلام.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رأى النبي ـصلى الله عليه وآله وسلمـ في النوم، فبقي مفكراً في هذا الحديث بعد أن استيقظ، فدخل على بعض أمهات المؤمنين ـ لعلها خالته ميمونة رضي الله عنها ـ

---

(١) متفق عليه.

فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فنظر فيها صورة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ولم ير صورة نفسه.

وثَمَّ وَرَاءَ النقل علم يَدِقّ عن مدارك غايات العقول السليمة

وقال الغزالي:

ليس معنى قوله: «فقد رآني» أنه رأى جسمي، وإنما المراد: أنه رأى مثالاً، صار ذلك المثال آلةً يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه، وآلة تكون تارة حقيقة، وتارة خيالية، والنفس غير المثال المتخيل، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا شخصه، بل هو مثاله على التحقيق.

وقال في بعض فتاويه: من رأى الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في المنام فلم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة المنورة، وإنما رأى مثاله لا شخصه، وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل.

قال الطيبي: المعنى: من رآني في المنام بأي صفة كنت، فليبشر، وليعلم أنه قد رآني رؤى الحق، وكذا قوله «فقد رآني» فالشرط والجزاء إذا اتحدا دلا على الغاية في الكمال، أي: فقد رآني رؤيا ليس بعدها شيء، ولا يخفى طيب نشر هذا القول.

وما أحسن ما قال:

ليتــه خصنــي بــرؤيــة وجــهٍ زال عــن كــل مــن رآه الشقــاء
أو بتقبيــــل راحـــة كـــان لله وفي الله أخــــذهــــا والعطـــاء

وأما رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في اليقظة بعد موته، فلم تنقل عن أحد من الصحابة والتابعين، وقد اشتد حزن فاطمة ـ صلوات الله على أبيها وعليها ـ عليه حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر، وبيتها مجاور لضريحه الشريف، ولم ينقل عنها رؤيتها له ـ صلى الله عليه وآله

وسلم- في المدة التي تأخرتها عنه، وإنما يحكى ذلك عن بعض الصالحين عن أنفسهم أنهم رأوه في المنام، فرآه في اليقظة، أخذاً بظاهر حديث: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» قيل: والمنكر لذلك إما أن يكون ممن يؤمن بكرامات الأولياء أو لا. فإن كان الثاني فقد سقط البحث معه فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة، وإن كان الأول فهذه منها؛ لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادات عن أشياء في العالمين: العلوي والسفلي مع التصديق بذلك.

وعن الشيخ أبي السعود: لم يكن الشيخ إلا النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وإنه كان يصافحه عقب كل صلاة. قال الغزالي: أرباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء يسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد.

وما أحسن ما قال التلمساني:

رأى الشمس لا تبقى النجوم لعينه ... فظن نجوم الأفق قد عدمت وهما
رويـدك لا أن النجـوم تغيبـت ... ولو قويت عيناك ما فقدت نجما
فكن عندما يبدو من الحسن واتخذ ... إلى القبح معنى يجعل القبح حسما
فدعني وحالي فهو حالي بروضة ... زهت وغدير صفقت ورشا ألمى
ودع لائماً في العشق قد مات فهمه ... فهل قادراً على أن يستعير له فهما؟!

وبالجملة: فالقول برؤيته بعد موته بعين الرأس يقظة يدرك فساده[١] بأوائل العقول السليمة ويستلزمه خروجه من قبره، ومشيه في الأسواق،

---

(١) لعله فيما إذا رأى الرائي ذاته الشريفة منقولة لديه، فهي حينئذ رؤية لمثاله الشريف؛ لئلا يلزم منه ما ذكره على ما فيه، وأما لو فرض أن الله تعالى كشف عن عين الرائي الحجب الحائلة بينه وبين الرؤية، فرأى جسده في قبره المنيف على حالته التي توفي، ودفن عليها، فللإنسان فيه تأمل، ونظر، ويبعد عن طبيعة الأشياء. من تعليقات السيد جعفر آل هاشم (ص٣٥).

ومخاطبته للناس، وخلو قبره من جسده الشريف، فلا يبقى منه شيء بحيث يزار مجرد القبر، ويسلم على غائب إشارة إلى ذلك القرطبي في الرد على القائل: بأن الرائي له في المنام رائي حقيقته، ثم يراد كذلك في اليقظة. قال: وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له أدنى مسكة من العقول، وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول. وللشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمية:

فمن يدعي في هذه الدار أنه   يرى المصطفى حقاً فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة التي   تباشر هذا الأمر مرتبة وسطا

كذا في «المواهب».

وقال مولانا السيد صبغة الله ـ قدس الله روحه العزيزة ـ عند قوله: وخلوه من قبره: فيه نظر، وتأمل لا يخفى. قلت: لعله ينظر من طرف خفي إلى قول أبي الطيب المتنبي:

كالبدر من حيث التفت رأيته   يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها   يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

وما أحسن ما قال:

وما البدر إلا واحد غير أنه   يغيب ويأتي بالضياء المجدد
فلا تحسب الأقمار خلقاً كثيرة سره   فجملتها من نير متعدد

وما أحسن ما قال العفيف التلمساني:

وفي الحي هيفاء المعاطف لو بدت   مع الورق كان الورق فيها تغنت
عجبت لها في حسنها إذ تفردت   لأية معنى بعد ذلك تثنت

وما أحلى ما قال:

ترى منه عيني ما وعت أذني   ويشرح الخبر ما قد أجمل الخبر
فعشقي فيه لا عن رؤية عرضت   والسمع يدرك ما لا يدرك البصر[1]

---

(١) لعله اقتبس هذا المعنى من قول بشار بن برد الشاعر العباسي: والأذن تعشق =

وقال آخر:

فمن كان من كنز المواهب منفقاً فليس فقيراً للتعمل والكسب
ومن كان في وجه الكريم مطالعاً فليس فقير للرواية والكتب

وأقول[1]:

أرى مطالعتي في الكتب ما نفعت لعل وجهك يغنيني عن الكتب
فمن رآى وجهك الباهي وبهجته فإنه في غنى عن كل مكتتب

مسألة:

قال في «الجوهر»: يسن للإنسان أن يشم طيباً في كل يوم، فإن لم يستطع ففي كل يومين، فإن لم يستطع ففي كل جمعة. قلت: من محاسن المدينة، وفضل سلطان الأنبياء عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام أن في كل ليلة جمعة يطلق أنواع البخور، والعنبر في الحجرة المعطرة، فيشمه كل من كان في المسجد الشريف، ويكتفي به الفقير، والعاجز[2].

الكوكب الدري:

مسألة:

تجاه الوجه الشريف في الجدار مسمار من الفضة، مموه بالذهب، في رخامة حمراء، من استقبله كان مستقبل الوجه الشريف[3]، قاله

= قبل العين أحيانا.

(1) أي: المؤلف.

(2) لا زالت هذه السنة متبعة في الوقت الحاضر، حيث يجمر المسجد النبوي ليلة الجمعة بالعود النفيس بين صلاتي المغرب والعشاء، وأما الحجرة النبوية فلا لأنها مغلقة.

(3) لعل ذلك غير موجود في الوقت الحاضر.
للمزيد من الفائدة حول الموضوع: الرجوع إلى نزهة الناظرين (ص١٩٩) وما بعدها، تحقيق الأستاذ أحمد سعيد بن سلم.

ابن حجر في «الجوهر المنظم».

قلت: وكان يُسمَّى بالكوكب الدري، حتى كانت أيام المقدس المبرور السلطان ابن السلطان ابن السلطان مولانا السلطان أحمد خان[1] عليه الرحمة والرضوان، فجعل عليه حجرين من الألماس مكفوفتين[2] بالفضة والذهب، فهما من آثاره الحسنة، زاد الله تعالى في حسناته، وجعل الملك في عقبه ما دارت بسعادتهم أفلاك عناياته.

وعلى ذكر الكوكب فلله در الفاضل ابن السراج حيث يقول:

الكوكب الدري من شأنه يخفي وجه السراج المنير
فكثروا الجوهر وقللوا فالجوهر الفرد عديم النظير

وللسلطان أحمد خان عليه الرحمة والرضوان الآثار الحسنة، والمآثر المستحسنة، والصِّلات الجاري ثوابها في صحائفه، والهبات التي خلدت في صحف أخبار مكارمه، ولطائفه.

ميضاء باب الرحمة:

ومن أحسن آثاره الباقية حسناته على تعاقب الملوان: الحنفية المجاورة لباب الرحمة، فإنه حسن وضعها، وعمّ من في المدينة المنورة نفعها.

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

أو كما قال:

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسن البنيان
إن البناء إذا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الباني

وعلى الخصوص ذلك السبيل المشتمل على الماء السلسبيل، فإنه عزّ،

---

(١) حكم بين عامي (١٠١٢/١٠٢٦هـ) الموافق (١٦٠٣/١٦١٧م) وهو السلطان الرابع عشر من سلاطين آل عثمان.

(٢) مكفوفتين: مشدود بعضهما إلى بعض.

وسما وصفه على الواصف، وأبى إلا أن يتزايد ثوابه المتضاعف.

سلسبيـــل المـــاء فيـــه مطلـــق قيـــد النـــاس بطيـــب المـــورد
قـد سرى بين الـريـاض ذبحـت بـــرخـــام أبيـــض في أســـود
وحـــلا في العين مـــن مـــرمـــرة شكل زهرة جل عن قطف اليد

وفي سنة سبع وأربعين وألف من الهجرة[1] المأمونة من الرجف، قدم المولى[2] الذي تشرفت ديباجة هذا الكتاب بألقابه الشريفة، وتعطرت أزهار أروقته بنشر شمائله الشائقة اللطيفة، لا زالت رايات العز بسعوده خافقة، وسواجع السعد بصعوده ناطقة، ولا برحت أعوامه مواسم التهاني، وأيامه مباسم الأماني أعياده تعود مجددة السعود، مغدقة بالجود أيامه عائدة، قد خلدت محامده بالدعوات الصاعدة، وذلك بعد قضائه للمناسك الشريفة إلى هذه المدينة الوريفة، ومعه حجر من الألماس محفوف بأحجار مختلفة، مكفوفة بصحائف الفضة، والذهب، وهذا الحجر من آثار صدر الدولة العثمانية الشديد، وعماد الخلافة الخاقانية، وأمينها الرشيد، المسدد بعناية الله تعالى في الأقوال، والأفعال، والقائل فيه بشهادة الواقع لسان الحال:

ليـس الـزمـان بصـالـح إلا على تـــدبيره في النقـــض والإبـــرام

ألا وهو الصدر الذي تجملت به صدور المواكب، وأصبح بين أقرانه كالبدر بين الكواكب، أجلّ وزراء خليفة الله تعالى على سطح البسيطة شرقاً وغرباً، وأجل من شمله نظر سلطان سلاطين الأمة، ومنحه قرباً، أنيس الحضرة السلطانية، جليس الدولة الخاقانية، وعمدة أصحاب العزة

---

(١) والأصح (١٠٠٧هـ).
(٢) لقد أطنب المؤلف في المدح والتمجيد إلى درجة أن القارىء لا يستسيغ ما كان يكيله من ثناء، ومديح في غير محله، إلا أنا قد نعذره لو رجعنا إلى طابع العصر الذي كتب فيه.

والتمكين، قدوة الخواص والمقربين، المتحلي بالنعوت الكريمة المصطفوية، المتخلي إلا عن الكمالات النبوية، المحظوظ المحفوظ من الأغيار والأكدار، مولانا مصطفى باشا سلحدار.

لا زال المستحق يستوفي من ذمة الزمان في أيامه الشريفة ديونه، ولا برح من الأنصار بعلوّ همته، وإحسانه لمن هاجر إلى هذه المدينة، والله تعالى يبقيه صدراً منشرحاً، تتغالى عقود الممالك منه بحسن النظام، وبحسن خاتمته - إن شاء الله تعالى - يصير مسكاً لكل ختام.

وبالدعاء أرى ختم الكلام له فما يوفيه حق المدح أقلام

اللهم! يا من بيده مقاليد الأمور، يا من يبدل القضاء المبرم بسابق لطفه، وصالح الدعاء المبرور، أيده بملاحظة عناية مولانا السلطان الأعظم، والخاقان المكرم الأفخم، المنوّه باسمه الكريم في صدر هذا الكتاب، المقتضى له بالسعد المؤبد على تعاقب الأحقاب، ولا زالت مقاليد الأمور بيديه كأعنّة جياده مذللاً تحت قدمه الشريف كالركاب، حرب أعاديه وأضداده، ولا برح كل مستحق مستوفياً من أيامه الشريفة ما كان له من ذمة الزمان من الديون، ممتعاً بالارتشاف من عذب هذا المنهل؛ الذي ما برح عيناً يشرب بها المقربون، والله تعالى يمده بعنايته في إقامته وسفره، ويجعل مبدأ رحلته مقترناً بحسن خبره.

آمين آمين لا أرضى بواحدة بل ألف آمين في ألفين آمينا

فوضع المولى المنوه باسمه الكريم أعلاه - دام عُلاه - ذلك الحجر المكرم تحت الحجرين المذكورين في جدار الضريح المعظم، فزاد به شعار الإسلام جمالاً، واكتسب بهذه الخدمة السنية فضيلة وكمالاً.

وما أحسن ما قال:

وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء

وقلت في ذلك، وإن لم أكن هنالك:

زار خير الأنـــام خير همــــام ... قـد تسمـى شعبـان وهـو ربيـع
عــــم جيران أحمـــد بنـــوال ... دون ذاك النـوال خصـب مـريع
جـاء بـالجـوهـر الثمين لطـه ... مـن وزيـر وهـو الجنـاب المنيع
مصطفى المجد والندى والمعالي ... وسلحــدار نعمـــة لا تضيـــع
يـالـه جـوهـراً تسـامـى وسـامـى ... بمقـــام فيـــه الثنـــاء يضـــوع
عنـد وجـه النبـي قـد وضعـوه ... فغـــدا وهـــو مشـــرق ولـــوع
كـان هـذا في عـام سبـع وألـف ... وتمـــام النظـــام فيـــه بـــديـــع

وبالجملة؛ فإن هذا الحجر الميمون مما زان، وأزان، وصار أثراً حسناً يبقى ـ إن شاء الله تعالى ـ على مر الزمان.

وإذا الـدر زان حسـن وجـوه ... كـان الـدر حسـن وجهـك زينـا
وتـزيـدن أطيـب الطيـب حسنـاً ... إن لمستـه، أيـن مثلـك أينـا؟!

وما أحسن ما قال في غير هذا المجال:

أقــول والــدر على جيــدهـــا ... يـزهـو بمـا فيهـا مـن الـزيـن
مـا علـق الجـوهـر في نحـرهـا ... إلا لمـــا يخشـــى مـــن العين

مسألة:

قال العلامة ابن حجر في كتابه: «الجوهر المنظم» في زيارة القبر المعظم: النظر إلى الحجرة المعطرة، والقبة الشريفة عبادة، كالنظر إلى الكعبة المشرفة.

بمعنى: أن الناظر إليها يثاب عليها حيث ورد، كما رواه أبو الشيخ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ مرفوعاً: «النظر إلى الكعبة عبادة».

وروى الطبراني والحاكم: «النظر إلى عليّ عبادة».

قيل: معناه إن علياً كان إذا برز قال الناس: لا إله إلا الله، ما أشرف هذا الفتى! لا إله إلا الله، ما أعلم هذا الفتى! لا إله إلا الله، ما أكرم هذا الفتى، لا إله إلا الله، ما أشجع هذا الفتى! فكانت رؤيته

تحملهم على كلمة التوحيد. كذا في «النهاية».

والحاصل: أن كل ما يكون النظر إليه يدلّ على الحق فهو عبادة، كما روي: أن أولياء الله تعالى هم الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله تعالى وتبارك.

وجوه عليها للقبول علامة وليس على كل الوجوه قبول
ووجوه إذا ما أسفرت عن جمالها سجدن على أعتابهن عقول
وقال وجه عليه من الحياء سكينة ومهابة تجري مع الأنفاس
وإذا أحب الله يوماً عبده ألقى عليه محبة للناس

ومن الأشعار التي يجوز أن تنشد تجاه حضرته النبوية، وسُمِع إنشاد بعضها من بعض العلماء عند قبره الشريف، وحصل بإنشاد بعضها المدد الشامل الوسيع من ذلك الجانب الرفيع.

إليك وإلا لا تشد الركائب وعنك وإلا فالمحدث كاذب
وفيك وإلا والرجاء مخيب ومنك وإلا لا تنال الرغائب[1]

ومنها للشيخ عبد الرحيم البرعي - رحمه الله تعالى -:

يا سيد العرب العرباء معذرة لنا دم القلب لا يغني تندمه
يا صاحب الوحي والتنزيل مرحمة فأنت تعفو عن الجاني وتكرمه
أثقلت ظهري بأوزار وجئتك لا قلب سليم ولا شيء أقدمه
لك الجميل من الذكر الجميل ومن كل اسم جود عظيم الجود أعظمه
فانهض مضيّع كئب أنت ملجؤه وامنعه من كل خطب مُرّ مطعمه
واجعله منك بمرأى العين مَكرمة إذا ألمّ به من ليس يرحمه
وإن دعا فأجبه واحمِ جانبه يا خير من دفنت في القاع أعظمه
عليك مني صلوات الله أكملها يا ماجداً عمت الدارين أنعمه

---

(١) هذا الجزء سقط في النسخة (أ) وقد أخذ بكامله من النسخة (ب) الورقة (١٢).

والآل والصحب مالاح النجاح وما حامت على أبرق الحنان حومه[1]

ومن ذلك هذه المسالك:

إن لم أكن أهل تأهيل لقربكم أو كنت يا سيدي قد ساء بي أدبي
هبني على الباب مطروحاً فربتما تمر بي نفحات منك تدخل بي

ومن هذه النخب البهية، والنقب الشهية:

لاأبرح الباب حتى تصلحوا عوجي وتقبلوني على عيبي ونقصاني
فإن مننتم فيا عزي ويا شرفي وإن منعتم فيا ذلي وخسراني

ومن هذا الفن الشهي:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني فهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يديك كي تحظى بها شفتي

حكى الجلال السيوطي: أن السيد أحمد الرفاعي ـ رحمه الله تعالى ـ أنشد هذين البيتين عند القبر الشريف، فبرزت اليد الكريمة من تحت الستر حتى قبّلها، وظفر بيمنها وبركتها.

وما أحسن ما قال:

إذا لحت لي ناجتك كل جوارحي وإن غبت عن عيني أناجيك بالقلب
فأنت ملء قلبي حضوراً وغيبة وأنت جلاء عيني في حالة القرب

ومن هذه الدرر في هذه الغرر:

كل ربع تحلّ فيه ربيع كل دار حوتك دار المقام
كل يوم أراك فيه فعيد النحر عندي في خلق أهل الملام

ومما راق مبناه، ورق معناه:

نعم لولاك ما ذكر العقيق ولا جابت له الفلوات نوق

---

(١) ديوان البرعي ص٩٩ وما بعدها. راجع الملحق رقم ٢ ورقم ٣ حول الموضوع.

نعم أسعى إليك على عيوني ... تدانى الحي أو بعد الطريق
إذا كانت تحنّ لك المطايا ... فماذا يفعل الصب المشوق؟!

وما ألطف ما قال:

هنيئاً لمن أمسى وأنت حبيبه ... ولو أن نيران الغرام تذيبه
وطوبى لقلب أنت ساكن سره ... ولو بان عنه إلفه وقريبه
وتباً لمطرود عن الباب مبعد ... لقد ضاق في هذا الوجود رحيبه

ومن هذا النظم الجميل:

يا طيب الأصلين يا من قربه ... يهدي المسرة للأحبة والهنا
إن لم تكن عيني فإنك نورها ... أو لم تكن قلبي فأنت له المنى

ومن هذا الدر المكنون في سلك هذه الفنون:

أما والذي أضحك وأبكى والذي ... أمات وأحيا والذي أخرج المرعى
لقد خاب من يسعى لغير بابكم ... وفاز الذي يوماً إلى بابكم يسعى[1]

وما أوقع ما قال في حق كثير من الرجال:

إني وإن بعدت داري لمقترب ... منكم بحسن موالاة وإخلاصِ
فرب دانٍ وإن أبدى مودته ... أشهى إلى القلب منه النازح القاصي

ولله در القائل:

حاولتها فوجدت أسباب الرجاء ... موصلة باليأس من أسبابها
إلا لمن أعطى الصبابة حقها ... وأتى بيوت الحي من أبوابها[2]

وأنشد الجمال الطبري لنفسه:

---

(١) اقتباس من سورة النجم الآيتان رقم (٤٣/ ٤٤).

(٢) والشاعر اقتبس المعنى من قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ سورة البقرة رقم الآية (١٨٩).

أنخ أيها الصادي الشديد ظمؤه ورد منهلاً أحلى من الشهد ماؤه[1]
وسل عند باب المصطفى أي حاجة أردت وما تهوى فرحب فناؤه

ومما يحرك له القلب، ويطرب إليه الصب:

أنخ الركائب في فناء الدار وانزل بساحتها نزول الجارِ
يهنيك يا سعد الوصول إليهم فلقد بلغت منازل الأبرار

ومن الآداب السنية:

أنخ مطاياك إن ظفرت بهم واطلب قِراهم فإنهم عرب
واسع على الرأس خاضعاً نفسي يشفع فيك الخضوع والأدب

ومما رقّ نسيمه، ودقّ تسنيمه:

سلم سلمت على سلمى بذي سلم[2] وسل سليمى عن المحجوب في الخيم
والثم لثام ثمام حول حلّتها طابت به نسمات الطيب في النسم

ومما يرتشفه السمع رخاء، ويمد عليه النسيم من الرقة جناحاً:

غير ليلى لا يُرى في الحي شيء سل متى ما رتبت عنها كل حي
كل شيء سرها فيه سرى فلذا يثني عليها كل شي

ومما يتحرك له الرأس في هذا الجناس:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ منا بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

وما أصدق المدح في سلك هذه المُلح:

المدح يدري أنكم أكبر من كل ما ينظم أو ينثر
وإنما يثني على فضلكم كل ولي بالذي يقدر
وكيف يقضي حقكم مادح ظلت قوافيه بكم تفخر؟!

---

(١) انفردت بهذا البيت النسخة (أ) (ج).
(٢) ذو سلم: هو أحد شعاب العقيق، وهذه الأبيات للشاعر العباسي أبي تمام.

(ومن أحسن الكلام في مثل هذا المقام:

نعم هذه الدار التي أنت تطلب ... إلى أين عنها يالك الخير تذهب
أعن دار سُعدى بعدما بان بانوها ... وفاح شذا أنفاسها تتجنب
ولاحت وهل يوماً توارت وإنما ... بتنزهها عن ذاك طرفي يُكذب[1])

ومن أحسن ما وشته الأقلام، وحصل به المرام:

الحمد لله هذا القصد والسؤل ... حبل الوصال بخير الرسل موصول
هذا مرادي وهذا منتهى أملي ... وكم وكم كان لي في الوصل تأميل
هذا أسرّ سرور قد سررت به ... فالسعد ساعدني والشمل مشمول
هذا الهناء والمنى والخير أجمعه ... فالصدر منشرح والقلب مثمول
قرت عيوني بذا الوصل اللذيذ كما ... برت يميني بفضل الله فالقيل
الحمد لله لا أحصي الثناء له ... حمداً يكون به للسعد تكميل

محاسن الحجرة المعطرة:

ومن أجلّ محاسن الحجرة المعطرة: اشتمالها على المدد الشامل لمن زار معالمها، واشتغل القلب بالتوجّه الصحيح إلى صاحب الروضة، والضريح.

يُروى أن أعرابياً وقف أمام القبر الشريف، وقال: يا رسول الله! سمعتُ فيما أنزل عليك الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وإني قد جئتك مستغفراً من ذنبي، ومستشفعاً بك إلى ربي. قال الراوي: فأخذتني سنة من النوم، فرأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لي: الحق بالأعرابي فبشره بالجنة.

والأخبار في ذلك كثيرة.

---

(١) هذه النبذة تفردت بها نسخة (ب).

وفي الصحيح أنه عليه وآله الصلاة والسلام قال: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[1].

قال بعض العلماء: يجب على زائره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يجزم بنجاته. وعنه عليه الصلاة والسلام وآله: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»[2].

و«من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»[3].

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «لا يكيد أحد أهل المدينة إلا انماع، وإن أمهل، كما ينماع الملح في الماء»[4].

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «اللهم اكفهم من دهمهم»[5]. أي: أغار عليهم بغتة.

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم، فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[6].

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك به إبراهيم لمكة، أدعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا

---

(١) رواه البيهقي في الشعب، والدارقطني.
(٢) رواه أبو الحسن يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب «أخبار المدينة» وغيره.
(٣) رواه البيهقي في الشعب، وغيره.
(٤) سبق التعليق عليه.
(٥) سبق التعليق عليه.
(٦) رواه الطبراني في الأوسط.

مكة، واجعل ما بها من وباء بخم»[1].

لوائح وفواتح:

حكى أهل السير أن تبعاً لما قدم المدينة أراد خرابها، فجاءه حبران من قريظة يقال لهما شحيثاً، ومنبه، فقالا: لا أيها الملك! انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة، وإنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد، يخرج آخر الزمان. فأعجبه ما سمع منها، وصدّقهما فيما قالاه، فكفّ عن أهل المدينة، فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقاية، وحماية، ومعونة لسكان بلده قبل ظهوره في حياته، وبعد وفاته.

اللهم! اجعلني ومن أحبه دائماً أبداً جاره، ولا تحرمني بفضلك في الدارين جواره؛ فإن العيوب لا تقطع عن الكريم، والذنوب لا تمنع من إحسان الرؤوف الرحيم.

إن كـان لا يـرجـوك إلا محسـنٌ   فبمن يلوذ ويستجير المذنب[2]؟!

منسك روحي، ومسلك فتوحي، ووجداني عياناً، أي: لزائري الحضرة الجامعة المحمدية، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

قال مولانا السيد أسعد البلخي ـ تغمده الله تعالى برحمته ـ: صريح النص يدل على أن الظالم سواء أكان مشركاً، أو مسرفاً، أو منافقاً لو جاء للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مستغفراً تائباً مما كان منه من

---

(١) رواه مسلم في صحيحه. وخم والجحفة: اسمان لمكان واحد، ويقع شرقي رابغ.

(٢) القائل أبو نواس، وهو الحسن بن هانىء، شاعر عباسي، عاش بين عامي (١٤١/١٩٩هـ) وقد عرف بالمجون، إلا أن الروايات الأدبية تقول: إن القصيدة التي منها هذا البيت وجدت تحت فراشه.

التفريط، واستغفر له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو قد استغفر للجميع، فإنه مأمور به لهم عند الله تعالى، لوجدوا الله تواباً رحيماً.

فإذا تحقق الشرط وهو مجيئه مستغفراً ترتب عليه الجزاء، وهو وجدان الله تعالى تواباً رحيماً، والمجيء إليه عليه وآله الصلاة والسلام أعم من أن يكون في حياته، أو بعد انتقاله بل بعده أبسط حضوراً لمن قصده.

ولا شك أن التوجه إلى وجهته الروحية، مع التمثل بين يديه بالجثمان، أكمل، وأجمع للفضائل. وإذا كان الظالم نفسه هكذا في زيادته، فكيف بالصالح، فضلاً عن التقي، والعارف المتحقق؟!

وكلام الله تعالى حق، ووعده صدق، فمن لم يجد الله تعالى في زيارته النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فليراجع نفسه الغبية، فإنه إما أخلّ بالشرط، أو وجده سراً، وجداناً بسيطاً، غيبياً، منزهاً عن الكمية، مجهول الكيفية، وما تحقق علماً يقيناً مركباً تصديقياً شهدياً، فلا يلومن إلا نفسه القاصرة.

فإنه لا منع في فيض الحق، ولا ضيق في جاه المزور، بل القصور من قبل الزائر، وتحقيق هذا الوجدان إن وجده إن كان بمعنى أدرك، أو صادف، فهو يتعدى إلى مفعول واحد، وهو الوجد السري البسيط المجهول لكم كيف، أعني الحضور الإشراقي عين العالم والمعلوم، وإن كان بمعنى علم من أفعال القلوب، فهو يتعدى إلى مفعولين بمعنى التصديق المركب، المتضمن للحكم الإيقاعي، أو الانتزاعي، أعني: علم العلم المسمى بالحصولي، والأول العلم الحضوري الإشراقي، وهو علمه سبحانه وتعالى بذاته، وجميع صفاته، وبالعالم الذي هو فعله، وعلم الملأ الأعلى، وعلم الإنسان بذاته ولوازمها الأول كذلك حضوري، بمعنى الانكشاف التام بغير غيبه.

والثاني: العلم الحصولي للإنسان العاقل تصوراً، وتصديقاً بما خرج عن ذاته بطريق التمثل الصوري، أعنى: ارتسام صور الأشياء في القوة المفكرة، فحصل من ذلك أن المعارف المتحقق جامع بين الوجدان السري البسيط أن الله تعالى هو الباعث للعبد، التواب عليه، الجائي به إلى الزيارة، أو القاصد تشويقاً ومحبة: أينما كان بالتوبة، والإيمان لكل مؤمن إن كان متوجهاً إليه من سائر الآفاق إيماناً أولاً، واستحضاراً نجياً.

ثانياً: لأنه لا يؤمن إلا بإذن الله تعالى، خصوصاً بالزيارة للزائر، وبين التصديق اليقيني الشهادي أن العبد المؤمن الزائر مظهراً سمة التواب من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨] والحبيب المزور صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. بالنص.

فالمؤمن المتحقق بالوجدانين له علم بسيط متعلق بذاته سبحانه وتعالى وصفاته، ويشاركه فيه جميع الأشياء المسبحة بحمده، وله فضل علم، أعني: التصديق اليقيني المتعلق بأحكام الله تعالى وأفعاله، المترتب بعضها على بعض، وهو مناط الثواب، ورفع الدرجات.

وأما الزائر الفاقد، فإما أن يكون غيبياً لا يدري الزائر، والمزور، ولا تحقق رد المزور سلامه عليه فضلاً عن تحقق سلام المزور قبل سلام الزائر، كما قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤].

فهو كما قال، وما أحلى ما قال:

تاهت الألباب فيك فما ميزت ورداً من الصدر

فذلك لا عرف الإجابة، ولا باعث له على الزيارة إلا الضيق، والشكاية من أمر المعاش، والمضائق الدنيوية، وفضل الله تعالى أوسع، ورحمته وسعت كل شيء، وكمال شفقته سيدة المزور، معروف حيث سبقت له العناية بترتيب المقدمة، فسوف ينتفع بتفصيل النتيجة عند كشف غطاء البشرية، وإما أن تكون من الفرقة التائهة الجائرة المنكرة للروية، واللقاء دنيا، وعقب، فلا لكلام لنا معه، حيث حرم ما فاز به غيره في هذا النشأة معجلاً، وإن كان المطلوب ومن حيث لا يعلم، كما قيل:

ربّ أمر نحو الحقيقة ناظراً   برزت له فيرى وينكر ما يرى

وربما تأول نص التنزيل بقياس عقله على مقياس رأيه في نقله، فبعد عن المرام، وتاه في مهامه الكلام؛ لأن هذا الوجدان، والإدراك البسيط السري التصوري، واليقين المركب الإيمان الاستحضاري القلبي، المسمى بالإحسان المشار إليه «بكأنك تراه» في هذه النشأة الجامعة، خصوصاً في حضرته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بكمال ذاته المقدسة أبداً يصير رؤية أخروية تفصيلية، ومشاهدة جلية مناسبة لتلك النشأة النورية النزيهة عن أعراض هذه النشأة، والجواهر المكتنفة بها، وإنما حبس المتأول بالشبه، ثم منّ الله تعالى على هذه الأمة المرحومة بآية أخرى، تدلّ بصريحها على سعة الرحمة على العبد أينما كان، فقال جل وعلا: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٠].

والاستغفار مجازي، وهو أن يقول بلسانه: أستغفر الله، ولا يتصور شيئاً بقلبه، وحقيقي وهو الذي حظي به الكل، وهو نصب أعينهم إن سبقت لهم الحسنى والعناية الأزلية من الله تعالى لسرهم وروحهم، ولطيفتهم بطلب استعداداتهم الغير المجهولة بستر أنانيتهم، وتعينهم

الجزئي المائل عن حد الاعتدال في سعة بحر إطلاق وجود سيدهم، فاستمر فناؤهم في ربهم، وبقاؤهم بوجوده في سائر المراتب الاستيداعية، والمقامات الاستقرارية، فلا جرم دام شهودهم في جميع أحوالهم بغير مزاحمة دعوى الاستقلال بالوجود، وكانوا معه سبحانه في شهود شؤونه حيث كان معهم أين ما كانوا، فاستغفارهم أزلي أبدي بستر وجودهم في وجود سيدهم، وفي سائر أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وسمعوا خطاب ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

بل شاهدوا جهاراً أنه الواحد في الكل، فلا يكن الزائر أنزل حالاً ممن ذمه الله تعالى في كتابه من الظمآن الذي وجد الله عنده فوفاه حسابه[1]، وكان يقول قديماً مشائخ ما وراء النهر: من طلب شيئاً وجده.

ويقول مشائخ العراق: من وجد شيئاً طلبه، وشيخ الإسلام من مشائخ خراسان يقول: النزاع لفظي، والمآل واحد، سواء ضربت الزجاج على الحجر، أو الحجر على الزجاج، وأنا مع العراقيين.

ومآل الأقوال: يرجع إلى ما نحن فيه من الوجدان البسيط الستري، والمركب التفصيلي، ويتعلق بهذا الباب ما نقل عن بعض المحققين أنه قال: كل شيء إذا طلبته وجدته إلا الحق سبحانه وتعالى، فإن وجوده سابق لطلبه.

وكان يقال: ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك. وجاء في الخبر: إن سيدنا موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: يا رب! أبعيد

---

(١) المؤلف يقتبس عباراته من قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة النور الآية: ٣٩].

أنت فأناديك، أم قريب فأناجيك؟ فسمع الله تعالى يقول: أين ما قصدتني وجدتني، ويشير إلى الذوق الموسوي قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

وما أعذب ما قال:

كم ذاتموه بالشعبين والعلم ... والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها ... وعن تهامة هذا فعل مُتهم

وأقول كما قال:

إن كانت الأعضاء خالفت الذي ... أُمرت به من سالف الأزمان
فسلوا الفؤاد عن الذي أودعتم ... فيه من التوحيد والإيمان
تجدوه قد أدى الأمانة منهما ... فهَبوا له ما زال في الأركان

وما أرجى ما قال:

عصيتُ فقل لي كيف ألقى محمداً ... ووجهي بأثواب المعاصي مبرقع
عسى الله من أجل الحبيب وقربه ... يداركني بالعفو فالفضل واسع

الكوة التي في القبة الشريفة:

عن ابن الجوزي قال:

قحط أهلُ المدينة قحطاً شديداً، فشكوا ذلك إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت: انظروا إلى قبر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فاجعلوا منه كوة إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبينها سقف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمِّي: عام الفتق(١).

فالكوة التي في القبة الشريفة، هذا أصلها، وسنة أهل المدينة اليوم

---

(١) هذه القصة ذكرت في بعض تواريخ المدينة، ومنها كتاب: «نزهة الناظرين» للسيد جعفر البرزنجي، تحقيق الأستاذ: أحمد سعيد بن سلم.

في مثل ذلك: فتح باب المواجهة من المقصورة المحيطة بالحجرة المعطرة، والاجتماع هنالك للدعاء، والاستغاثة.

مسألة:

ورد عنه ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ: «إن في مسجدي لبقعة قِبل هذه الأسطوانة ـ يعني: الثالثة من المنبر والقبر، وتسمى أسطوانة القرعة ـ لو يعلم الناس ما صلوا إليها إلا أن تطير لهم قرعة».

قيل: والدعاء عندها مستجاب، كذا في «الجوهر».

مسألة:

ورد أنه ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ قال: «ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[1].

قال الخطابي: معناه من لازم طاعة الله تعالى في هذه البقعة، آلت به الحال إلى روضة من رياض الجنة يوم القيامة.

وقال غيره: يجوز أن يكون هذا الموضع بعينه روضة من رياض الجنة يوم القيامة.

وقال آخر: كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقتبسون العلم من النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في ذلك الموضع، وهو مثل الروضة، ويؤيده قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: يا رسول الله! ما رياض الجنة؟ قال: «حلق الذكر»[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وابن سعد، والإمام أحمد، وغيرهم، بلفظ «ما بين بيتي ومنبري».

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

عقيقـــة:

قال في «المواهب»:

واعلم أن أعظم نعيم الجنة، وأكمله: التمتع بالنظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقرة العين بالقرب من الله تعالى، ورسوله، مع الفوز بكرامة الرضوان التي هي أعظم الجنان، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة التوبة: ٧٢] ولا ريب أن الأمر أجلّ مما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الأنس، وحظيرة القدس بتحية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم، فأي نعيم يداني تلك المعية، ولذتها وقرة العين بها وبهجتها، وهل فوق نعيم قرة العين بمعية الله تعالى ورسوله نعيم.

فلا شيء أجل من حضرة يجتمع فيها المحب بأحبابه في مشهد مشاهد الإكرام، والعز المقيم، حيث يتجلى الحق جل جلاله، ويقول: سلام عليكم عبادي، ومرحباً بكم أهل ودادي، أنتم الآمنون المؤمنون، لا خوف عليكم اليوم، ولا أنتم تحزنون، هذه يدي مبسوطة عليكم، وأنا ربكم أنظر إليكم، فيقولون: ربنا حاجتنا النظر إلى وجهك الكريم، والرضا عنا، فيرفع الحجاب، ويتجلى الحق جل جلاله، فيخرّون سجداً، فيقول الله تبارك وتعالى: قد رضيت عنكم فلا أسخط عليكم أبداً. فما أحلاها من كلمة! وما ألذها من بشرى! فيقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [سورة فاطر: ٣٤ـ٣٥] والله أعلم.

مسألة:

ليس في الجنة عبادة إلا الحمد، والشكر، والتسبيح، والتهليل، من غير تكليف وإلزام، وإنما هو تيسير وإلهام. ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى

صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧٤].

إلهي لك الحمد الذي أنت أهلُه على نعم ما كُنت قط لها أهلا
إذا زدت تقصيراً تـزدني تفضـلاً كأني بالتقصير أستوجب الفضلا

وقال آخر:

لك الحمد يا الله في كل حاله ومن جملة الآلاء قولي لك الحمد
فـلا حمـد إلا أن تمـن بقـوة تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

وقال آخر:

إذا كان شكري أنعُم الله نعمة علي إنـه في مثلهـا يجب الشكـر
فكيف يكون الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتسع العمر؟!

قـدوم الرسول إلى المدينـة:

قدم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- المدينة المنورة ضحى يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، فاستقبله زهاء خمسمئة من الأنصار، فما رأى أحد مثل ذلك اليوم.

وخرج يوم الجمعة عند ارتفاع النهار، فركب ناقته، والمسلمون عن يمينه وشماله ومن خلفه، منهم الماشي، ومنهم الراكب، فما مرّ بدار من دور الأنصار إلا قالوا: هلم يا رسول الله! إلى القوة والمنعة، فيقول لهم خيراً، ويدعو، ويقول عن ناقته: «إنها مأمورة، خلوا سبيلها» فمر ببني سالم، فأتى مسجدهم الذي في وادي رانوناء، وأدركته صلاة الجمعة، فصلاها بهم[1] هناك، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، ثم

---

(١) وهذا المسجد يعرف الآن بمسجد الجمعة، ويقع على يمين الآتي من قباء، وأول من بناه عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً للوليد على المدينة، ثم توالت عماراته كلما احتاج إلى ذلك حتى الآن.

ركب ناقته، وسار حتى انتهت به إلى زقاق الحبشي بيوت بني النجار، فجعلت النساء والولدان يضربن على الدف، ويقلن:

طلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثنيـــات الـــوداع
وجـــب الشكـــر علينـــا مـــا دعـــا لله داع

وفي رواية:

أيهـــا المبعـــوث فينـــا جئـــت بـــالأمـــر المطـــاع
جئتنـــا تمشي رويـــداً نحـــونـــا أيـــا خير ســـاعِ

ومرّ عليه وعلى آله الصلاة والسلام بجوارٍ من الأنصار، وهن ينشدن، ويقلن:

نحـن جـوار مـن بنـي النجـار يـا حبـذا محمـد مـن جـار

فقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «الله أعلم أني أحبكم». ثم سار عليه وعلى آله الصلاة والسلام إلى أن بركت ناقته على باب أبي أيوب الأنصاري، رضي الله عنه[1] فنزل بها سبعة أشهر.

بنـاء المسجـد النبوي:

ثم بنى مسجده. قال أهل السير: بناه أولاً مئة في مئة، وقيل: أقل من مئة في طول سبعة أذرع، وقيل: في طول خمسة أذرع[2]. فلمّا فتح الله تعالى عليه خيبر بناه ثانياً، وزاد عليه مثله.

ولما هاجر ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ فرح بقدومه الشريف أهلُ المدينة، وكان يوم قدومه عندهم أعظم من يوم الزينة، وأول كلمة

---

(١) انفردت بها نسخة (ب) وهناك روايات أخرى.
(٢) لعل الأصح: سبعين في سبعين ذراع، وذلك عند بناء المسجد، ثم أصبح مئة في مئة ذراع في إعادة بنائه بعد غزوة خيبر. نزهة الناظرين (ص٣٨) تأليف: السيد جعفر البرزنجي، تحقيق الأستاذ أحمد سعيد بن سلم.

سمعت منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمدينة المنورة: «أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[١].

ولمّا بركت ناقته الميمونة عند المسجد الشريف[٢] قال: «هذا المنزل إن شاء الله تعالى مبارك، اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين».

فقال المحل بلسان الحال:

بقدومكم نزل السرور بساحتي   وغدا بها طير الهنا يُغرد
ولقد سموتُ على الديار بقربكم   حتى كأني فوقهن الفرقد
سبحان من بالعز بدل ذلتي   وأنالني مِنحاً عليها أحسد
إن البقاع إذا نظرت رأيتها   تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وكان موضع المسجد الشريف حديقة ليتيمين من الأنصار، هما: سهل، وسهيل، وكانا في حجر أسعد بن زرارة، وقيل: معاذ ومعوذ، فاشتراها النبي -عليه وعلى آله الصلاة والسلام- أو استوهبها وبناه مسجداً، وأمر بقطع ما كان فيها من النخل والغرقد، وكانت فيها قبور جاهلية، فأمر بها فنبشت، وأمر بالعظام فغيبت.

ولمّا أخذ في بنائه قال: «ابنوا لي عريشاً كعريش أخي موسى: ثُمامات وخشبات، وظلة كظلة أخي موسى، والأمر أعجل من ذلك» قيل: ما ظلة موسى عليه السلام؟ قال: «كان إذا قام فيه أصاب رأسه السقف».

وكان علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه، ورضي الله عنه - يرتجز في عمل المسجد فيقول:

لا يستوي من يعمر المساجدا   يَدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يُرى عن الغبار حائدا

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) أي: عند المكان الذي أصبح مسجداً فيما بعد.

فأقيمت فيه سواري من جذوع النخل، ثم طرحت عليها العوارض، والخسف، والإذخر[1]، فعاشوا فيه، وأصابتهم الأمطار، فجعل المسجد يَكِفُ عليهم، فقالوا: يا رسول الله! لو أمرت بالمسجد فطيّن، فقال: «لا، عريش كعريش موسى». فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وزاده شرفاً، وفضلاً لديه.

ثم تداولته أيدي الخلفاء، والملوك، فوسعت فيه، وبنته بمقتضى حال الوقت، وتفصيل ذلك مما يطول شرحه، وقد تكفلت بأخباره التواريخ.

وأنشدني العلامة الشيخ إبراهيم بن أبي الحرم المدني إجازة لنفسه:

من رام يستقصي معالم طيبة ويشاهد المعدوم كالموجود

فعليه باستيفاء تاريخ الوفاء تأليف عالم طيبة السمهودي

وروي عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[2].

وعنه ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ: «من دخل مسجدي يتعلم خيراً ويعلمه، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله تعالى، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس، كان كالذي يرى ما يعجبه وهو لغيره»[3].

وعنه ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ: «أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يُزار، وتُركب إليه الرواحل، صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من

---

(١) نبات عشبي، ينبت في مجاري السيول، رائحته طيبة.
(٢) رواه البخاري، ومسلم، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وغيرهم.
(٣) رواه ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، وابن ماجه، وغيرهم عن أبي هريرة.

المساجد إلا المسجد الحرام»[1]. كذا في «منح الفواتح».

وعنه -عليه وعلى آله الصلاة والسلام-: «من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة في مسجدي حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة»[2].

وعنه -عليه وعلى آله الصلاة والسلام-: «لا تقوم الساعة حتى يغلب على مسجدي هذا الكلاب، والذئاب، والضباع، فيمرّ الرجل ببابه فيريد أن يصلي فيه، فلا يقدر عليه» كذا في «الدرة».

وما أحسن ما قال:

السباق السباق قولاً وفعلاً   حذر النفس حسرة المسبوق

القبة الزرقاء:

ومن محاسن المسجد الشريف: القبة الزرقاء[3] التي من حظي بقربها قضيت له السعادة الأزلية بألا يشقى، كيف لا؟ وقد اشتملت على ضريح سلطان الأنبياء، وترجمان الأصفياء -عليه وعلى آله الصلاة والسلام-، فلقد سعدت بها طيبة الطيبة، واستنزلت بساكنها من الله تعالى شآبيب رحمته الصيبة.

وما ألطف ما قال:

فيها حاسنها والليل مرخٍ سدوله   وقد أشرقت بالنور قبتها الزرقا

وقالوا: يرق العيش فيها على الفتى   فقلت: وما أحلاه عيش وإن رقا

الروضة المطهرة:

ومن محاسنه: الروضة المطهرة، وما اشتملت عليه من الآثار

---

(١) رواه البزار، والفاكهي، وابن الجوزي، وابن النجار عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في تاريخه عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف.

(٣) وقد غير لونها إلى اللون الأخضر في عهد السلطان محمود خان عام (١٢٥٣هـ) نزهة الناظرين (ص٢١٥) تحقيق الأستاذ: أحمد سعيد بن سلم.

المحمدية. قال في «الجوهر المنظم»: لم يتحرر عرض الروضة لاختلاف في الروايات الصحيحة، قاله ابن جماعة، والظاهر منها: أن جميع مسجده روضة، فيه تُطلق على أماكن متفاوتة في الفضل، فأفضلها ما بين القبر والمنبر[١]، ثم ما بين بيوته كلها والمنبر[٢]، ثم بقية المدينة، ثم ما كان خارجها إلى المصلى. انتهى كلام الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ.

وما أحسن ما قال:

إذا قمت فيما بين قبر ومنبر ... بطيبة فاعرف أين منزلك الأرقى
لقد قمت في دار النعيم بروضة ... ومن قام في دار النعيم فلا يشقى

وقال آخر:

بهجة العين روضة المختار ... تنجلي في مشارق الأنوار
أول العالمين في الخلق لكن ... آخر المرسلين في الإنذار
حرم حلّ فيه خير إمام ... جامع الفضل قبلة الأبرار
باذخ الأصل ناسخ الجهل علماً ... راسخ الفضل شامخ في الفِخار
مضريٌّ وأبطحي حسيب ... قرشي وهاشمي نزاري[٣]
صفوة الحق أشرف الخلق طُرّاً ... نخبة من خلاصة الأخيار
يا رسول الإله كن لي شفيعاً ... يا شفيع العصاة من حرّ نار
أنت في الأنبياء سلطان شرع ... جئت بالسيف منذر الكفار[٤]

---

(١) لورود الأحاديث في ذلك.

(٢) لورود الأحاديث في ذلك.

(٣) انفردت بهذا البيت نسخة (ب) (ج).

(٤) لم يبتدىء صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالجهاد لنشر الدعوة حتى انتقل إلى المدينة، وأمر بذلك بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وإن الجهاد في الإسلام لم يفرض إلا ضد من يقف في طريق =

فعليك السلام من عبد ودٍّ ما سرى سر نسمة الأسحار
وعلى الآل والصحاب جمعاً وعلى التابعين والأنصار

مسألة:

قوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «ما بين حجرتي ومصلاي روضة من رياض الجنة».

قيل: المراد: مصلاه في مسجده، وقيل: مصلاه مصلى العيد[١]، وهو ما فهمه بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم. كذا في «الجوهر المنظم».

مسألة:

ما بين المنبر ومقامه؛ الذي كان يصلي فيه أربعة عشر ذراعاً بذراع اليد المعتدلة. حكاه ابن حجر رحمه الله تعالى.

المنبر الشريف:

كان المنبر الشريف من طرفاء[٢] الغابة، ثلاث درجات، وذلك في سنة ثمان من الهجرة، وعنه ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ: «منبري على حوضي». قال الخطابي: معناه: من لزم عبادة الله تعالى عنده سُقي من الحوض يوم القيامة. وقال غيره: المعنى: أن الله تعالى يعيد هذا المنبر بعينه على حاله، فينصبه عند حوضه، كما يعيد الخلائق أجمعين.

= دعاة الله أن تصل إلى عباد الله، وهو ليس غاية، ولكنه وسيلة ليفسح الطريق أمام دعاة الخير.

(١) مصلى العيد: هو ما يعرف في الوقت الحاضر بمسجد الغمامة بجنوب غربي المسجد النبوي.

(٢) الطرفاء: شجر يكثر في غابة المدينة الواقعة في شمالها، وقد أخذت أخشاب المنبر منها.

وعنه ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ: «منبري على ترعة من ترع الجنة»[1].

وقال ابن سلام: في الترعة ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنها الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة.

وثانيها: أنها الباب.

وثالثها: أنها درجة.

ورُوي: «على رتعة» بتقديم الراء على التاء، والرتعة ـ بسكون التاء وفتحها ـ: الاتساع في الخصب، وكل خصب مرتع.

وعنه ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ: «لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة، ولو على سواك أخضر، إلا يتبوّأ مقعده من النار، أو أوجبت عليه النار»[2].

وفي رواية: «من حلف عند منبري هذا بيمين كاذبة يستحل بها مال امرىء مسلم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[3].

فـائدة:

عن كعب الأحبار: ما من يوم وليلة إلا وينزل عند الفجر سبعون ألفاً من الملائكة، يحفّون بالقبر الشريف، ويصلون عليه إلى الليل، ثم ينزل سبعون ألفاً يفعلون كذلك إلى الفجر، وهكذا حتى يقوم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قبره في سبعين ألفاً يزفونه.

---

(١) رواه أبو نعيم الأصفهاني، والبيهقي.
(٢) رواه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.
(٣) رواه النسائي والطبراني في الكبير وأبو نعيم في المعرفة.

والمراد: أنهم يصلون صلاة مخصوصة، وإلا فجميع الملائكة يصلون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦].

وقد صح الحديث: أن الملائكة تسعة أعشار الخلق.

كسوة الكعبة المشرفة والحجرة المطهرة:

فائدة:

في عشر الستين وسبعمئة اشترى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر[١] قرية من بيت مال المسلمين بمصر المحروسة، وأوقفها على كسوة الكعبة المشرفة[٢] في كل سنة، وعلى كسوة الحجرة المعطرة[٣] في كل خمس سنين مرة بالحرير الأخصر، والأبيض، مكتوباً فيها الشهادتين على رسم الدلالات، وأسماء الخلفاء.

ومن محاسن آل عثمان ـ خلد الله تعالى أيام دولتهم ـ: أنه إذا ولي أحدهم الملك كسا الحجرة المعطرة بكسوة أخرى بالحرير الملون، والوضع البديع.

وفي أيام المرحوم السلطان سليمان[٤] ـ عليه الرحمة والرضوان ـ كسيت مرتين، وإذا وصلت الكسوة الجديدة قسمت تلك الكسوة

---

(١) إسماعيل بن الناصر من ملوك الدولة القلوونية بمصر والشام، بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد عام (٧٤٣هـ) الأعلام (١/ ٣٢٤).

(٢) وفي الوقت الحاضر تقوم الدولة السعودية بتأمين الكسوة ونسجها، حيث أنشأت وزارة الحج والأوقاف مصنعاً لذلك الغرض.

(٣) في الوقت الحاضر لا توجد كسوة للحُجرة.

(٤) السلطان سليمان القانوني: حكم بين عامي (٩٢٦/ ٩٧٤هـ) وهو السلطان العاشر.

القديمة على خدام الحرم الشريف بيعت كسوة الضريح النبوي إذا صارت مخلوقة، وجددت، ونقلها جائز بناء على أن ذلك موقوف على إذن السلطان[١].

وتوالي ولاة الأمر على ذلك دليل على الإذن السلطاني[٢] حتى يظهر ما ينافيه، وإنما الخلاف في كسوة الكعبة بناء على شرط الواقف، كذا في كتاب «زهر البساتين».

وهذا بالنظر إلى الكسوة العثمانية، ولا بأس بإخراج تراب الحجرة المعطرة، والمسجد الشريف وآثاره للتبريك.

قال في «شرح المناسك»: لا بأس بإخراج تراب الحرم، وأحجاره، وأشجاره اليابسة، والإذخر مطلقاً[٣]، وماء زمزم للتبرك به إجماعاً، زاد في «الكبير»: وتراب البيت للتبرك به، لكنه داخل في عموم ما سبق، وهذا القدر اليسير الذي لا يؤدي إلى التعمق في الحفر، قاله الملا علي القاري[٤].

تتمــة:

قال السبكي في كتابه: «تنزيل السكينة على قناديل المدينة» اختلفوا إذا وسع المسجد عما كان عليه في زمنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هل تثبت الفضيلة أم لا؟ أم تختص بالقدر الذي كان في زمنه؟ وممن رأى

---

(١) أي: إذا أصبحت الكسوة قديمة وممزقة يقولون بجواز بيعها، ونقلها.
(٢) انفردت به النسخة (ب) (ج).
(٣) الإذخر: شجر ينبت في الأودية، وهو طيب الرائحة عندما يحترق، وقد رخص في قطعه الرسول من الحرم.
(٤) أما موضوع التبرك بتراب المسجد النبوي، فالأمر يخضع للنصوص الشرعية، وما ورد في ذلك هو قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ترابها شفاء من الجذام» ولم يحدد تراب الحجرة والمسجد خاصة، والله أعلم بالصواب.

الاختصاص الإمام النووي، ورأى جماعة عدم الاختصاص، كما في مسجد مكة، وقد ثبت أن مسجده سبعون ذراعاً في ستين.

قنـاديل الحرم:

وأما تعليق القناديل في الحجرة المعطرة، وجعلها ملكاً، أو وقفاً، أو نذراً، أو هبة، فلا يجوز التهاون به، وإن لم يكن تعليقها في الأول واجباً، ولا مندوباً، فقد صار شعاراً يحصل بإزالته النقص، فيجب إدامتها مع إبقائها على الملك.

المحراب النبوي:

ومن محاسن المسجد الشريف: محرابه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشرف، وكرّم ـ، فإن الوقوف بهذه المواقف الجليلة من أعظم النعم الجليلة، وأي فضيلة أعظم من الوقوف بذلك الموقف الشريف، والتملي بأنوار ذلك المقام المنيف! وأنشدني بمصر المحروسة سنة اثنتين وأربعين السيد الشريف القاضي المجاز لنفسه ما قال:

إذا رُمت جاهاً ألقِ ظهرك يا فتى   لظهر سما في الناس وهو رحاب
أما تنظر المحراب لولا استناده   إلى البيت لم تخضع إليه رقاب؟!

فائدة:

ابتداء الإمام الحنفي بعد الستين وثمانمئة ومحرابه نهاية زيادة عمر بن الخطاب[1].

ومن محاسن المسجد الشريف: باب الوفود، المبلغ قاصد تلك العتبة العلية المقصود، فإنه الباب الذي لا يشقى وافده، والمورد العذب الذي لا يظمأ وارده. قيل: إن من أصيب بنائبة، واستند إليه فرج الله تعالى كربه، وهون صعبه، وخلا عن الاستعداد، ولم يكن فيه قابلية الاستمداد.

---

(١) يعني بذلك: المحراب السليماني.

وما أجلّ ما قال:

وبـــاب إذا أمّـــه وافـــدٌ رآه مـن الغيـث أدنـى وأنـدى
لـه الفتـح دأب ومـن شـأنـه يُـرد وقـاصـده لـن يـردّا

ومن محاسن المسجد الشريف: البادهج اللطيف، فإنه ينزل منه الهواء الرطب، خصوصاً في الأيام الحارة، فيحصل به رفق بالمحرورين، بل ويُستغنى به عن نسمات البساتين، وهو في ثلاثة مواضع من المسجد الشريف[1].

وعليه فما أحسن ما قال:

يـا طيب نفحة بـادهج لم يزل بهـوائـه لنفـوسنـا تنفيـس
مُغرى يجذب الريح من آفاقه فكـأنـه للـريـح مغنطيـس

ومن محاسن المسجد الشريف: صحنه، فإن الجالس فيه أحسن حالاً منه في البساتين، مع ما اختص به من مشاهدة الحجرة المعطرة المطهرة، والقبة الشريفة إلى غير ذلك من الفضائل التي لا تحصى، والنوافل التي لا تُستقصى.

وفي الصحن نخلة مرجبة[2] حولها داربزين من خشب مربع الشكل، وهي بقايا نخلات كانت هنالك، قيل: كانت بصحن المسجد نخيل مغروسة نحو خمسة عشر. قال المجد اللغوي: وفي أيام عزيز الدولة شيخ الخدام غرس كثير من هذا النخل الذي بالمسجد اليوم، وكأنه لم يتعرض أحدٌ لهذه البدعة، كذا في «المغانم»، وفي كتاب «زهرة البساتين».

فإن قيل: كيف ساغ غرس النخل في المسجد، وهو من البدع المنهي عنها؟ الجواب: أن المسألة مختلف فيها، فمنهم: من كره، ومنهم: من

---

(١) لعله يقصد النوافذ التي حول قبة الرواق الأمامي.
(٢) لم يعد هناك نخل في صحن المسجد النبوي، بل أزيلت قديماً.

منع، ومنهم: من أباح. ولا يسوغ الإنكار إلا في مسائل الإجماع، أما حكم ثمرتها فإنها مباحة لجميع المسلمين، كالنابت في المقبرة، والبيداء، ومحجة الطريق.

الآبـار المنسوبـة إلى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

تتميم:

في ذكر آبار النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهي كثيرة، إلا أن المشهور منها سبعة، وفي ذلك يقول أبو اليمن المراغي، وما أحلى ما قال:

إذا رمـت آبـار النبـي بطيبـة   فعـدتهـا سبـع مقـالاً بـلا وهـن
أريس وغرس ورومة وبضاعة   كذا بصة قل بئر حاء مع العهن

بئـر أريس[1]:

كأنيس، وتعرف ببئر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفيها سقط خاتمه الشريف من يد عثمان ـ رضي الله عنه ـ في أيام خلافته، فنزحت، فلم يوجد، وعندها حدائق ذات بهجة، وماؤها أعذب ماء هنالك.

وهي غربي مسجد قباء، طولها أربعة وعشرون ذراعاً وشبراً، منها ذراعان ونصف في الماء، وعرضها خمسة أذرع، وطول قفها[2] الذي جلس عليه ـ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثلاثة أذرع، وعند البئر

---

(١) بئر أريس: سميت بأريس نسبة إلى صاحبها، وكذا عرفت ببئر الخاتم؛ لأن خاتم الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقع فيه من يد عثمان، وكان موقعها أمام باب مسجد قباء، وقد ردم، وأدخلت ضمن المساحة التي أمام باب المسجد.

(٢) القف: هو الحوض الذي يصب فيه الماء، ومنه يتصرف في المجاري إلى حيث يُسقى منه الزرع.

أطم عال خراب يعرف بالحصن، كذا في «الجوهر المنظم».

قلت: وقد تجدد بناء البئر بعد ذلك مرات، وزيد في علو السقف، وجعل في قلب البئر مسجد لطيف، والحصن اليوم مسكن فلاح البئر المذكورة[1].

بئر غرس:

بفتح أوله، ويُروى بالضم، جاءها النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فدعا بدلو من مائها، فتوضأ، ثم سكب فيها، فما نزفت[2] بعد ذلك.

ورأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح على غرس، فتوضأ منها، وبصق فيها، وأُهدي له عسل فصبّه فيها، وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء من جهة المشرق نحو نصف ميل، وعند ركنها الشرقي القبلي الحديقة المغلية، طول بئرها سبعة أذرع، وعرضها عشرة أذرع، والماء ذراعان، كذا في «الدرة الثمينة».

ومجاز البئر قبلي، واشتهر عند أهل الفلاحة أن المجاز الشامي أوفق بالصنعة، وسرّه الانحدار الطبيعي، ومساعدة الهواء، وفي «الجوهر النظم» ورد «يا علي! إذا أنا مت فاغسلني بماء من بئر غرس بسبع قرب، لم تحلل أوكيتهن» فغسل منها كما أمر.

وكانت خراباً فجددت بعد السبعمئة، ولها درجة من داخل الحديقة، وبقربها مسجد، ولها درجة أخرى من خارج الحديقة، عمرت

---

(١) وقد أزيلت هذه المعالم في السنين الأخيرة نتيجة لتوسعة مسجد قباء والميادين المحيطة به، وبعضها تجاوزت الحجاج.

(٢) نزفت: أي: جف ماؤها.

عام اثنين وثمانين وثمانمئة، وكانت عليها حديقة غناء، فصارت بواراً، وكأن لم تكن.

وما أوقع ما قال:

بني الدنيا أقلوا لهم فيها فما فيها يؤول إلى الفوات
بناء للخراب وجمع مال ليغني والتوالد للممات

بئر رُومة[1]:

بالضم، في غربي المدينة، بعيدة منها، وهي نزاح واسع من الأرض وطي وعندها بناء من حجارة عظيمة، كان دير يهودية، طوله ثمانية عشر ذراعاً، وعرضها ثمانية أذرع، وماؤها حلو، صاف، طيب.

وورد: «نعم القليب قليب الموتى» وكانت ليهودي بيع ماؤها للمسلمين، فقال عليه الصلاة والسلام: «من يشتري رومة فيتصدق بها فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم، وله فيها شرب من الجنة؟» فساوم عثمان ـ رضي الله عنه ـ اليهودي، فأبى عن بيعها كلها، فاشترى منه نصفها باثني عشر ألف درهم، فجعله للمسلمين، وصار لكل يوم، فكان المسلمون يستقون يوم عثمان ما يكفيهم يومين، فقال اليهودي: أفسدت عليّ ركيتي، فاشترى النصف الثاني بثمانية آلاف درهم، واستقل بها المسلمون، وحول هذه البئر آبار طيبة الماء، عجيبة الوضع، والبناء، بحيث يزعم الناظر إليها أنها من وضع الجن لغرابة أمرها.

وما ألطف ما قال:

وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا عجباً عدوه من صنعة الجن

---

(١) لا زالت موجودة على ضفة وادي العقيق، مما يلي المدينة في أرض الوحدة الزراعية، ويعرف الحي الذي تقع فيه بحي الأزهري.

بئر بُضاعــة[1]:

بموحدة مضمومة، وتكسر، فمعجمة، وقيل: مهملة، وهي شمالي المدينة، صح أنه قيل للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: إنه يُستقى لك من بئر بضاعة، وهي بئر تُلقى فيها الكلاب والمحائض، فقال: «إن الماء طهور لا ينجسه شيء».

وفي ذلك كما لا يخفى رخصة عظيمة، ونعمة جسيمة.

وصح أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بصق فيها، وتوضأ من دلو منها، وردّه إليها، ودعا لها.

وكان المريض يغتسل منها فيبرأ، يكون الماء منها على قدر ذراعين، عرضها ستة أذرع، وطولها أحد عشر ذراعاً وشبراً.

وهذه البئر في بستان، وماؤها عذب، طيب، ولونه صافٍ، أبيض، طيب الرائحة، كذا في «الدرة».

قلت: وعندها اليوم مسجد لطيف.

أما البستان فقد صار من أنضر الحدائق، وأحسنها.

وللنجـم بعـد الهبـوط استقـامـة وللـدهـر أيـام تجـور، وتعـدل

بئر البصــة[2]:

بموحدة مضمومة فمهملة محققة، قيل: مشددة، من: بص الماء:

---

(1) بئر بضاعة: كانت تقع شمال المسجد النبوي قريباً من مزرعة بضاعة، وقد أزيلت المزرعة والبئر، حيث تحوّلت إلى حي سكني، ثم أزيل إلى ضمن مشروع تحسين المنطقة المجاورة للمسجد النبوي، وأعيد إنشاء عمارات سكنية فيها، وقد قامت بذلك شركة طيبة الاستثمارية.

(2) بئر البصة: تقع جنوب المسجد النبوي الشريف، وغربي البقيع، وقد أزالتها إدارة الأوقاف بالمدينة، وأقامت عليها مشروعاً تجارياً وسكنياً. =

رشح، والأول: من: وبص كـ: وعد؛ إذا بلغ.

خرج إليها النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وغسل رأسه منها بالسدر يوم الجمعة، وصب غسالة رأسه، ومراقة شعره فيها، وهي قريبة من البقيع على يسار الطريق السالك إلى قباء في حديقة موقوفة على الفقراء، وهي ما بين النخيل، وقد هدمها السيل، وطمها، ثم عمرت، والماء فيها أخضر، وإذا انفصل منها فهو أبيض.

طولها أحد عشر ذراعاً، منها ذراعان في الماء، وعرضها تسعة أذرع، وهي مبنية بالحجارة، حلوة الماء، طيبته، وفي الحديقة بئر أخرى في قبلتها أصغر منها، رجّح بعضهم الكبرى، واختار بعضهم الصغرى.

بئر حاء[1]:

قال المجد: هي بئر قريبة الرشا، ضيقة الفناء، طيبة الماء، وقد أفرد لها بعضهم مصنفاً، وفي «الدرة الثمينة»: في الصحيح من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري المدينة مالاً من نخل، وكانت أحب أمواله إليه بئر حاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان عليه وعلى آله الصلاة والسلام يدخلها، ويشرب من مائها، فلما نزلت قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٢] أتى أبو طلحة إلى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: يا رسول الله! إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بئر حاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله! حيث أراك الله تعالى.

فقال رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «بخ، ذلك

---

(١) كانت شمال المسجد النبوي بالقرب منه، وقد أزيلت ضمن مشروع خادم الحرمين الشريفين، وأدخلت ضمن المسجد، أو بالقرب منه.

مال رابح، وقد سمعتُ ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل، فقسمها في أقاربه، وبني عمه.

قال في «الوفاء»: وكان منهم أُبيّ بن كعب، وحسان بن ثابت، فباع حسان حصته من معاوية بن أبي سفيان، فقيل له: تبيع صدقة أبي طلحة؟! فقال: ألا أبيع صاعين من تمر بصاع من دراهم.

قال الحافظ ابن حجر: وبَيْع حسان لحصته من معاوية دليلٌ على أن أبا طلحة ملّكهم الحديقة المذكورة، ولم يقفها عليهم، ويحتمل أنه أوقفها، وشرط أنّ من احتاج إلى بيع حصته، جاز له ذلك، كما قال بجوازه على غيره.

قال في «الوفاء»: قلت: وقد اشترط ذلك عليّ في صدقته، كما حكاه ابن شيبة عن نسخة كتاب الصدقة.

وقد اختلف الناس في ضبطه فقال صاحب «النهاية»: بئر حاء بفتح الباء وكسرها، وبفتح الراء وبضمها، وبالمد فيهما، وبفتحهما، والقصر.

وقال الزمخشري: بئر حاء: فيعلى، وهي الأرض المكشفة الظاهرة، وهي على الإضافة.

وحاء اسم رجل أو قبيلة فينون، أو هي مقصورة، وهذه البئر اليوم في وسط حديقة صغيرة، قريبة من البقيع[1]، ومن سور المدينة على طريق سالكة طولها عشرون ذراعاً، منها أحد عشر في الماء، وعرضها ثلاثة أذرع وشبر، وهي في مقابلة المسجد النبوي من جانب الشمالي[2].

---

(١) البقيع يقع في شرقي المسجد النبوي، والحديقة المذكورة في شماله، فأين القرب؟!
(٢) هذه المقاييس الأخيرة خاصة بالبئر نفسها لا بالحديقة كما يتبادر إلى الذهن.

بئر العهن[1]:

بئر بالعالية، مليحة، منقورة في الجبل، لا تكاد تنزف، وتسمى اليسيرة، برك عليها النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- وتوضأ منها، وبصق فيها، وكانت للأنصار، وهي اليوم لآل شدقم من بني حسين أشراف المدينة، عليها حديقة غناء، وفيها روضة حسناء.

وقد اختلف في السابعة من الآبار، فقيل: هي العهن، وهو المشهور عند أهل المدينة، وقيل: بئر السقيا، ولا يعرف جهتها فضلاً عن عينها[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- قال في مرضه: «صبوا عليّ من سبع قرب من آبار شتى» ولا دلالة في الحديث على إرادة هذه الآبار المذكورة.

ذكر عين النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-:

قال في «الدرة»: لما كانت أيام الخندق، وكانوا يخرجون مع رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- ويخافون البيات (فيدخلون كهف بني حرام، وهو في غربي جبل سلع[3])[4] تجاه الحديقة النقيبية، فبات النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- حتى أصبح هبط، ونقر

---

(١) من آبار العوالي.

(٢) والسقيا: مكانها معروف، وقد نقل الخياري عن المطري أنها في آخر منزلة النقا، على يسار السالك إلى آبار علي بالمحرم، قال: وهي منقورة بالجبل، إلى أن قال: وبئر السقيا، أو بئر مالك بن النضر هي البئر التي على يسار الخارج من باب العنبرية، وعلى يمين الداخل للمدينة، وليس بها ماء في وقت الخياري المتوفى عام (١٣٨٢هـ). تاريخ معالم المدينة ص (١٩٣).

(٣) انفردت به النسخة (ب) (ج).

(٤) لعلها في منطقة السبعة المساجد.

العيينة التي عند الكهف، وتوضأ منها.

نسب الرسول ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ:

ذكر نسب رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال قائلهم:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع[1]

وإلى هاهنا أتوقف، واختلفوا فيما وراء ذلك.

خاتمة:

قال بعضهم: هذا النسب الشريف يكتب لكل شيء؛ لأنه اشتمل على حروف الاسم الأعظم، وقد جرّب في مهمات كثيرة، وما زال السلف يحفظونه، ويأمرون أولادهم بحفظه، والتبرك به.

وما أحسن ما قال:

هات لي ذكر من أحب وخلّ كل من في الوجود يرمي بسهمه
لا أبالي ولو أصاب فؤادي إنه لا يضر شيء مع اسمه

□ □ □

(١) لعل قائل هذا البيت هو الفرزدق، الشاعر الأموي المعروف.

فصل

فيما اشتمل عليه سور المدينة العلية، وذكر بعض مناهلها العذبة الهنية

- أسوار المدينة
- محاسن المدينة
- محبة آل بيت النبوة
- الصدقات في المدينة
- مناهل المدينة
- صوافي معاوية
- حمامات المدينة

بشراك يا ساكن المنازل بمنزل ماله مماثل
تشاهد المصطفى دوماً من حيث لا مانع وحايل
فاشكر لمولاك كل حين فالفضل بالشكر غير زائل

وما أصدق ما قال:

إذا كنت بطيبة ساكناً وكنت بعيداً من المسجد
فإن فضيلة من قد دنت به داره منه لم تجحد

أسوار المدينة:

قيل: لم يكن للمدينة المنورة سور في الزمان القديم، وأول من بنى بها سوراً بعد خراب أطرافها عضد الدولة، وذلك بعد الستين وثلاثمئة في خلافة الطائع بن المطيع.

قال المجد اللغوي في «المغانم المطابة»[١]:

وكان يصلي العيد داخل الباب، ويُروى أن إسحاق بن محمد الجعدي بنى سور المدينة سنة مئتين وثلاث وستين، وجعل فيه أربعة أبواب.

ويحكى عن القاضي سنان الحسني أنه كان يقول في الخطبة على المنبر: اللهم صنْ حريم من صان حريم (جيران نبيك) بالسور محمد بن علي بن منصور.

وفي أيام الشريف أبي نمي محمد بن بركات شريف مكة المشرفة، استولى على الديار المصرية ملك الروم والسلطان الأعظم سليم عليه الرحمة والرضوان، فجهز إليهما قاصداً بالاستمرار، والاستقرار، والاستيلاء على تلك الديار.

وما أحسن ما قال:

---

(١) المغانم المطابة في أخبار طابة.

فلا عدمنهم نعمة خلقت لهم ودنيا بهم فيها الحياة تطيب

فكان السلطان سليم عليه الرحمة والرضوان هو أول من ملك الحرمين من آل عثمان، وذلك سنة تسع وعشرين وتسعمئة.

ومن محاسن السلطان سليم[1] قوله على ما حكاه عنه القطب الحنفي في كتاب: «الأعلام»:

الملك لله من يظفر بنيل غنى يتركه قسراً وضمن بعده الدركا
لو كان لي أو لغير قد نملة فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وفي أيام ولده السلطان سليمان[2] عليه الرحمة والرضوان كان بناء سور المدينة اليوم، وذلك سنة تسعمئة وتسع وثلاثين، وبنى على أساس السور القديم في تسع سنوات لتعطيل العمارة في خلال المدة، وكان تمامه في سنة تسعمئة وست وأربعين، ودابر السور بذراع العمل[3] في ثلاثة آلاف واثنين وسبعين ذراعاً، وقيل: هو ما بين الأبراج والتجويف أربعة آلاف، والمصرف عليه مئة ألف دينار[4] وكتب على الباب الغربي[5]: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[6] وقد حصل ولله المنة بهذا السور لأهل المدينة المنورة كمال المسرة والأمان، على اختلاف حال الزمان.

---

(١) حكم بين عامي (٩١٨/٩٢٦هـ) وهو شاعر، وينظم الشعر باللغة الفارسية.

(٢) حكم بين عامي (٩٢٦/٩٧٤هـ) ويلقب بسليمان القانوني لكثرة ما سنّ من القوانين والتنظيمات في الدولة العثمانية.

(٣) ذراع العمل = ٧٥ سم ويعرف في المدينة بالذراع المعماري، ويتعامل به في أعمال البناء وبيع الأراضي.

(٤) كان مبلغاً كبيراً.

(٥) يبدو أنه باب المصري.

(٦) سورة النمل الآية رقم (٣٠).

وما أحسن ما قال:

يا من لهم مهجتي والحشاءة منازل تزهو ببنيانِ
قلبي لكم سور بليغ البناء كأنه السور السليماني

محاسن المدينة:

ومن محاسن المدينة، بل من رحمة الله تعالى وعنايته بها: كونها في ولاية صاحب الوقت والزمان، وصاحب العزة والأمان، والهمام الذي إذا نسب إلى النفوس كان العاشر في البشر أولي العقول فهو الحادي عشر شمس سماء الخلافة، وقمرها في الليل البهيم، ظل الله في أرضه القائم بإحياء سننه، وفرضه، ودينه القويم بحجة الله الواضحة، ودلالته الناصحة للخلق على التعميم، أمين الله تعالى على خلقه وخليفته، القائم بحقه بتقدير العزيز العليم، الجامع بين شجاعة الليث، وسماحة الغيث، والخلق العظيم، وخادم الحرمين الشريفين[1] سلطان الروم واليمن والعراقيين، واسطة عقد آل عثمان السلطان بن السلطان بن السلطان المظفر، المنصور، المعان، المؤيد بالتوفيق والسداد، مولانا السلطان مراد[2] خلد الله تعالى ملكه على تعاقب الآباد، وجعل الممالك في ملكه، وملك عقبه إلى يوم التناد[3] ولا برحت أيام إقباله مسفرة،

---

(١) لقب خادم الحرمين: هو لقب يتشرف أن يحمله كل من يتولى شؤون الحرمين الشريفين، وقد أطلق على بعض الحكام كان أولهم صلاح الدين الأيوبي، والسلطان سليم الأول، كما أطلق ضمناً على من جاء بعدهم من آل عثمان، ولا سيما من قام بالعناية بالحرمين الشريفين، وقد تلقب بهذا اللقب الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وتخلى عن ألقابه الملكية الأخرى. نزهة الناظرين ص(٢٠) تحقيق الأستاذ أحمد سعيد بن سليم.

(٢) حكم بين عامي (٩٨٢/ ١٠٠٣هـ).

(٣) وقد أزيلت دولة آل عثمان على يد الاتحاديين (١٩٢٢م).

ووجوه الأنام بتحقيق المرام في أيامه مستبشرة، والله تعالى يجعل صدقاته الشريفة تسقى من داء الحرمان بكل فائدة، وصلاته المنيعة لكل من ضعف عن الوصول إلى استحقاقه عائدة، ما دامت الأيدي بالدعاء له مرفوعة، وقلوب أهل الإيمان على محبته مجموعة.

اجدد عهدي بالدعاء لدولة قديماً أمدتني ودام لها جهدي
وأحمد عودي بعد بدء مثنياً على فضلها فيما أسرّ وما أبدي

ومن محاسنها، بل من محاسن الدهر: تعلق أمورها، وأحكامها بصاحب القبلة المرضية، حامي بلد الله الأمين، وبلد جده سيد المرسلين السيد الشريف، السند المنيف، ناصر الشريعة القويمة، سالك المسالك المستقيمة، نور حديقة الفتوة، والبسالة، المختص من الله تعالى بجزيل العواطف وجميل المنن، مولانا السيد زين بن محسن بن حسين بن حسن[١] زاد الله تعالى في شأنه عزاً، ومكانة، وجعله فوق أعدائه مكاناً، لا برحت ألوية مجده برياح السعادة خافقة، وألسنة الأقلام على مدى الأيام بمدائحه ناطقة، فلقد طابت بشمائله الشائقة، ونوافله الفائقة طيبة الطيبة، وما حولها من البقاع، وشفى بالأمن مرهوبها من الرعايا وسائر الأتباع، وأصبح أهلها بحمد الله تعالى يرفلون وجوده في حلل الوفاء، وحلل الصفاء، وينتقلون من مكارمه بعد التتميم والتكميل إلى الاكتفاء.

محبــة آل بيت النبوة: لوائح وفواتــح:

ولما كانت محبة آل البيت النبوي من أسنى المطالب، لا سيما وقد قال الله تعالى في كتابه المحكم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[٢].

---

(١) من النص السابق نستدل على أن المدينة كانت تابعة إدارياً لشريف مكة.
(٢) سورة الشورى الآية (٢٣).

وإذا الأنـام تـوسلـت بـوسيلـة فــوسيلتــي حبــي لآل محمــد

حتى قال أهل التحقيق: إن خواص العلماء يجدون في قلوبهم مزية تامة لمحبته ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ثم محبة ذريته لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة، وتطهيرهم بمحض فضل الله تعالى من الأوصاف الذميمة، وينظرون إليهم اليوم نظرهم إلى آبائهم بالأمس لو رأوهم، ويغضون عن انتقادهم، ويزيدون في ودادهم، ويكلون أمرهم إلى بارئهم، كما قال: (فما كان منكم جميل فإنكم بعضهم)[1].

لأحمـد هـواكـم وأرعـى ودادكـم وحق لآل المصطفى عندي الود

فما كان منكم من جميل فإنكم منابعه والفرع عن أصله يبدو

وما خالف المعروف في ظاهر فقد تولاه رب يرحم العبد إذ يعدو

لاق وراق التنبيه على ذلك، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

قال مولانا السيد شيخ باعلوي[2] في ديباجة كتابه «العقد النبوي»:

«الحمـد لله الـذي اختـص أهـل البيـت المطهـريـن مـن الأرجـاس والأدناس، المتميزين على من سواهم من الناس بكل فضل وكرم وبأس، بخصائص تنقطع دونها أعناق الرجال مطالع أهل الالتباس، مزايا لا يشق لها غبار، ولا يلحق لها آثار، عند توجهها إلى الغايات، واشتياقها في جلية الكمالات، حتى وقف من سواهم عن التطاول إلى شيء من معاليهم، وأقامت القواطع بأنهم الواصلون إلى غاية الآمال حتى مواليهم. فمن ذلك ما أشار إليه مشرفهم ـ صلى الله تعالى عليه

---

(١) انفردت به نسخة (أ).

(٢) السيد باعلوي: هو شيخ ابن عبد الله العيدروس، فقيه حضرمي، ولد بتريم سنة (٩١٩هـ) وانتقل إلى الهند، وتوفي بها عام (٩٩٠هـ) ومن مؤلفاته كتاب: العقد النبوي المشار إليه، وحقائق التوحيد، وغير ذلك من الكتب. الأعلام (٣/ ١٨٢).

وآله وسلم- بقرنهم مع القرآن في وجوب التمسك بهما، وأنهما لا يفترقان[1] كتوقف صحة الصلاة على الصلاة عليهم عند جمعٍ من العلماء الأعيان، وكونهم كسفينة نوح -عليه الصلاة والسلام- من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك، فالحذر الحذر أن تكون ممن في هذه الداهية الدهياء قد ارتكبت. ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾[2] الدالة على شرف لا تبلغ غايته الأفهام، وكقوله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: «كل سبب ونسب وحسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وحسبي»[3] وكقوله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: «إن لكل نبي أباً وعصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم، وهم عترتي، وخلقوا من طينتي، ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[4].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أنتظم بها في سلك محبتهم، وأحشر بها معهم في زمرتهم؛ لأن من أحب قوماً فهو معهم، وإن لم يعمل بعملهم، كما قاله الصادق مشيراً إلى تعاظمهم وتعاليهم، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وحبيبه، وصفيه، وخليله؛ الذي فضله على سائر مخلوقاته -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-، وعلى آله الذين حباهم بقربه الأعظم ونسبه الأشرف الأكرم، وأتحفهم بما من غير جهته لا يعلم، وهو ما فيهم من البضعة الكريمة،

---

(١) قول النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي آل بيتي» رواه مسلم.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم (٣٣).

(٣) رواه الحاكم والطبراني.

(٤) رواه الطبراني في الكبير.

والدرة الجوهرة الثمينة، وعلى أصحابه الذين نقلوا إلينا سنته، وعلى التابعين وتابعيهم من بذكرهم ينزل الله تعالى رحمته[1] إلى أن قال: ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة[2] فإنهم يحشرون مطهرين مغفوراً لهم. وأنشد القيراطي وما أحلى ما قال:

شرف الله طيبـــــة بنبـــــي   منـه طـابـت عنـاصر الشرفـاء
حـــاز فضـــلاً آبـــاؤه وبنـــوه   فهـــو فخـــر الآبـــاء والأبنـــاء

ثم قال: وللوسائل حكم المقاصد، ومن هنا قالوا: الوسائل في المعنى: هي الوسائط للوصول إلى المطالب، وهي الشفاعة، كما قال:

على الله في كـل الأمـور تـوكلي   وبالخمس أصحاب العباء توسلي
محمـــد المبعـــوث وابنيـــه بعـــده   وفاطمة الزهراء والمرتضى علي

وقال العلامة ابن حجر في خطبة عقد نكاح ابنته على الإمام عبد الله ابن عبد المعطي الطبري بعد ذكر الأئمة الطبرية، وكيف لا وهم من خلوصة الجرثومة الهاشمية، وعصابة التنزلات المصطفوية، والعترة الطاهرة من كل دنس تطهيراً، أي تطهير، والمفروضة محبتهم، ومودتهم على كل جليل وحقير.

يـا آل بيـت رسـول الله حبكـم   فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم   من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[3]

والمقرنين بالقرآن العظيم، في أمن العالم بهما ما داما باقيين من كل خطب جسيم، ومد لهم بهم والمخصوصين لما فيهم من البضعة الكريمة، والدرة اليتمية التي لا يوازي شرفها شرف، ولا يلحق رفيع

---

(١) العقد النبوي (١/ص٢ ـ ٣).
(٢) العقد النبوي (١/ص٢٩).
(٣) هذا البيت للإمام الشافعي رضي الله عنه.

شأوها سلف، ولا خلف، بأنهم الأغرة في كل زمن، والمفروغ لهم عند ترادف الفتن، وتكاثف المحن.

وما ألطف ما قال:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

حقق الله لنا بآل نبيه، وصلة المحبة التي طبعنا عليها، وأعرضنا عن كل قحامة تقطع عنها نظر إليها، إذ لا فخامة إلا منهم، ولا زعامة إلا عنهم، ومن ثم قال عنهم عمر للحسن - رضي الله تعالى عنهما - اعتذاراً إليه واعترافاً بالحق الواجب عليه: والله ما أنبت الشعر على رؤوسنا بعد الله إلا أنتم. وقال للحسين: وقد قال له وهو صغير: انزل عن منبر أبي، فقال: والله إنه لمنبر أبيك، وما أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك. فرضي الله تعالى عنه، إذا أقرّ المجد في نصابه، ورده إلى إهابه، وجعلنا ممن أعطى كل ذي حق ما تستحقه مرتبته، وتستدعيه منقبته.

إلى أن قال: ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ، وعلى آله المطهرين به من كل دنس، وعيب الآمنين بباهر جاهه من كل ريب الوارد فيهم: «إن فاطمة الزهراء أحصنت فرجها فحرمها الله تعالى، وذريتها على النار»[1] ولكن لا ينبغي للشريف أن يقع منه بذلك اغترار، فقد قال محمد الجواد[2]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك.

(٢) الإمام محمد الجواد: أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا، ولد في المدينة في (١٩) رمضان سنة (١٩٥) وتوفي سنة (٢٢٠) في شهر المحرم، وهو ابن خمس وعشرين سنة. كان عظيم الجود، واسع الكرم، كثير العبادة، مشهوراً بالعلم والتقوى رغم صغر سنه، فقد كان قوي الحجة، يلقب بالجواد لكثرة جوده، تزوج من أم الفضل بنت المأمون، وكانت له كرامات كثيرة. الإمام علي الرضا، تحقيق الدكتور محمد البار (ص١٠٢).

وأبوه علي الرضي[١] وجد جده زين‌العابدين[٢] وهؤلاء من أكابر أهل البيت الطاهرين المطهرين: إن ذلك الحديث خاص بأولاد فاطمة ـ رضي الله عنها ـ من غير واسطة، وكأنهم نظروا لما في حديث آخر مع عدم النظر لتلك الرابطة، وهو:

«يا فاطمة بنت محمد[٣] ويا صفية بنت عبد المطلب[٤] ويا عباس عم

---

(١) علي الرضا: هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، ولد في المدينة سنة (١٥٣) وقيل (١٤٨) وبها نشأ وترعرع، كان معتدل القامة، بهي الطلعة، ذا وقار، يهابه من رآه، ويحبه من عرفه، وكان على جانب كبير من الورع والتقوى والعلم، حتى اتفق على أنه كان أعلم أهل زمانه وأورعهم وأزهدهم، ولاه المأمون ولاية العهد، ومات في ظروف غامضة، ودفن بطوس عام (٢٠٣).
الإمام علي الرضا، تحقيق د: محمد علي البار (ص٧١) فما بعدها.

(٢) زين العابدين: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويقال له الأصغر، وليس للحسين عقب إلا منه، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، ومن سادات التابعين. قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه. ولد يوم الجمعة سنة ثمان وثلاثين، وتوفي سنة أربع وتسعين، ودفن في البقيع في قبر عمه الحسن بن علي في القبة التي فيها العباس. وفيات الأعيان (ج٣/ ص٢٦٨) وما بعدها، لابن خلكان.

(٣) السيدة فاطمة الزهراء: سيدة نساء العالمين، صغرى بنات الرسول، وأمها خديجة بنت خويلد، وكان مولدها على رأس الأربعين من مولد النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وقد زوجها النبي من عليّ بعد غزوة أحد، وكان سنها خمس عشرة سنة، وكان سنّ علي إحدى وعشرين سنة، قد ولدت منه سيدي شباب أهل الجنة: الحسن والحسين، ثم محسن، وهو سقط، وأم كلثوم، وزينب، وتوفيت بعد الرسول بيسير. عنوان النجابة (ص١٩٥) وما بعدها.

(٤) صفية بنت عبد المطلب: عمة الرسول، وهي شقيقة حمزة أسد الله، وأم الزبير بن العوام، عرفت بالشجاعة، عمرت طويلاً، وقصتها مع يهودي =

رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، اشتروا أنفسكم من الله، قوا أنفسكم من النار، لا أغني عنكم من الله شيئاً».

وفيه ما فيه إذ فاطمة ـ رضي الله عنها ـ مذكورة في الحديثين، فتعين أن الأول فيه النظر المظهر للفضل والجمال، والثاني: فيه النظر للمظهر العدل والجلال.

وقال في الفتاوى المتفرقة: ولا يبغض عن ذات الشريف، بل عن الوصف المذموم مع اعتقاد تطهيره، ولا يقع في حقه، فقد قيل مثل الشريف إذا أقيم عليه الحد الشرعي مثل أمير تلوثت قدماه بقذر، فغسله عنه أجل خدم أبيه، وما على من رأى سماء أن يطرحه، ولا ينجساه.

قال الشيخ الأكبر في الباب التاسع والعشرين من «الفتوحات» ما معناه: وترى ما يقع من بعضهم من المظالم، كأخذ المال، والقتل، ونحو ذلك من الأمور السماوية كالموت، والغرق، ولا تقع في حق أحد منهم.

تنبيـه:

كثيراً ما تسول للإنسان نفسه محبة أهل البيت النبوي، فيعتقد صدق الدعوى، ومن ناقش في ذلك تجلت شموسه، وانحلت عروسه، وإذا طلع الصباح فلا حاجة إلى المصباح. قال بعضهم: إذا رأيت المبتلى من أهل البيت، ورأيت في نفسك الرحمة له، والرأفة به، وعزمت على مساعدته على الزمان من غير استنكاف أحواله الغير المحتملة، فذلك دليل المحبة، وأما مراعاة الشريف إذا كانت له حالة تقتضيها، وملاحة

= الحصن معروفة. توفيت في خلافة عمر سنة عشرين، ودفنت بالبقيع. عنوان النجابة (ص٢١٢) وما بعدها.

ترتضيها، فالحكم حينئذ يدور مع العلة.

وقال في ذلك:

وكل يرى طرق الضلالة والهدى ولكن طبع النفس للنفس قائد

ومن محاسن المدينة:

تعدد الحكام بها، وفيه لطف إلهي بالرعية، وذلك أنه إذا حدث بها أمر لا يقوم له ساق إلا باتفاق آرائهم، وفيه سر الإجماع البعيد من الخطأ في طريق الاجتهاد.

وما أوقع ما قال:

تخالفت الآراء والحق واحد وكل إلى رأي من القول راجع

وهذا اختلاف جرّ للناس راحة كما اختلفت في الراحتين الأصابع[١]

الصدقات في المدينة:

ومن محاسنها، بل من أجلّ محاسن الدهر: التفرقة السلطانية، وهي الحنطة الواصلة من أوقاف مصر المحروسة، فإنها تجمع في الوكالة السلطانية[٢]، وتجتمع لها الكتبة مع القاضي، وشيخ الحرم النبوي[٣]، وتفرق على أكثر أهل المدينة، والمجاورين، وغيرهم بمقتضى الدفاتر، وكانت تفرق قبل هذه السنين على رأس كل شهر، لكل شخص حصته، ومقدارها ثلاثة أمداد مدنية[٤]، وهي مقدار القوت الكافي للإنسان في الشهر، ثم آل الأمر إلى أن صار يكتب للرجل الواحد المتفرد نحو ستين حصة بالوجاهة، وغيرها، ومن ولد له مولود من ضعفاء المدينة لا سبيل

---

(١) ومتى كان في التفرقة خير للأمة؟!

(٢) لعله يعني مخازن الشونة التي كانت موجودة في شارع درب الجنائز.

(٣) حاكم المدينة المدني، فهو ذو رتبة عسكرية عالية.

(٤) المد المدني يساوي ثلاثة أَصْوُع بالصاع الشرعي.

إلى كتابة اسمه، ولا إلى إثبات رسمه، وبموجب هذه الحركة تطايرت هاتيك البركة.

وكان يقال:

فلا يطلبن من عند يوم وليلة   خلاف الذي مرت به السنوات

وها نحن نطلب ما مرت به تلك السنون، فنجده منظوماً في سلك ما لا يكون، وكانت جملة الأسماء، أولاً تناهز ستة آلاف فتجاوزت ـ وإن خلا أكثرها من المسميات ـ عشرين ألفاً، والله يضاعف لمن يشاء، وساعد ذلك عدم وصول الحبوب من مصر المحروسة بحيث كانت التفرقة في جميع سنة سبع أربعين وألف نصف حصة، وانقطع الخير.

ولله در القائل:

نحن قسمنا الرزق بين الورى   فأدب النفس ولا تعترض
وسلم الأمر لأحكامنا   فكل عبد رزقه قد فرض

مناهل المدينة:

ومن محاسن المدينة: منهل السوق[1]، وهو المقابل للمدرسة الزمنية في الرحبة عند باب السلام، فإنه يستقي منه أكثر أهل المدينة السنية، والذي ساقها إلى ذلك الموضع الحسين بن أبي الهيجاء في حدود الستين وخمسمئة، وجعل لها درجاً متسعاً، وقيل: أسامة من أمراء الشام، لعله جددها، وتعرف بالعين الزرقاء، لأن مروان الأزرق ابن الحكم هو الذي أجراها، وهو والٍ على المدينة المنورة.

أصل العين الزرقاء:

وأصلها من غربي قباء من ثلاثة آبار: بئر النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وبئر الرباط: وهي التي في بئر عدن، وهي تجري إلى

(١) عين باب الرحمة.

المصلى، وعليها قبة يخرج منها الماء في وجهين: شرقي وشمالي، وعلى ذكر الزرقاء فما أحلى ما قال:

مدينة خير الخلق تحلو لناظري فلا تعذلوني إن فتنت بها عشقا
يقولون في زرق العيون شأمة وعندي أن اليمن في عينها الزرقا

قال في «الوفاء»: سبب تسميتها بالعين الزرقاء: وسميت بالعين الزرقاء؛ لأن مروان الذي أجراها كان أزرق العين، وكان القياس أن يقال: الأزرق.

قال القيراطي:

ما لعين سوداء مني نصيب بعد حبي لعينها الزرقاء
أي زرقا بان لي من سناها ما اختفى نوره عن الزرقا

مناهل المدينة:

والمناهل اليوم بالمدينة منهلان بالمصلى، ومنهلان بالزكي، ومنهلان بالقلعة، ومنهلان بالساحة، ومنهل بالحارة، ومنهل بالثنية، والمنهل المذكور[1] وكلها تعرف بالعيون، وكلها من عين الأزرق، والعين التي أجراها الوزير محمد باشا قد أحسن عمارتها آل عثمان، (وجعلوا لها خداماً، وجعلوا لهم أرزاقاً على ذلك، فهي في الحقيقة من حسنات آل عثمان)[2] خلد الله تعالى دولتهم إذ لولاهم لاندرست آثارها.

صوافي معاوية[3]:

قال الواقدي:

كان بالمدينة على زمن معاوية صوافي كثيرة، وكان يجد بالمدينة

---

(١) أي: منهل باب الرحمة.
(٢) انفردت بها النسخة (ب) (ج).
(٣) الصوافي: ما اصطفاه الحكام من الأموال والضياع.

المنورة، وأعراضها مئة وخمسون ألف وسق، يحصد مئة ألف وسق من الحنطة. كذا في «الخلاصة».

حمامات المدينة:

من محاسن ما اشتمل عليه السور: حمام الوزير محمد باشا، فإن فيها نفعاً عاماً، ورحمة من الله تعالى (وإنعاماً، وهو حسن الوضع، والبناء المحكم)[1] مشيدة الأروقة على النمط الأقوم، قد حُسن من جميع نواحيه، ولاق أن يقال فيه:

يا حسن حمامنا وبهجته مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنف كالقلب فيه السرور والحزن

أو كما قال:

إن حمامنا الذي نحن فيه أيّ مالها وأيّة نارِ
قد نزلنا بها على ابن معين وروينا عنه صحيح البخاري

وأنشدني لنفسه ابنُ رشيق:

ولم أدخل الحمام بعد فراقهم لأجل النعيم قد رضيت ببوس
ولكن لتجري عبرتي مطمئنة فأبكي ولا يدري بذلك جليسي

وأنشد في تعجل الخروج:

خذ من الحمام واخرج قبل أن يأخذ منكا
حدثن عنه وإلا حدث الحمام عنكا

يروى عن الإمام جعفر الصادق[2] رضي الله عنه قال: إذا دخلت

---

(١) انفردت بها النسخة (ب) (ج) وقد وردت بصيغة التأنيث.

(٢) الإمام جعفر الصادق: (٨٠/١٤٨هـ) جعفر بن محمد بن الباقر علي بن زين العابدين بن الحسين السبط السادس للأئمة الاثني عشرية الإمامية، كان من أجلاء التابعين، أخذ عنه جماعة منهم الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، ولد =

الحمام فقل عند نزع الثياب: (اللهم انزع عني ربقة النفاق، وثبتني على الإيمان) وإذا دخلت البيت الأول فقل: (اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي) وإذا دخلت الثاني فقل: (اللهم أذهب عني الرجس، وطهر جسدي، وقلبي، ثم ضع الماء الحار على هامتك، ورجليك، وخذ جرعة أن أمكنك فإنه ينقي المثانة، ولا تشرب الماء البارد، ولا الفقاع، فإنه يفسد المعدة، ولا تغسل بالماء البارد، لكن صبه على قدميك إذا خرجت، فإنه يذهب بالشقيقة، ولا تدخله على الريق، ولا تستلق فيه، فإنه يذيب شحم الكلى، وتعمم عند خروجك شتاء وصيفاً.

وعنه ـ رضي الله عنه ـ: (يوم الحمام يوم الأربعاء).

وعن علي ـ كرم الله وجهه، ورضي الله عنه ـ: يوم الحمام الخميس، ويوم الجمعة يوم طيب.

لطيفة:

خرج الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ من الحمام، فقال له رجل: طاب استحمامك، فقال له: يا لكع! وما تصنع بالاست هاهنا؟ قال: فطاب حِمامك، قال: إذا طاب الحِمام فما راحة البدن؟ قال: فطاب حميمك. قال: ويحك! أما علمت أن الحميم: الغرق. قال: فكيف أقول؟ قال: قل: طاب ما طهر منك، وطهر ما طاب منك.

وعن الصادق: إذا قيل لك طاب حمامك، فقل: أنعم الله بالك. كذا في «مكارم الأخلاق».

ومن محاسن المدينة: لا يتمرد فيها أحد، ويتجاوز الحد إلا عجل الله تعالى الانتقام منه، وأخذ من حيث يشعر، ومن حيث لا يشعر.

= في المدينة، وتوفي بها. الأعلام للزركلي (ج٢/ ص١٢٦).

وكان يقال: إن من أسماء المدينة: الفاضحة، وذلك لأنه لا يكون بها شيء إلا وتتحدث به الألسن.

وكان يقال: ما أضمرته الليالي أظهرته الأيام، وما أسرته السريرة أبدته الأسرة للأنام.

وكيف يفوت هذا الناس شيء ... وما في القلب تبديه العيون

وكان يقال:

اصنع جميلاً ما استطعت فإنه ... لا بد أن يتحدث السمار

تنبيه:

قال بعضهم: ينبغي لكل عاقل ألا يقع في حق أخيه المؤمن، ولو وقف له على فاحشة إلا بحق الشرع، ولا يعيره بها فإنه لا يدري ما يفعل به، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النور: ١٩].

وقال ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «من عيّر مؤمناً بفاحشة كان حقاً على الله أن يوقعه في مثلها».

أو كما قال:

هي المقادير فلمني أو فذر ... إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

قال الإمام الغزالي[١] في فصل: بيان علاج الغضب من كتاب «الإحياء»: رُوي أن أبا ذر[٢] قال لرجل في خصومة بينهما: يا بن

(١) حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته بطوس، رحل في سبيل العلم إلى حواضر الإسلام، عاش بين عامي (٤٥٠/ ٥٠٥هـ) الأعلام (ج٧/ ٢٢).

(٢) جندب بن جنادة: صحابي جليل، قاوم استبداد بني أمية في الأموال، نفاه =

الحمراء! فبلغ ذلك رسول الله ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ، فقال: «يا أبا ذر! بلغني أنك عيرت رجلاً بأمه» فقال: نعم، قال: «فانطلق فأرضِ صاحبك» فانطلق أبو ذر لإرضاء صاحبه، فسبقه الرجل فسلّم عليه، فذكر ذلك لرسول الله ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ، فقال: «يا أبا ذر! ارفع رأسك فانظر، ثم اعلم بأنك لست بأفضل من أحمر، ولا أسود، إلا أن تفضله بعمل» ثم قال: «إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد، وإن كنت قاعداً فاتكِيء، وإن كنت متكئاً فاضطجع».

وعنه ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ: «العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه».

إذا تلمست للناس عيباً تجد لهم عيوباً ولكن الذي فيك أكثر

وحكي عن بعض السلف: أنه رأى بمكة ما لا يرضى من سفهائها فأنكره، واضطرب فكره، فلما كان الليل رأى قائلاً ينشده هذه الأبيات:

إذا نحن شئنا لا يدبر وملكنا سوانا لم نحتج مشيراً يدبر
فقل للذي قد رام ما لا نريده وأتعب نفساً بالذي يتعذر
لعمرك ما التصريف إلا لواحد لو شاء لم يظهر بمكة منكر

وفي كتاب «المقاصد الحسنة» للحافظ السخاوي: «سفهاء مكة حشو الجنة» حديث تنازع فيه عالمان في الحرم، فأصبح الطاعن فيه، وقد اعوج أنفه، ورأى قائلاً يقول له: سفهاء مكة من أهل الجنة! ثلاثاً، فاعترف بالكلام فيما لا يعنيه.

ويقال: إنه محرر إسماعيل بن أبي الصيف اليمني، وإنه كان يقول:

= عثمان إلى الربذة، ومات فيها عام (٨٢هـ). الأعلام (ج٢/ص١٤٠).

إن ثبت فإنما هو أسفاء مكة يتصحف على الراوي، ومعناه: المحزونون على تقصيرهم. انتهى بمعناه، والكلام في مثل ذلك كثير.

أفضلية المدينة على مكة:

وفي «الجامع الصغير»: المدينة خير من مكة، وفي «المواهب» بسنده: المدينة أفضل من مكة، وعن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، وإذا كانت المدينة الشريفة بهذا المكان من الفضيلة والشرف، فلا غرو أن يطيب بها ممن حلها من أهل الحضرة الشريفة للحلول بها، والتشرف بتربها، فكيف بأشرافها وأبنائها الذين هم غراسها.

ولله درّ القائل:

كفى شرفاً في طيبة أني مضاف إليكم ... وإني بكم أدعى وأرعى وأعرف
إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا ... فلي نسبة منكم من الطيب أعرف

وقال آخر:

إذا لم نطب في طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأنى تطيب؟!
وإن لم يجب في حيها ربنا الدعاء ... ففي أي حي للدعاء يجيب؟!

ومن محاسن المدينة: أنها عون لغريبها حتى على أهلها، وفيه سر الإيثار، وأنه لا يرد إليها أحد من الآفاق ويتأملها إلا ويختارها حتى على وطنه، بل وينشد بلسان الحال في هذا المجال:

رأيت بها ما يملأ العين قرة ... ويُسلي عن الأوطان كل غريب

رأيت مكتوباً على أسطوانة من المسجد الأقصى سنة اثنتين وأربعين وألف:

إذاكنت في القدس الشريف تشوقت ... إلى مكة نفسي بحج وعمرة
ولو كنت فيها قالت النفس طيبة ... أعيش بها في ظل دوح النبوة
ولو كنت فيها زاد للأهل شوقها ... فمن لي بأهلي والبلاد الشريفة

وقال آخر:

تطالبني نفسي مقاماً بطيبة ... فأذكر ضعفي أهلها فأقصر
حياء من التقصير في حق بعضهم ... وإرضاء كل منّهم متعذر
ويغلبني شوقي إليها فأنثني ... أقدم رجلي تارة وأؤخر

وأنشد لنفسه القاضي تاج الدين السبكي[1]:

إذا كنت جار المصطفى ونزيله ... فيقبح بي شوقي لأهلي وأوطاني
أأرحل عن دار بها الخير كله ... وفيها هوى القاصي وأمنية الداني
حلفت يميناً أنها خير منزل ... لأكرم نزال وأشرف جيران
ولست بناس أهل ودي وإنما ... إذا فزت بالباقي فما لي والفاني
فيا رب بلغ من أحب رسولها ... ليزداد إيماناً كما زاد إيماني

وأنشد لنفسه ابن جابر الأندلسي:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حُقا ... فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم إلى ... سواها وإن جار الزمان وإن شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم ... فيها أنتم في بحر نعمته غرقى
ترون رسول الله في كل ساعة ... ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع الإحسان حر ولا رقا
بطيبة مثواكم وأكرم مرسل ... يلحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
وكم نعمة لله فيها عليكم ... فشكراً وفضل الله بالشكر يستبقى
أمنتم من الدجال فيها فحولكم ... ملائكة يحمون من دونها الطرقا

---

(١) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧/ ٧٧١هـ) ولد في القاهرة، وتوفي بدمشق قاضي القضاة بالشام، وله تآليف في الفقه وأصوله وغير ذلك. الأعلام (ج٤/ ص١٨٤).

كذاك من الطاعون أنتم بمأمن فـوجـه الليـالي لا يـزال طلقـا
فـلا تنظـروا إلا لـوجـه حبيبكـم وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حيـاة ومـوت تحت رحمـاه أنتـم وحشراً فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلاً عنها لدنيا يريدها أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
أتخرج عن حوز النبي وحرزه إلى غيره تسفيه مثلك قد حُقّا
لئن سرت تبغي من كريم إعانة فأكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم وليس بزايد ولو سرت حتى كدت أن تخرق الأفقا
فكـم قـاعـد قـد وسـع لله رزقـه ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الأنام ومت به إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى
لقـد أسعـد الـرحمـن جار محمـد ومن جار في ترحله فهو الأشقى

قصيدة غزلية نبوية:

سقـى منـازل علـو كـل غيـداق من السحاب مُلِت الورق دفاق
وزارهـا كـل يـوم لا يبـارحـه مـن النسيـم سحيراً كـل خفـاق
فكم وصلت بها الغيد الحسان وقد جنّ الدجى وصل مشتاق لمشتاق
غيداً يشابهن غزلان الصريم إذا حضرن يـومـاً بـألحـاظ وأحـداق
من كل سحارة الألحاظ فاتنة الألفاظ ممشوقة كالغصن معناق
وربّ كحلاء تصمى كلما رشقت قلبـي بسهـم مـن ألحـاظ رشـاق
هيفاء ينطق عنها الحلي إن حضرت يوماً ويصمت منها الحجل وفي الساق
قد شفني سقمٌ من سقم مقلتها وفي مُجـاجتهـا بُـرءٌ وتـريـاق
خَوْدٌ وهبت لها قلبي وما سمحت منها بطيف لدى الظلماء طراق
ولم تَـرق لصـب شفـه سقـم من حبها موثق من غير إطلاق
قد خانت العهد مني وهي عالمة إني على عهدها ما خنت ميثاق
وأعرضت مذ رأت شيبي ولاح لها خفـوق رايـة إقتـاري وإمـلاقـي
ورب قائلة كم أنت ذو غصن ذاوٍ بـلا ثمـر فيـه وأوراق
فقلت خلي ملامي وأقصري عذلي فلست متهماً في الرزق خلاقي

ومن سقى الناس كأس البغي مترعة　　سوف يترعها المسقي للساقي
إن القناعة ثوب من تجلببه　　لم يخش ما عاش من فقر وإملاق
من ألم بطه وهو معتمد　　على ند له سما من فوق آفاق
ذاك الذي عجزت عن مدحه فكري　　وحبه لم يزل في مهجتي باقِ
عليه صلى إله العرش ما طلعت　　شموس إقباله من أفق إشراق

ومن نبويات الشيخ عبد الرحيم البرعي[1]:

عاهدوا الربع ولوعاً غراما　　فوفوا للربع بالعهد ذِمَاما
كلما مروا على أطلاله　　سفحوا الدمع بذي سفح سجاما
نزلوا بالشعب من غربية[2]　　مستظلين أركاً وبشاما
ينشر الطل عليهم لؤلؤاً　　يفخر اللؤلؤ حسناً وانتظاما
وإذا هبت صبا نجد لهم　　أفهمتهم عن ربا نجد كلاما
يا رفيقي بنواحي رامة　　غنني بالأبرق الفرد وراما
والأثيلات المظلاتي بها　　إليها الأثل سقيتني الغماما
كم بدور في خدور المنحنى　　يستعير البدر منهن التماما
حبهم حلّ سويداء مهجتي　　وفؤادي بعد ما فت العظاما
أيها اللائم أُذْني لا تعي　　زخرف القول فدع عنك الملاما
أولع الحب بلحمي ودمي　　فعلام اللوم في الحب علامَ؟!
والفتى العذري لا ينفك عن　　عهدة الحب ولو ذاق الحِماما
ليت شعري هل أداني شعبهم　　بعد بعدي وترى عيني الخياما
ما عليكم سادتي من حرج　　لو تردون ليالينا القدامى
إن تناءت دارنا عن داركم　　فاذكروا العهد وزورونا مناما

---

(١) عبد الرحيم بن أحمد البرعي اليماني، المتوفى عام (٨٠٣) أفتى، ودرس، له ديوان شعر، شاعر، متصوف. الأعلام (ج٣/ ص٣٤٣).

(٢) في الديوان: شرقية.

هيجتنـــي نسمـــة نجـــديـــة ... تـركـت قلبـي عميـداً مستهـامـا
كلمـا نـاحـت حمـامـات الحمـى ... في أراك الشعب ناوحت الحماما
واحيبـابي الألـى عـاهـدتهـم ... علقُـوا عقلي بمـن أهـوى هيـامـا
عـرضـوا السكـر علينـا مـرة ... فانتهى الكأس وما فاضوا الختاما
ثملـت أرواحنـا عـن ذكـراهـم ... لم نـر الـراح ولا ذقنـا المـدامـا
يـا نـدامـى فـؤادي عنكـم ... مـا فعلتـم بفـؤادي يـا نـدامـا؟!
همتُ فاستعذبت تعذيبي بكم ... فاجرحوا قلبي ولا تخشوا آثاما
أنتـم مـن دمـي المسفـوح في ... أوسـع الحـل ولـو كـان حـرامـا
فاصرموا حبلي وإن شئتم صلوا ... مـا ألـذ الحـب وصـلاً وانصرامـا
أنـا راضٍ بـالـذي تـرضـونـه ... لكـم المنـة عفـواً وانتقـامـا
كنـت بـالشعـب وكنتـم جيرتي ... لو صفا لي ذلك العيش وداما
قسمـاً بـالبيـت والـركـن الـذي ... طاب تقبيلاً ومسحاً واستلاما
إن في طيبـة قـومـاً جـارهـم ... في محـل النجـم يعلـو أن يسـامـا
روضـة الجنـة في أوطـانهـم ... وتـرى آثـارهـم يُبـري الجُـذامـا
كـل مـن لم يـر فـرضـاً حبّهـم ... فهو في النار وإن صلى وصاما
هـم نجـوم أشرق الكـون بهـم ... بعـد مـا كـانـت نـواحيـه ظـلامـا
فتحـوا الأرض بعليـا بـأسهـم ... واستبـاحـوا يمنـاً منهـا وشـامـا
فيهـم الشمـس الـذي أنـواره ... لم يُطق من بعده الحق انكتاما
الأغـر المنتقـى في هـاشـم ... طيـب العنصر يسمـو أن يسـامـا
المُـداني قـاب قـوسين الـذي ... كـان لـلأمـلاك والـرسـل إمـامـا
ارتضـاه الله نـوراً للهـدى ... وانتضـاه لـدم الأعـداء حسـامـا
خصـه منهـم بـديـن قيّـم ... نسـخ الأديـان نـدبـاً والتـزامـا
وكتـاب الله أحكمـت آيـاتـه ... عصمـة الله لمـن رام اعتصـامـا
يهتـدي كـل مـن استهـدى بـه ... سبل الرشد ويعمى من تعامى
فـرض العمـرة والحـج لنـا ... وصـلاة وزكـاة وصيـامـا

يا رسول الله يا ذا الفضل يا — رحمة عمّ بها الله الأناما
يا أبا القاسم يا أحمد يا — بهجة المحشر جاهاً ومقاما
يا وجيه الوجد في الدارين يا — شافع الخلق إذ التدوا خصاما
جُد على عبد الرحيم الملتجىء — لحمى عزك يا غوث اليتامى
وأقلني من عثرتي يا سيدي — واكتساب الذنب من خمسين عاما
ورفاقي الكل قم بي وبهم — في الملمّات إذا احتجنا المقاما
نحن في روض ثناكم نجتني — ثمرات المدح نثراً ونظاما
لو سما المجد لأقصى غاية — كنت للمجد سناء وسناما
يدك العليا على كل يد — زادك الله علواً واحتراما
وكسا روحك منه رحمة — وصلاة ترتضيها وسلاما
تقتضي حقك مني دائماً — وتعم الآل والصحب الكراما[١]

لطيفة:

قال القاضي أبو المحاسن يوسف نجم الدين الزرندي الأنصاري[٢]

---

(١) وردت في هذه القصيدة أسماء لبعض الأماكن مثل: راما، والنقا، ولعلع، والمنحى، فهي أسماء لأماكن، بعضها داخل المدينة مثل المنحنى، وهو جزء من المناخة، والنقا: وهو العنبرية، وذي سلم، وهو وادي من أودية العقيق، وغير ذلك، وبعضها خارج المدينة، ولا سيما على طرق الحجاج، لم نستطع تحديد أماكنها.
واشتملت القصيدة على المدح النبوي، وهو ما غلب على شعر الشاعر، كما هو معروف أن البرعي صوفي النزعة، ويقول بالتوسل إلا أن غيره من المسلمين لا يرى ذلك، ويرى أن التوسل ينافي كمال التوحيد. وقد تم الرجوع في هذه القصيدة إلى المخطوطتين المذكورتين، وديوان البرعي (ص١٩٩) وما بعدها.
وانظر الملحق رقم (٢) ورقم (٣).

(٢) شاعر وقاض، ولي القضاء والحسبة، وصنف في الخصائص النبوية، وخمّس =

الحاكم بالمدينة الشريف، والناظر في أمر الحسبة خادم السنة والحديث، وذلك في سنة ثمان وأربعين وسبعمئة:

من ظريف المحاضرة، وطريف المذاكرة أن الحرمين الشريفين اجتمعا في ميدان الفخر، ومن دونهما حجاز، وليس معهما لغيرهما في هذا المقام على الحقيقة مجاز، فتسنم حرم المدينة شرفاً من الشرف عال، ثم قال: الحمد لله الذي فضّلني على سائر البلاد، وجمع لي طريف الفضل والتلاد، وشرفني بحلول خير العباد، وأشرف كل حاضر وباد، وألبسني مفاخرة الفاخرة، وأعلى مقامي في الدنيا والآخرة، وجعل تربتي شفاء من السقام، وغباري دواء من الجذام[1]، فلي الشرف على كل إقليم، والفضل في الحديث، والقديم، وباسمي نوّه كل خطيب، وعُرف تربي أطيب من كل طيب، فالمقام بي من المكاره جُنّة، وفيّ روضة من رياض الجنة، وحسبي فخراً بالمنبر الذي علت مراقيه، وحاز جميع الشرف براقيه، فإلى مسجدي تشد الرحال[2] من كل قرية وبلاد، والصلاة فيه كما قد علم بألف صلاة[3]، فلي الثناء الباذخ، والشرف الذي هو بأرض المجد راسخ، فلا غرو، إن سبقتُ في هذا المضمار، فأحق الخيل بالركض المغار، وأقسم من غاباتي بالأسود، ومن لاباتي[4]

= البردة، وله ديوان شعر. توفي عام (٧٦٧هـ). الأعلام (٨/ ٢٥٤).

(١) قال رسول الله: «والذي نفسي بيده! إن غبارها شفاء من كل داء، ومن الجذام والبرص». الترغيب والترهيب (٢/ ٢٢٨).

(٢) كأنه يعني قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا».

(٣) يشير المؤلف إلى قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام» رواه الطبراني، والحاكم.

(٤) جمع لابة، وهي: الحرة، وبالمدينة حرتان شرقية وغربية.

بالحرار السود، ومن أزهار رياضي بوشي البرود، ومن أغصان نخيلي، وأشجاري بكل قدٍّ أملود، ومن رماح بساتيني بالعالية[1] ومن سواقي جناني بكل ساقية جارية، وجارية ساقية لكمالي فوق كل كمال، وجمالي أبهى من كل جمال، وحسبي من الشرق الذي لا يحد بالطول والعرض، أن ما ضم أعضاءه الشريفة بالإجماع أفضل الأرض، وفرق ما بين الدرهم والدينار في الصرف، كالناس ألف منهم بواحد، وواحد منهم كالألف.

سقـــى يثـــرب مـــن بلـــدة وطـاف بهـا مستفيض السحـاب
بـــلاد تســـامــت بمـــن حلهـــا وطابت وفيها الدعاء يستجاب

وقال آخر:

رعـــى الله طيبـــة مـــن بلـــدة وســـاق السحـــاب لأعتـــابهـــا
فقـد جمعـت كـل فضـل جـزيـل ولا يـدخـل العضـل مـن بـابهـا

وقال غيره:

إذا اهتزت مناكب ذي افتخار بقـــر مليكـــه وعلـــو داره
فـــإني لا أزال أهـــز عطفـــي بجيرة أحمــد حــامـي جــواره

وبالجملة؛ فإن المدينة المنورة، وإن كانت كثيرة اللأواء، فإن تحت ذلك فوائد يطول شرحها، ومتاجر يتضاعف ربحها، وكيف لا يتحمل المشاق من أراد أن يتمتع بسيد أهل الأرض والسموات، وينال ما وعد من جزيل المثوبات، وجليل الهبات، وإنجاز وعده الصادق له بشفاعته وشهادته[2]، وبلوغ قصده في المحيا، والممات، وكم عسى تكون شدة

---

(١) هي منطقة العوالي المعروفة بالمدينة، كانت تعرف كذلك.
(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة». رواه أبو زرعة الرازي.

المدينة ولأواؤها؟ وإلى متى تستمر مشقتها، وبلواؤها، لو تأملت يا هذا! لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش، مثلها بل أشق، وأهلها لا يختارون عليها وهم على ذلك الحال، بل وينشدون في ذلك قول من قال، وما ألطفه:

بـلاد ألفنـاهـا على كـل حـالـة　　وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستحسن الأرض التي لا هواء بها　　ولا ماؤها عذب ولكنها وطن
ورب امرىء ألقى هواه على امرىء　　فلم ير منه غير ما يورث الحزن

وربّما يوجد فيهم القادر على الانتقال فلا ينتقل، والقوي على الرحلة فلا يرتحل، بل يؤثر وطنه مع إمكان الارتحال، والقدرة على التحويل والانتقال.

فيا وطني إن فاتني بك سابق　　من الدهر فلينعم بساكنك البال
فإن أستطع في الحشر آتك زائراً　　وهيهات لي يوم القيامة أشغال!

على أن المدينة مع شظف العيش بها في غالب الأحيان، قد وسع الله تعالى فيها على بعض السكان، وكثير ممن استوطنها حسن فيها حاله، وتنعم بها ماله، وكان من قبل في زوايا الخمول كثير الفاقة، قليل المحصول، فإن منّ الله تعالى على المرء بمثل ذلك هنالك، فنعم بها، فهو عنوان السعادة، وترجمان الشهادة، وإلا فمن وفقه الله تعالى صبرّه فيها، ولو على أحرّ من الجمر، وأمرّ من القهر فيستحلي مرارة غصتها لاستحلى عروس منصتها، وإن كان يلقى يسيراً من لأوائها ليوقى كثيراً من مصائب الدنيا، وبلوائها، فإن غاية المضرة المسرة والمبرة.

وقد رُوي عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام أنه قال: «من قضى نهمته في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة».

وقال: «ينادي مناد: دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر».

وقال: «من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «اللهم من أحبني فأقلّ ماله، وأمت ولده».

وقال جعفر الصادق: «إنا أهل البيت من أحبنا فليعتد للبلاء جلباباً».

وما أحسن ما قال:

إذا كان شيء لا يساوي جميعه   جناح بعوض عند من أنت عبده
وأشغل جزء منه كلك ما الذي   يكون على ذا الحال قدرك عنده

فطوبى لمن حل هذه المعالم، والديار، وشملته أنوار هذه المعاهدة والآثار، وقضى فيها ما بقي من الأنفاس، والأعمار، فيما بين المسجد المؤسس على التقوى[1]، والروضة التي هي من رياض جنة المأوى[2].

وما أحسن ما قال:

ومن يعش هكذا فقد جعلت   وقفاً عليه سوابغ النعم

ومن فاته الله في شيء العين هي شوقه الآثر، ومن لم يظفر بلذة المشاهدة لم يعدم لذاذة الخبر.

وأنشد لنفسه أبو عبد الله محمد الفيومي:

إني إذا نزحت ديار المصطفى   وازداد شوقي نحوها وحنيني
طالعت في تاريخها السّامي لكي   أمشي على آثاره بعيوني

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ سورة التوبة الآية رقم (١٠٨).

(٢) وكأن المؤلف يعني قول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» رواه أبو نعيم الأصفهاني.

اللهم اجعل لنا بها قراراً، ورزقاً حسناً، ولا تحرمنا شفاعة ساكنها الذي شمل الكائنات نوافلاً ومنناً، وصلى الله عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

وأنشد لنفسه الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض[1] رحمه الله تعالى:

تيقنت أن لا منزلَ بعد طيبة ... يطيب وأن لا عِزة بعد عَزةٍ[2]
وما اختص وقت دون وقت بطيبة ... بها كل أوقاتي مواسم لذّتي

ولله در القائل:

ما ذكر الطير للأوطان أوطارا ... إلا وشاهد قلبي هام أو طارا
كلا ولا لمعت بالسفح بارقة ... إلا وسح سحاب الدمع مدرارا
ولا سرت نسمة من طيبة سحراً ... إلا وأصبح نشر الكون معطارا
ولا تذكرت أيامي بروضتها ... إلا وأجريت في الخدين أنهارا
يا ساكني طيبة من بعد بعدكم ... لم يألف القلب لا ربعاً ولا دارا
ولا رأت مقلتي من بعد طلعتكم ... بُدُوراً ثم ولا شمساً وأقمارا
وكلما رُمت بالأفكار رايتكم ... تصورت جارحات القلب أبصارا
ولست أعجب من غدر الزمان بنا ... والدهر ما زال بالإنسان غدارا
لو أن ما بي من الأشواق نحوكم ... أضحى على الفلك الدوار ما دارا
كم أرقب القرب والركبان أسألها ... لعلي أسمع في الأخبار أخبارا
يا سادتي إنني من بعد بعدكم ... أمسي وأصبح مشتاقاً ومحتارا
وما تغير غير الجسم من سقم ... وما جرى غير الدمع قد بكى الجارا

وقال آخر:

---

(١) عمر بن الحسن بن المرشد بن الفارض (٩٦/١٣٢هـ) ولد بالقاهرة، وتوفي بها، عالم فاضل، متصوف، جاور بمكة المكرمة، شاعر، وديوانه مطبوع.

(٢) ديوان ابن الفارض ص (٢٣).

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم ... كالروض باكرة سار من الديم
أنفاسكم والنفوس الغر لا برحت ... كالزهر والزهر في لطف وفي كرم
مـا أمّكـم زائـر الآداب بمـا ... يربو على فكره من كل مغتنم
فأنتم الطاهرون الطيبون ومن ... لا ريب في مجدهم من سالف القدم
لا عيب فيكم سوى أن النزيل بكم ... يسلو عن الأهل والأوطان والحشم
جميلكم جل أن يحصى وفضلكم ... في الناس أشهر من نار على علم
كفـاكـم بجـوار المصطفى شرفـاً ... وجار ذي الجاه أن كان لم يضم
لـولاكـم خيرة الله الكـريـم لما ... كنتم له جيرة من سالف الأمم
والله جل اسمه بالقرب خولكم ... وزادكم بسطة في العلم والهمم
لا زلتـم وأمـان الله يكلـؤكـم ... ممـا يحـاذر في حـرز مـن اللمـم
وكيف أخشى الرزايا أن تلم بكم ... وأنتم من حمى المختار من حرم
عليه صلى إله العرش ما سجعت ... ورق الحمائم بين الضّال والسلم
وإله الطهر أرباب الكمال ومن ... والاهـم وجميـع الصحـب كلهـم

فائدة:

زعم بعضهم في ضعف وجدان من في المدينة المنورة، وفتور شوقه المطلوب تضاعفُه هو القرب الصوري كما هو شأنه، وإن قيل:

وأعظم ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنـت الخيـام مـن الخيـام

حتى إن من ذهب إلى أطراف المدينة من بساتينها، وحدائقها، وجد من نفسه الوحشة، وقلة الأمان، ولا تطيب نفسه بغيبته أكثر من ثلاثة أيام؛ ولذلك كره بعض العلماء كثرة الزيارة مخافة السآمة، والملل، فينبغي أن يغيب أحياناً ليجدد عهود الأشواق، ويرجع المحب المشتاق.

□ □ □

فصل

في ذكر المصلى والنقا والعقيق

- المصلى في الأصل
- النقا
- بطحان
- المنحنى
- البريد
- ذو الحليفة وبئر علي
- المغسلة
- العقيق
- بئر عروة
- البرك في المدينة

فصل
في ذكر المصلى والنقا والعقيق المؤذن بطيب اللقاء

رعـى الله الإبيـرق والمصلـى   وبان الحي ما سجعت حماما
فتلـك مـواطـن الصب المعنى   بهـا الأرواح صـارت مستهـامـا
علـى عـرب بهـا مني سـلامـا   يكون المسك من قبلي ختاما

المصلى في الأصل:

اسم لموضع الصلاة، ثم صار بالغلبة علماً على مسجد مصلى العيد[1] ثم أطلق على سبيل التوسع على ما حوله، إطلاق اسم الجزء على الكل، ومن محاسنه: عمارة الأمير علي[2]، وهي في غربي المسجد المذكور.

وللمصلى ذكر في الشعر، فمن ذلك:

ولي مـــن فقـــد جيران المصلى   غـــرام لا يقـــر لـــه قـــرار
فلـــو خيرت لم أختر ســـواهـــم   ومـــن لي أن يكـــون لي الخيـــار

---

(١) مصلى العيد: وهو ما يعرف الآن بمسجد الغمامة، وهو في الجنوب الغربي من المناخة، ولم يبق إلا هذا المسجد من المعالم التاريخية الموجودة فيها.
(٢) عمارة الأمير علي: لعله يعني: مزرعته ومبانيها.

النقا[1]:

بالفتح والتخفيف مقصور، ما بين وادي بطحان والمنزلة التي بها السقيا[2]. له ذكر في الأشعار العربية والمولدة[3]، فمن ذلك في مسلك ذلك:

ألا يا سائراً في قفر عمر — يكابد في السرى وعراً سهلا
بلغت نقا المشيب وجزت عنه — وما بعد النقا إلا المصلى[4]

وقال محاسن الشواء:

هاتيك يا صاح ربا لعلع — ناشدتك الله فعرج معي
وانزل بنا بين بيوت النقا — فقد غدت أهله المربع
حتى نطيل اليوم وقفاً على — الساكن أو عطفاً على الموضع

وقال الشاب الظريف:

لقد رأيت برامة[5] بان النقا — فمنعت طرفي منه أن يتمتعا
ما ذاك من روع ولكن من رأى — أشباه عطفك حق أن يتورعا

---

(١) النقا: يشمل المنطقة التي كانت تعرف بالعنبرية، وقد أزيل أغلبها، ولم يبق منها إلا ما كان خارج الباب، وهو ليس منها، والعنبرية اسم أحد المزارع المعروفة بالمدينة، وقد أطلق على ما بني حولها. والعنبرية من وادي بطحان إلى السكة الحديد، وهناك باب العنبرية، وهو باب المدينة للقادم من مدن الحجاز، وقد أزيل هذا الحي لمصلحة شركة طيبة، ولم يبق منه إلا القليل.

(٢) السقيا: هي منطقة الخضر الواقعة بين عروة والعنبرية.

(٣) المولدة: هي أشعار المولدين التي لا يحتج بها اللغويون، وهي من العصر العباسي وما بعده، حيث دخل ضمن الشعراء العرب شعراء من أصول غير عربية لا يحتج بلغتهم.

(٤) هنا حدد النقا بمسجد المصلى المعروف بالمدينة بمسجد الغمامة، وهو أكثر شمولاً مما قلنا.

(٥) رامة والعُذيب: أماكن معروفة في وادي العقيق.

وقال البهاء بن زهير[1]:

ولي فيه قلب بالغرام مقيد ... له خبر يرويه طرفي مطلقا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره ... أعلل قلبي بالعُذيب[2] وبالنقا

وقال ابن الحلاوي:

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه ... وبدر الدجى عن ذلك الحسن منحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه ... وذلك تشبيه عن الحق مشتط

وقال آخر:

قرب الديار يزيد شوق الواله ... لا سيما إن لاح نور جماله
أو بشر الحادي[3] بان لاح النقا ... وبدت على بعد رؤوس جباله
فهنالك عيل الصبر من ذي صبوة ... وبدا الذي يخفيه من أحواله

وأما بطحان[4]:

---

(١) البهاء زهير: (٥٨١/٦٥٦هـ) زهير بن محمد المهلبي: شاعر كاتب، ولد في مكة، ونشأ بقوص، واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب بمصر، فقربه وجعله من خواص كتابه إلى أن مات، فانقطع زهير في داره إلى أن توفي بمصر. له ديوان مطبوع، ترجم إلى الإنجليزية نظماً وغير ذلك. الأعلام (٥٢/٣).

(٢) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة. معجم البلدان (٤/ ٩٢).

(٣) الحادي: هو الذي يحدو للقافلة، والحدوُ: هو نوع من الغناء، وكان لركب الحج المدني حاد يحدو عند الخروج من المدينة ودخول مكة، والخروج منها. وأشعار الحدي معروفة في المدينة، وقد جمعها ابن أحد الحداة، وهو الشيخ أحمد إبراهيم السمان في كتاب سماه: «نماذج وألوان من تراث بعض الأدباء، والشعراء في المدينة».

(٤) هو أحد أودية المدينة المعروفة، ويتجه من الشرق إلى الغرب، فيخترق مزارع قربان، ومنازل المدينة، وقد عرف بسيل أبي جيدة، في وسط المدينة. وأما الآن فإنه يعرف بالسيح، وبعد أن وضعت عليه السدود أصبح شارع في =

فقال الشرف المناوي في كتاب «كشف المناهج»: هو بضم الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة: موضع بقرب المدينة، كذا قاله النووي ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره، وضبطه[1] ابن الأثير بفتح الباء، وقال أكثرهم: بضمها، ولعله الأصح. وفي القاموس بُطحان: بالضم، والصواب: الفتح وكسر الطاء: موضع بالمدينة كـ: لقيا سلع.

سقياً لسلع[2] أو لساحاته والعيش في أكناف بطحان
أمسيت من شوقي إلى أهلها أدفع أحزان بأحزان

وأول بطحان: الماجشونية[3]، وآخره: السيح، وعند الحديقة الماجشوانية حفرة[4] تعرف بتراب الشفا، وقد جربها العلماء وغيرهم بالشفاء من الحمى شرباً، وغسلاً. لكن الشرب هو الوارد عند البخاري، وغيره لما أصابت بني الحارث، قال لهم النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «أين أنتم من صهيب؟!» قالوا: ما نصنع به؟ قال: «تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول: بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا، شفاء لمريضنا، بإذن ربنا» ففعلوا ذلك، فتركتهم الحمى.

تنبيه:

السيح بالفتح وسكون المثناة من تحت، مصدر ساح يسيح، اسم لما

= الجزء الشرقي منه يعرف بقربان، وفي الجزء الغربي منه يعرف بالسيح.

(١) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٣٥).

(٢) جبل سلع: هو جبل غربي المدينة، وفي الوقت الحاضر يتوسطها نظراً لانتشار العمران حوله وعلى سفوحه.

(٣) هي مزرعة من مزارع قربان معروفة في تلك المنطقة.

(٤) لا زالت هذه الحفرة معروفة عند بعض الناس، وهي أيضاً في قربان يسأل عنها بعض الحجاج.

حول مساجد الفتح، وأما السنح بالضم والنون الساكنة، وقيل: بضمتين، هو: أطم[1] لبني الحارث على ميل من المسجد[2] وهو أدنى العالية[3]، سميت به الناحية، وبه نزل الصديق - رضي الله عنه - بزوجته الأنصارية.

المنحنى[4]: بالضم ثم السكون، وفتح الحاء والنون، له ذكر في الغزل بأماكن المدينة، وهو عند أهلها اليوم[5] بقرب المصلى في القبلة، شرقي بطحان، وهو الآن منزل عرب الشام عند ذهابهم إلى الحج[6]، وأما بعد رجوعهم فمنزلهم شرقي وادي سلع[7]، وكان بالمنحنى منازل لأهل الخير، حتى قيل فيه، وما ألطفه!:

خدور على الخط والمنحنى ... بها يغفر الله عمن جنى
فيا جيرة القبر من يثرب ... أجيروا محباً إليكم دنا
وقولوا قدمت على أحمد ... شفيع العصاة وكنز الغنا
فبشراك ما ترجى حاصل ... ويهنئك هذا مقام الهنا

وقيل:

يا خيرة نزلوا بوادي المنحنى ... ما للمقيم عن محبتكم غنى
غيري إذا طال الزمان سلاكم ... وتغيرت أحواله إلا أنا
إن صح لي ذاك الوداد ودام لي ... برضاكم فتحت أبواب الهنا

---

(١) الأطم: هو الحصن، وقد عرفت المدينة بكثرة آطامها.
(٢) لعله يعني المسجد النبوي.
(٣) العالية: هي العوالي المعروفة اليوم.
(٤) المنحنى: ما كان يعرف في المدينة قبل المشاريع الجديدة بمناخة الحطب.
(٥) أي: في عصر المؤلف.
(٦) في ذلك العصر حيث كان الحجاج يأتون إلى الحج ضمن المحمل، وكانوا يتجمعون في ذلك المكان.
(٧) لا يوجد بالمدينة وادٍ اسمه وادي سلع، بل سلع هو جبل معروف بالمدينة.

وتلطف الذهبي وقال:

تولى شباب كأن لم يكن ... وأقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقا ... فما بعد هذين إلا المصلى

قال آخر:

كفى مؤذناً باقتراب الأجل ... شباب تولى وشيب نزل
وموت الأخلاء ما بعده ... بقاء يؤمله من عقل
إذا ارتحلت قرناء الفتى ... فلا شك في أنه قد رحل

قال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض:

سقياً لأيام مضت مع جيرة ... كانت لياليتا بهم أفراحا
واهاً على ذاك الزمان وطيبة ... أيام كنت من اللغوب مراحا
حيث الحمى وطني وسكان النقا ... سكني ووردي الماء فيه مباحا
وأهليه أربي وظل نخيله ... طربي ورملة واديه مراحا
ما رنحت ريح الصبا شيح الربا ... إلا وأهدت منكمُ أرواحا[1]

وقد اشتمل النقا على حدائق ذات بهجة، فمن أحسنها: بئر وادي ابن الأمير جماز الحسيني، فإنها اشتملت على الشجر المتضرع، والغرس المتنوع، والعمارة الحسنة، والأوضاع المستحسنة، وماؤها أعذب ما هنالك. قال في «الوفاء»: ولعلها بئر أبي عنبة[2] التي عرض رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ عسكره عليها في جيش بدر، وردّ من استصغره، وهي على ميل من المدينة المنورة.

---

(١) ديوان ابن الفارض ص(٧٣).

(٢) بئر أبي عنبة: كانت تقع في الحرة خارج باب العنبرية. تاريخ معالم المدينة (١٩٥) للخياري.

ومن محاسن النقا: زمزم[1] فإنها حديقة ذات أشجار ونخيل، وعمارة تناحت في ساحتها الأطيار. قال في «الوفاء»: بئر إهاب بصق فيها النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وهي بئر زمزم، ولم يزل أهل المدينة قديماً وحديثاً يتبركون بها، وينقلون إلى الآفاق من مائها.

وفيه بئر فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ـ احتفرتها لما خرجت من بيت جدتها فاطمة الزهراء ـ رضي الله تعالى عنها ـ[2] وهي الآن من أحسن الحدائق الخضرة النضرة، ذوات الأشجار الأنيقة النضرة، وماؤها ليس بالعذب الخالص، وما أحسن ما قال:

أكرم بزمزم إذ غدا متفجراً ... بمعين ما للمفاسد يصلح

حاوي الملاحة والعذوبة والشفاء ... فذلك يحلو للقلوب ويملح

ولأبي العلاء سليمان المعري فيما يقال[3]:

لك الحمد أمواه البلاد بأسرها ... عذاب وخصت بالملوحة زمزم

---

(١) بئر زمزم أو بئر إهاب: يقع في الحرة الغربية، بصق فيها الرسول ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ المرجع السابق (ص١٩٠/ ١٩١).

(٢) بئر فاطمة: كانت في مسجد السيدة فاطمة في سوق البرسيم القديم الواقع بين سوق الحبابة وشارع العينية من الشمال، والمسجد كان يطل على ساحة باب المصري.

(٣) أبو العلاء المعري (٣٩٨/ ٤٤٩هـ).
شاعر وفيلسوف كفيف، ولد في معرة النعمان، ومات بها، تلقى العلوم على يد والده، وعلى علماء زمانه. انتقل إلى بغداد في سبيل طلب العلم والمجد، إلا أنه عاد إلى المعرة، واعتزل حتى مات. له دواوين شعر كثيرة منها «سقط الزند» و«عبث الوليد» و«اللزوميات» وغير ذلك. جواهر الأدب (٤٥٦).

وفي الخبر: «لا تقوم الساعة حتى تبلغ المساكن إهاب» وفي رواية: «لا تقوم الساعة حتى يبلغ البناء شجرة ذي الحليفة»[1] وهي على ستة أميال من المدينة. وقال الأسدي: خمسة أميال ونصف ميل.

البريد وأجزاؤه:

والميل: ألف باع على المشهور، وهو ثلث الفرسخ، وأنشد في ذلك قولاً مفيداً:

إن البريد من الفراسخ أربع	والفرسخ ثلاثة أميال ضعوا
والميل ألف أي من الباعات قل	والباع أربعة أذرع فتتبعوا
ثم الذراع من الأصابع أربع	من بعدها عشرون ثم الإصبع
ست شعيرات فبطن شعيرة	منها إلى ظهر للأخرى توضع
ثم الشعير ست شعيرات غدت	من شعر بغل ليس فيه تضعضع

ذو الحليفة وبئر سيدنا علي[2]:

وقد عمر الوزير محمد باشا ـ بذي الحليفة البئر المنسوبة إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ـ على يد نقيب السادة الأشراف بالمدينة المنورة السيد أحمد بن سعد الحسيني في سنة تسعمئة واثنين وثمانين، وجعل لها درجاً بعرض حافتها، بحيث صارت المواشي تردها فتكرع منها، وفي قبلي ذي الحليفة وادي الحسا، وهو وادٍ فيه آبار، ومزارع شتى، وهو المذكور في شعر أبي رواحة[3] يخاطب ناقته:

(١) لقد بلغها البناء، وأصبحت على بعدها من ضمن مباني المدينة.

(٢) لقد غلب هذا الاسم على المنطقة، فلا يعرف العامة التفصيل، بل يطلقون على ذي الحليفة والحسا، وما جاورها اسم: آبار علي.

(٣) لعله يقصد عبد الله بن رواحة الصحابي الشاعر الفارس الشهيد، أحد قادة معركة مؤتة ـ رضي الله عنه ـ.

وقد قال:

إذا أدنيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فنعمى وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي واريء

ومن محاسن النقا: المغسلة[1] بالغين المعجمة. قال المجد: هي بكسر السين المهملة كمنزلة، هي جبانة بطرف المدينة يغسل فيها، كذا ذكره أهل التاريخ.

وقد قال، وما أوعظ ما قال!:

كذا عادة الدنيا فهل ناظر خطوب تفاجئنا وموت يصادر
كفى عظة أن كل ما جئت بلدة تلقتك من قبل البيوت المقابر

وقد صارت هذه الجبانة حديقة كبيرة نضرة، وتعرف اليوم بالمغسلة بفتح السين على خلاف القياس، وهي في قبلي النقا من غربي بطحان.

ومن محاسن بطحان: حديقة أمير جليل، والمسلحة، وما اشتمل عليه ذلك الجزع من البساتين الفائقة، والمنارة الرائقة.

فائدة:

شجر البان شجر يقارب الأثل، ومنه نوع قصير دون شجر الرمان يدخل في الغوالي، والأطياب، وكان ينبت بنواحي النقا، والأبرق، والأبيرق ورامة مواضع بالعقيق.

وأنشد لنفسه الشيخ عبد اللطيف التكريتي:

ما شاقه البان ولا يشوقه مذ لمعت ببارق بروقه
جن إلى المغنى القديم فانثنى وشوقه إلى اللواء يسوقه
يهوى بأكناف الحمى محجباً حكاه من غصن النقا وريقه

---

(١) وتعرف اليوم بالمغيسلة، بتصغير مغسلة.

بدر خبا يا أضلعي بروحه ظبي وسفح مدمعي عقيقه
ملكته قلبي وطرفي فغدا أسيره هذا وذاك طليقه
فيا أهل ذياك الحمى نزيلكم يجمل أن ترعى له حقوقه
هلا سألتم بالغضى عن والهٍ فارقه يوم النوى فريقه
مزق ثوب الصبر يوم بينكم ولذ في حبكم تمزيقه
وحقكم ما أم غير بابكم ولا سرت إلى سواكم نوقه
كلا ولا راق له مذ نأى عن حبكم مغنى ولا بروقه
ولا تغنى بكم حادي السرى إلا إن ثنى ودمعه خلوقه
يود لو زار على أحداقه سعياً وأحكام القضاء تعوقه
يا طِيب منزله بطيبة ومن صميم هاشم عريقه
صلى عليك الله ما انهل الحيا وما سرى في فلكك عيوقه

العقيق:

ومن محاسن المدينة العقيق: وهو وادٍ على ثلاثة أميال من المدينة، وقيل: على ميلين منها، كذا في «كشف المناهج» للشرف المناوي. وفي «القاموس»: العقيق: الوادي، جمعه أعقة، وكل سيل شقه ماء السيل، وموضع بالمدينة. انتهى. وقد وصف بأنه الوادي المبارك، وفي الخبر: «يحبنا، ونحبه» وهواوه سجيح لا حر فيه، ولا برد.

ومن شعر الزبير فيه:

قم بنا أنيس قبل الشروق نحتسيها على رياض العقيق

يحكى عن أعرابي أنه قال: دخلت العقيق فوجدت قلبي يمتلىء سروراً لا أعرف له سبباً غير طيب ترابه، وعذوبة هوائه، وانفساح جوه.

وما أحسن ما قال:

ولقد صبوت إليه حتى كدت من فرط التصابي

يجـــد الجليـــس إذا دنـــا ... ريـــح الصبـــابـــة مـــن ثيـــابي

قال في «الدرة الثمينة في أخبار المدينة»: وادي العقيق اليوم ليس به ساكن، وفيه بقايا أبنية مندرسة تجد النفس برؤيتها أنساً، كما قال أبو تمام[1]، وما أزكاه من قول:

ما ربع ميّة معموراً يطيف به ... غيلان أبهى رباً من ربعها الخرب
ولا الخدود وإن أدمين من خجل ... أشهى إلى قلبه من خدها الترب

فائدة:

حاجر[2] موضع بغربي النقا من وادي العقيق، وهو المذكور في الأشعار. وأنشد لنفسه الشيخ عبد السلام بن يوسف، ولله دره:

على ساكني بطن العقيق سلام ... وإن أسهروني بالفراق وناموا
حظرتم عليّ النوم وهو حلال ... وحللتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتم عن حاجر وحجرتم ... على السمع أن يدنو إليه كلام
فلا ميّلت ريح الصبا فرع بانة ... ولا سجعت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى ... على حافتيه بالعشاء غمام
فمالي وما للربع قد بان أهله ... وقد قوضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة ... وهل لي بتلك البانتين لمام
وهل نهلة من بئر عروة عذبة ... أداوي بها قلباً براه أوام
ألا يا حمامات الأراك إليكم ... فمالي من تغريدكن مرام
فوجدي وشوقي في سعد ومؤنس ... ونوحي ودمعي مطرب ومدام

---

(١) أبو تمام: (١٨٨/ ٢٣١هـ) حبيب بن أوس الطائي، شاعر عباسي، عاصر المعتصم العباسي، ومدحه بقصيدة بعد فتح عمورية، له ديوان الحماسة، نقائض جرير والأخطل، بالإضافة إلى ديوانه الصغير، والكبير وغير ذلك.

(٢) حاجر: لعلها المنطقة التي تقع فيها بئر عروة.

بئر عروة:

قال في «الخلاصة»[1]: بئر عروة هذه ميمونة مأثورة، وكان الزوار لا يجاوزون العقيق حتى يتزودوا من مائها، وفيها يقول السري بن عبد الرحمن الأنصاري:

كفنوني إن مت في درع أروى واستقوا لي من بئر عروة مائي
سخنة في الشتاء باردة في الصيف سرج في الليلة الظلماء

وقال إبراهيم بن موسى الزبيري:

ليت شعري هل العقيق فسلع فقصور الجما[2] فالعرصتان[3]
فإلى مسجد رسول الله فما جاء ذا المصلى فجانبا البطحان
فبنوا مازن على العهد أم ليس كعهدي في سالف الأزمان

وقال أبو قطيفة:

القصر ذو النخل فالجماء بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جيرون[4] والمراد القصر[5] الذي ابتناه سعيد بن العاص بن أمية، أحد مشاهير الأجواد بصره عرصة العقيق، وكان بنو أمية يمنعون البناء في العرصة ضناً بها، فاحتفر بها سعيد، وغرس النخيل، والبساتين، وكان نخلها أبكر شيء بالمدينة، وتسمى عرصة الماء[6] وابتنى مروان بن الحكم

---

(١) لعله يقصد «خلاصة الوفاء» للسمهودي.
(٢) الجموات: هي جبال في ضفة العقيق الغربية، وهي معروفة بهذا الاسم في المدينة.
(٣) هي الساحات التي بنيت فيها الجامعة الإسلامية.
(٤) جيرون: هي دمشق.
(٥) وقد بني في المنطقة قصر لجلالة الملك سعود، واحتفظ بآثار القصر المذكور.
(٦) لعلها سميت بذلك لكثرة الماء فيها، ولا سيما أن وادي العقيق أمامها=

بعرصة البقل قصراً، واحتفر بها عيناً.

وفي ذلك يقول الوليد، وما أحلاه:

لم أنس بالعرصتين مجلساً بالسفح بين العقيق والسند

وفي الخبر: «يا عائشة جئنا من هذا العقيق فما ألين موطأه، وأعذب ماءه» قالت: يا رسول الله! أفلا ننتقل إليه؟ قال: «كيف وقد ابتنى الناس»[1].

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام»[2].

قال المطري: العقيق ما بين المحرم إلى غربي بئر رومة، ومنه الجرف، وسيأتي. ولم يزل العقيق نخلاً، وأعناباً حتى خربت تلك العيون، ولم يبق من عمارات العقيق إلا بعض الآثار، وبقايا رسوم الآبار، وما زالت النفوس ترتاح برؤيتها، والأرواح تنتعش بطيب نسمتها، ومن أحسن بساتين العقيق بئر مهدي، فإنها حديقة غرسها زاهر، وأنسها باهر، وماؤها عذب، وهواؤها رطب، وفيها للنفوس مسرة، ولأهلها بها أكرم مبرة. انتهى.

وأما سيل العقيق: فإنه أعظم سيول المدينة، وأحلاها، وأجملها، وأجلاها، ما بحر النيل عند إقباله إلا كثمده وأوشاله، وما الفرات وحلاوته عندما تروق العين طلاوته. لقد اختصت به أهالي المدينة حتى كأنه عندهم يوم الزينة.

= منخفض، وتتكون فيه الغدران مما يزيد في منسوب المياه في الآبار التي حفرت في العرصات.

(١) رواه ابن النجار.

(٢) تحقيق النصرة للمراغي ص(١٨٢).

وبالجملة: فإنه إذا سأل بالسلسال واديه، وتعطر بأزهار بساتينه ناديه، هرعت وجوه الناس إليه، وعولت في صفاء الوقت، وترادف المسرات عليه، فتضرب حوله الخيام، ولا سيما إن تحجب الشمس بالغمام، فترى الناس حوله ينتهزون فرصة اللذات، وينتهبون أوقات المسرات. قال أبو عبيدة: العقيق ينفق من قبل الطائف، ويرون: أنه أقام[1] في بعض الأعوام نحو خمسة عشر يوماً، وهو في قوة الجريان بحيث لا يمكن سلوكه.

من المعميات[2] في السيل:

إذا ركب البيدا يخشى ويتقى ... ولم يثنه طعن ولم يلوه ضربا
ويأكل ما يلقاه عند لقائه ... ومن أعجب الأشياء ليس له قلبا

وفيه أيضاً:

ما اسم شيء إذا تصفحت جمع ... وهو يصطاد ما من البحر يجلب
وهو لا طائر وليس بوحش ... ثم إن رُمت قلبه ليس بقلب

يريد أن هذا الاسم، وهو لفظ سيل إذا تصحف كان شبكاً جمع شبكة، وهو معدود لصيد السمك من البحر، وهو غير الطير، والوحش، وقلب السيل ليس قلباً وهو مادة التعمية.

ولابن المعلم:

كم قلت إياك العقيق فإنه ... ضرب حاذره يصيد أسوده
وأردت صيد مها الحجاز فلم ... يساعدك القضاء فرحت بعض صيده

---

(١) لعله يعني أن السيل استمر خمسة عشر يوماً في الجريان، وهذا ليس غريباً.
(٢) من التعمية، ويراد بها الإلغاز للسيل.

واختصره بعضهم:

أبصرت ظبيـــاً في الحمـــى ... بين اللـــــواء وزروده[1]
أملـــت أن أصطـــاده ... فعـــدتُ بعـــض صيـــوده

وقال غيره:

قلبي الخفوق ومدمعي الجاري دم ... مهما جرى ذكر العقيق أو اللوا
وإذا تـألـق بـارق مـن بـارق[2] ... فهناك ينشر من هواه ما انطوى

لطيفة:

في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني[3] نقلاً عن الهيثم بن عدي قال: حدثني عبد الله بن العباس الهذلي عَن رجل من بني عامر، قال: مطرنا مطراً شديداً ارتبعناه، ودام المطر ثلاثاً، ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صحو فخرج الناس يمشون على الوادي، فرأيت رجلاً جالساً على حجرة، فقصدته فإذا هو المجنون[4] جالساً يبكي فكلمته وهو مطرق، ثم رفع رأسه، وأنشد بصوت حزين لا أنسى حرقته وهو يقول، ويا أحلى ما قال:

جرى السيل فأبكاني السيل إذ ... جرى وفاضت له من مقلتي غروب
ومـا ذاك إلا حيـث أيقنـت أنـه ... يكـون بـواد أنـت منـه قـريـب
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكـم تلقـى طيبكـم فيطيـب

---

(١) زرود: أحد أودية العقيق.

(٢) بارق: موضع في العقيق.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: (٢٨٤/٣٥٦هـ) أموي قرشي، من أئمة الأدب وأعلام التاريخ واللغة، والأنساب، والسير، ولد بأصفهان، وتوفي ببغداد، له كتاب «الأغـاني»، و«مقـاتـل الطـالبين» وأعـداد أخـرى مـن الكتـب. الأعـلام (٢٧٨/٤).

(٤) المجنون: لعله يقصد مجنون ليلى قيس بن الملوح.

فيا ساكني أكناف نخلة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب[1]

زاد مغلطاي فيه مقالة:

أطل غريب الدار في آل عامر إلا كل مهجور هناك غريب
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى إلي إن لم آته لحبيب
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

وهي قصيدة أولها:

ألا أيها البيت الذي لا أزوره وهجرانه مني إليه ذنوب
هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً وفيك عليّ الدهر منك رقيب
سأستعطف الأيام فيك لعلها بيوم سرور في هواك تثيب

قلت: ولعل تكرار اسم الحبيب في القافية غير مذموم، فإنه لا يضر شيء مع اسمه. وعلى ذكر المطر في التهنئة به حيث قيل:

لله يوم قد همت سحبه يفسح روض طيبة النسمة
وظبي أنس حنَّ قلبي له إذ قال لي لتهنئكم الرحمة

فائدة:

سيل الحجاب كان بمكة المشرفة، واحتجب دوراً كثيرة، وأحاط بالكعبة، وكان في إمارة عبد الملك بن مروان[2] سحر يوم التروية من عام ثمانين.

وحكى السيوطي[3] في «تاريخ الخلفاء»: أنه جاء سيل في أيام

---

(١) وقد روي هذا البيت على الصورة التالية:
فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، كان طالب علم في المدينة تولى حكم الدولة الأموية بين عامي (٨٦/٩٦هـ).

(٣) السيوطي: هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، عالم ومحدث، كثير=

عبد الله بن الزبير[1] طبق البيت الحرام، فكان يطوف سباحة[2] وهو أول من كسا الكعبة الديباج، وكان له مئة غلام، لكل غلام لغة ليست لصاحبه، فكان يكلم كل غلام بلغته[3].

وللصفي الحلي[4]:

بقـدر لغـات المـرء يكثـر نفعـه　　وتلـك لـه عنـد الملمـات أعـوان
فهافت على حفظ اللغات مجاهداً　　فكـل لســان في الحقيقـة إنسـان

وفي سنة إحدى وسبعين وتسعمئة طاف بالبيت سيل عظيم، خرب الدور، وأخلى البقاع، وعلا على الركن اليماني مقدار ذراع، وفي سنة تسع وثلاثين وألف دخل مكة سيل لم يعهد مثله بحيث هدم الدور، وذهب بالمال، والرجال، ودخل إلى المسجد، وطاف بالبيت بحيث كان تاريخه رقى إلى قفل بيت الله، وبسببه انهدمت الكعبة، وعمل الناس في ذاك التواريخ، والأشعار، وكثر اللغط في عام تاريخه ـ غلط ـ[5] وفي سنة أربعين بعد الألف كان بناء البيت الشريف.

ومن التواريخ المنشورة فيه رفع الله تعالى قواعد البيت، وكانت هذه الفضيلة مما اختص بها مولانا السلطان الأعظم، والخاقان المكرم واسطة

= التأليف، توفي عام (٩١١هـ).

(١) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، ذات النطاقين. لم يبايع يزيد، ودعا لنفسه، فأصبحت الأقاليم الإسلامية تحت حكمه إلا ـ مصر والشام ـ واستردها منه مروان بن الحكم، ثم ابنه عبد الملك حاربه يزيد بن معاوية، ثم عبد الملك بن مروان بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي رمى الكعبة بالمنجنيق، وقتل ابن الزبير وصلب بعد أن تفرق أعوانه.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٢٣٢).

(٣) هذه مسألة فيها مبالغة من حيث عدد اللغات، ومعرفة ابن الزبير لذلك.

(٤) الصفي الحلي: (٦٧٧/ ٧٥٠هـ) هو صفي الدين الحلي: شاعر.

(٥) انفردت بها النسخة (ب/ ج).

عقد آل عثمان، والمخصوص بالمناقب التي يعجز عنها البيان المسدد في الإصدار، والإبرام، مولانا السلطان مراد[1] أصلح الله تعالى بماضي اهتمامه فساد العباد، وعمر بعدل سيرته البلاد، ولا انفك منشور عزه مكتوباً على جبهة الشمس وجماجم أعدائه مندرسة، كأن لم تغن بالأمس[2] فياله من أثر تعفو دونه المآثر، وياله من تاريخ خير يبقى مع الدهر الداهر، وأكرم بها فضيلة اختصه الله تعالى بها دون آبائه، وشرفاً يسطر خبره في صدور قرطاس أنبائه.

هكــــذا هكـــذا وإلا فـــلا لا　　　طـرق المجـد غير طـرق المـزاح

ومن تاريخ الفاسي[3]:

بنى الكعبة الغراء عشرة ذكرتهم　　　ورتبتهم حسب الذي أخبر الثقة
مــلائكــة الــرحمــن آدم ابنــه　　　كـذاك خليـل الله ثـم العمـالقـة
وجرهم يلونهم قصي قريشهم　　　كذا ابن الزبير ثم حجاج لاحقة
ومن بعدهم آل عثمان قد بنى　　　مـراد حمـاه الله مـن كـل طـارقـة

وذيل ذلك بعضهم فقال:

وخاتمهم من آل عثمان بدرهم　　　مـراد المعـالي أسعـد الله شـارقـه

فائدة:

الخلائق جمع خليقة مزارع، وقصور لغير واحد من آل الزبير[4] يمر

---

(١) السلطان مراد الرابع حكم بين عامي (١٠٣٢ ـ ١٠٤٩هـ).

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة يونس: ٢٤].

(٣) التقي الفاسي: (٧٧٥/ ٨٣٢هـ) محمد بن أحمد بن علي، مكي المولد والوفاة، عالم، قاضٍ، مؤرخ، من كتبه «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» «شفاء الغرام لأخبار البلد الحرام» وغيره كثير. الأعلام (ج٥/ ص٣٣١).

(٤) هنا سقط في النسخة (أ) والمقصود ما يعرف بوادي الزبير شمال المدينة، وهو =

بها سيل العقيق، كذا في «تاريخ الوفاء».

أنشد أبو حيان الشاطبي لنفسه:

تـرومـون الحجـاز ومـا علمتـم ... بـأن القلـب بيتكـم العتيـق
وألفـاظ العـذيـب وفي ضلـوعـي ... الحمـى ودمـوع مقلتـي العقيـق

وقال آخر:

ولقد أتيت إلى العقيق فشاقني ... عين بهـا روض النعيـم منعـم
فـلأهلهـا مـن أجلهـا أنـا مكـرم ... ولأجل عين ألف عين تكرم[1]

ومن كتاب «زهر الربيع في باب الإدماج»:

حـدثـاني عـن قـامـة ورضـاب ... أشغلاني عن كل غصن وريق
وصفـا لي ثغـر الحبيـب فـإن ... ذو اشتيـاق إلى النقـا والعقيـق

الشاهد في قوله: وصفا لي ثغر الحبيب، فإنه: أدمج فيه وصفه بالنقاء، والعقيق.

وما أحلى قول ابن نباتة[2]:

إذا لم تغض عيني العقيق فلا رأت ... منـازلـه بـالقـرب تبهـى وتبهـر
وإن لم تواصل غادة السفح مقلتي ... فلا عادها عيش بمغناه أخضر

قـال ابـن حجـة في كتـاب: «كشـف اللثـام عـن وجـه التـوريـة والاستخدام» بعد إيراد البيتين فيه: فانظر أيها المتأمل إلى صحة الاشتراك في الاستخدامين، وانسجام البيت الأول مع الثاني، وسيلان الرقة من

= نهاية أوديتها، ويعرف اليوم بالخليل.

(١) ذهب هذا البيت مذهب المثل، وصار يضرب به المثل للتعبير عن هذا المعنى.

(٢) ابن نباتة: (٦٨٦/٧٩٨هـ) المصري محمد بن أحمد جمال الدين، شاعر من عصر المماليك، عاش في القاهرة، ومات بها. جواهر الأدب (ص٤٦٩) لأحمد الهاشمي.

هذا القطر النباتي، والتشبب المرقص بالمنازل الحجازية، والعزل الذي يليق إن تصدر به المدائح النبوية.

ومن الشعر المنسجم المحرك للأشجان:

أبكـي إذا ذكـر العقيـق بمثلـه ... لعهـود جيرتـه وحسـن العهـد
فسق الحياء تلك البقاع فشربها ... لجلا عين القلب مثل الإثمد

وقال السري الرفاء:

إذا ذكـر العقيـق لنـا نثـرنـا ... عقيـق الـدمـع سحّـاً وانهمـالا
ونسـأل مـن معـالمـه محيـلا ... فنطلـب مـن إجـابتـه محـالا

ومن قول سعد الدين بن عربي:

هـذا العقيـق فمـا لقلبـك يخفـق ... أتـراه مـن طـرب إليـه يصفـق
بـانـت لـه بـانـات سلـع فـانثنـى ... ولـه إلى نسمـاتهـن تشـوق

البرك في المدينة:

ومن محاسن المدينة: البرك المباحة[1] وهي بركة الأمير بيري، وهي في قبلي جادة العقيق، وعندها حديقة عليها بناء حسن لعبت به الأرياح، وبركة الأمير قاسم: على بئر الإعجام، وهي في قبلي مسجد السقيا، وعندها سبيل، ومشربة على حديقة لطيفة، وكانت مقيلاً للأعيان، ومنتزهاً لمن تناءت به الأوطان، فدارت بها الليالي حتى صارت كالرسم الخالي، وكل عمارة تغدو خراباً عمارتها بتكرار الرياح.

● بركة العنبرية: وهي بركة عظيمة عليها عمارة حسنة، وإيوان لطيف وهي في قبلي جادة النقا.

---

(١) هي البركة المسبلة التي كانت في المدينة تسقى منها الدواب.

● بركة الوزير داود باشا[١]: وهي غربي عمارته عند مقسم العين الزرقاء، وهي منهل الركب المصري.
● بركة المصلى: وهي الكائنة شرقي حوش عمر أفندي.
● وبركة الوزير مصطفى باشا[٢]: وهي الكائنة غربي بستانه في شمال باب السور الشامي، وهي منهل الركب الشامي، ولكل واحدة من هذه البرك أوقاف، وخدمة، وناظر.

ومن محاسن المدينة: عمارة السلطان مراد[٣] عليه رحمة رب العباد، فإن عليها مدار المهاجرين، والفقراء، والمجاورين، وكان لها خبز يصلح للفقراء، وكان يطبخ فيها اللحم، ويفرق على الفقراء، وكان الفقير إذا نال نصيبه من الأرز المطبوخ في ليلة الجمعة، والإثنين استخرج منه من السمن ما يكفيه إلى يومين، وبالجملة فلا غير الله تعالى بها الحال، ولا أخلاها من الخيرات، والنوال. فإن لكل زمان مجالاً، ولكل دهر دولة ورجال، وقد أفرد بعض الفضلاء مؤلفاً بخصوصها، وبين فيه تفاصيل جملها، ونصوصها، وفي معنى هذه العمارة: العمارة الخاصكية.

ومن محاسنها: الرباط[٤] وضعاً، ونفعاً، فلا زالت بالخيرات عامرة

---

(١) لعلها المزرعة التي كانت تعرف بالداودية الكائنة أمام محراب مسجد أبي بكر الصديق، والتي أزيلت، وعمل مكانها سوق الخراج؛ الذي كان يوصل بين منهل المناخة والسيح.
(٢) لعلها البركة التي كانت على حافة بستان بضاعة بالقرب من باب الشامي.
(٣) لعله يقصد التكية التي أسسها ذلك السلطان، وتقوم بتقديم وجبات من الطعام منتظمة للمحتاجين من سكان المدينة.
(٤) عرفت بعض المدن الإسلامية نظام الأربطة المدنية، وهي معدة لسكن طلبة العلم، والمجاورين المنقطعين للعبادة، وعادة ما يكون محلقاً بها، ومن ضمنها مسجد، وميضأة، والأربطة عادة تتكون من غرف صغيرة تستوعب شخصاً =

وللفقراء بجزيل الإحسان غامرة.

ومن محاسن المدينة: حمام الوزير داود باشا[1] فإنه حسن في وضعه عام في نفعه، وعنده حديقة لطيفة (منيفة، وعمارة ظريفة نزهة بهيجة مليحة)[2]:

منـــازل ليلى كلهـــن منـــازه لطـرفي وقلبـي في حمـاهـم مخيـم

□ □ □

= واحداً، أو شخصين، وهي في المدن المقدسة كثيرة العدد، وقد أفردنا لها بحثاً مستفيضاً في كتابنا «المدينة في القرن الرابع عشر» كما أفرد لها بعض الأكادميين بحوثاً مستقلة.

(١) لعله حمام العنبرية الذي كان تحت عمائر الترجمان على ضفة السيح الشرقية.

(٢) اختصت به النسخة (١).

فصل

في ذكر سلع ومساجد الفتح، وما اشتمل عليه ذلك السفح

- الغابة
- سليع
- مساجد الفتح

فصل في ذكر سلع، ومساجد الفتح، وما اشتمل عليه ذلك السفح

حديث الغواني لست أنكر طيبة ... ولكن كلام العامرية أطيب

سلع: بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة: جبل بالمدينة المنورة، قال الأصمعي: غنت جارية يزيد بن عبد الملك، وكانت من أحسن الناس وجهاً، ومسمعاً، وكان شديد الكلف بها، وكانت نشأت بسلع وملاحة كلامها، وقد قالت:

لعمرك إني لأحب سلعاً ... لرؤيته كذا أكناف سلع

تقر بشربه عيني وإني ... لأهوى أن يكون بريد رجعي

فتنفست الصعداء، فقال لها: لم تتنفسين؟ والله! لو أردته لنقلته إليك حجراً حجراً.

فقالت: وما أصنع؟! إنما أردت ساكنيه.

وما أصدق ما قال:

وما كنت أهوى الدار إلا بأهلها ... على الدار بعد الظاعنين سلام

وكان العباس[1] - رضي الله تعالى عنه - يقف على سلع فينادي غلمانه وهم بالغابة، وذلك من آخر الليل، وبينهما ثمانية أميال. قال المجد:

---

(١) المقصود هو العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وهو معروف بارتفاع صوته، ولذا أمره الرسول أن ينادي في الفارين يوم حنين.

الغابــة:

الغابة: ماء على بريد من المدينة في سافلها، وهو محمول على أثناء[1] الغابة لا أدناها، وقيل: هي على ستة أميال، وعليه فالمراد أولها، وهي مفيض أودية المدينة، وكانت بها أملاك لأهل المدية استولى عليها الخراب، وبيعت في تركة الزبير بألف ألف ستمئة ألف، أو كما قال:

لنــا ملــك ينــادي كــل يــوم لــدوا للمــوت وابنــوا للخــراب

للمنقاري:

ولكــم لله مــن ملــك ينــادي صبيحــة كــل يــوم للمعــاد
يقــول لأهــل دنيــانــا يــا جميعــاً لدوا للموت وابنو للخراب[2]

ويُروى أنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: قصر الصلاة في الغابة، وإليها تنتهي عين معاوية[3] ولم يبق منها اليوم غير مجاريها. وعلى ذكر صوت العباس قال: في القاموس: أبو عروة: رجل، كان يصيح بالأسد، فيموت، فيشق بطنه، فيجد قلبه قد زال عن موضعه.

وللطبراني في «الكبير»: سيبلغ البنيان سلعاً[4] ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر[5] على بعض أقطارها، فتقول: قد كانت مرة عامرة، وذلك من طول الزمان، وعفو الأثر. وفي الخبر: «ليخرجن أهل المدينة خير ما كانت[6] نصفاً زهواً ونصفاً رطباً» قيل: من يخرجهم منها. قال:

---

(١) لعله يعني وسط الغابة.
(٢) انفردت بها النسخة (أ).
(٣) والمنطقة الآن استصلحت، وأصبحت تغطيها مزارع أهل المدينة.
(٤) وفي الوقت الحاضر اتسع البنيان في المدينة من جميع الجهات، وأصبح سلع في وسط المدينة يحيط به البناء من كل الجهات.
(٥) السفر: المسافرون.
(٦) وقد حصل ذلك أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث رحّل فخري باشا سكان =

«أمراء السوء» وفي رواية: «أعمر ما كانت» وذلك في آخر الزمان.

يا صاح إن أسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

سليع:

وأما سليع[1] بالتصغير، فهو جبل صغير، وعليه اليوم القلعة السلطانية، وكان عليه قبل ذلك حصن أمير المدينة جماز بن شيحة الحسيني[2] في حدود السبعين وستمئة، كذا في «زهر الرياض».

وأما كهف سلع فقد كان عليه وعلى آله الصلاة والسلام يبيت به ليالي الخندق، وهو على يمين المتوجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطرق القبلية في مقابل الحديقة النقيبية على يمين الصاعد عليه، وأعلى منه كهف صغير في جهة المشرق، وتقدم ذكر العينية، وكانت بسلع قصور مشيدة، ومساكن عديدة، ومنارة حسنة الأوضاع والمسالك.

وللشعراء فيها تشبيب، ومن ذلك:

قصور لعمري حياة مضت   ولم نر بالنخل تلك القصورا

سقى الله سلعاً وما حوله   وسلني تجدن بسلع خبرا

ومن القصائد النبوية في ذلك:

بيت سلع والمصلى عرب   حبذا قربهم لو وجدوا

حيث صاروا ففؤادي معهم   أتهم السير بهم أو أنجدا

= المدينة منها ليوفر المحاصيل الزراعية لجنوده أثناء حصار الأشراف لها، وذلك ما يعرف عند المدنيين بسفر برلك.

(١) سليع: هو منطقة القلعة الواقعة في باب الشامي، وقد أزيلت القلعة، وبنيت على أرضها بنايات سكنية، ثم أزيلت لصالح شركة طيبة.

(٢) جماز بن شيحة: حكم المدينة بين عامي (٧٠٠/٧٠٤هـ) ومن قبل أيام حكم أخويه متعب، وعيسى، وكانت له سلطة في المدينة قبل أن يصبح أميراً لها. «التحفة اللطيفة» للسخاوي (١/ ٢٤٤).

يا سقى الغيث ربوعاً باللواء ... كلمـا راح عليهـا وغـدا
بعدت عيني وفي تلك المنى ... قـرب الله لنـا مـا بعـدا
وحيـاة الحـب لـولا قمـر ... حـل في ذاك الحمى ما قُصِدا
أنشـدوا قلبـي في معهـدكـم ... فهـو لا يترك ذاك المعهـدا
ودعـوا جفنـي وإن بـرّح بي ... ودعـوا شـوقـي إلى أن يَقِـدا
زر بنا سلعاً وسل عن جيرة ... مثلهـم لم تـر عينـي أحـدا
فـإذا جئـت فعرض عنـدهـم ... بحـديثـي ولـك النفس فـدى
ورد المـاء الـذي في حيهـم ... فهو الماء الذي يروي الصدى
بعد ذاك المـورد العـذب لقـد ... بـت لا تطلـب نفسي مـوردا
قـل لهـم لا صبر عنكـم فـإذا ... كـان بُعـد لا تطيـل الأمـدا
بيننـا مـوعـد وصـل وهـم ... عـرب لا يخلفـون المـوعـدا
مـا رأينـا أحـداً إلا انثنـى ... طـربـاً يـوم رأينـا أُحـدا
وبـدا مـن دون سلـع قمـر ... حبـه في خلـدي قـد تخلـدا
أشرقـت مـن نـوره الأرض لنا ... فكـأن الليـل صبحـاً قـد بـدا
كيف صبري عن حبيب قد غدا ... بـالمعـالي والمعـاني مفـردا
إن عيشـاً قـد مـدى في قـربـه ... لسـت أنسـاه ولـو طـال المـدى
أيهـا الحـادي دع العيـس ونـم ... قـد كفـاهـا شـوقهـا عمـن حـدا
رقـد القـوم عليهـا القـوم وهـي ... من شوقها قد منعت أن ترقدا
لـو تـراهـا راقصـات في الفـلا ... قد شجاها صوت حادٍ أنشدا
ذكـرت سلعـاً وسلـع منتهـى ... أمـل السـاري إذا مـا اجتهـدا
ليس من يسهر في كسب العلا ... مثـل مـن يـرقـد فيمـن رقـدا
لا تقـل مـالي زاد فـالـذي ... أنـت تـرجـوه فقير زودا
ختـم الـرسـل بـه رب الـورى ... وبـه في رتبـة الفضـل ابتـدا
فهـو عنهـم خبر في بعثـه ... وهـو في الفضـل عليهـم مبتـدا
وجـد النـاس وهـم في حـاجـة ... فتـولى كـل نـوال وجـدا

وجـلا عــن كــل قلــب وجــلا ... وفــداً مــن ذنبــه مــن وفــدا
ســـلام الله على خير الـــورى ... وعلى أصحـــابــه أهــل النـدى
وعلى الآل ســـلام عـــاطـــر ... وســـلام مــن محــب سرمــدا

وقال الشيخ أبو بكر الرداد:

لي بــأكنــاف طيبــة بين سلــع ... والعــوالي مســامــر وشجــون
وحبيـــب إذا تــألــق بَــرْق ... من سنا عرضه تفيض العيون
يــا أهيــل الحمــى وبــان المصلى ... وقبـــاب النقـــا بكـــم أستعين
طال فقدي وباع جهدي قصير ... وبكـــم أصبــح الأمــر يهــون
فـالـدراك الـدراك يـا أهـل نجـد ... قبل أن تذهب البقايا الغبون
وعســـى عطفـــة تسكــن جـأشي ... وعســـى عـــودة بهـــا أستكين

وقال القيراطي:

عرضا بي ركب الحجاز أسأله ... متـــى عهـــده بسكـــان سلـــع
فـأتنـي أن أرى الـديـار بطـرفي ... فلعلي أرى الـــديـــار بسمعـــي

مساجد الفتح:

وأما مساجد الفتح، وهي في غربي سلع، فالأول المرتفع على قطعة منه يسمى:

(١) مسجد الأحزاب، ومساحته عشرون ذراعاً في سبعة عشر، صح أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: صلى فيه، ودعا فيه عليهم يوم الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء. وهذا هو الأصل في تخصيص هذا اليوم بزيارة هذه المساجد، ويسمى مسجد الفتح لقوله ﷺ: «أبشروا بفتح الله ونصر الله؛ لأن سورة الفتح به نزلت».

والمسجد الذي يلي الأعلى قبلة مسجد سلمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

(٢) ويعرف بمسجد علي ـ كرم الله وجهه ـ ومساحته ثلاثة عشر في ستة عشر.

(٣) والثالث مسجد الصديق ـ رضي الله عنه ـ[١].

(٤) والرابع في قبلة الثالث على قطعة من جبل سلع، ويعرف بمسجد أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ صح أنه ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ صلى في كل هذه المساجد.

(٥) وفي غربي المسجد الثالث صهريج يمتلىء من سيل أبي جيدة وعليه إيوان لطيف، يقال: إنه من عمارة إبراهيم آغا، وفي غربي الصهريج حديقة لطيفة، وسبيل عُمر في سنة ثمان وأربعين وألف، وخلفه إلى جانب المغرب حدائق، وبساتين ومزارع[٢] وفي شرقي سلع، حول مناخ الركب الشامي حدائق ذات بهجة[٣] من أحسنها الزكي، وهي حديقة ذات نضارة، وعمارة، وهي عند مشهد السيد محمد الزكي[٤] وبه عرفت، وهي في قبلة ثنية الوداع[٥].

وعلى ذكر الثنية فما أحسن ما قال:

جـلا ثغـراً وأطلـع لي ثنـايـا ... يسـوق بهـا المحـب إلى المنـايـا

---

(١) وقد أزيل هذه الأيام ليعاد بناؤه على مساحة أكبر.

(٢) لا زالت هناك بعض الحدائق القليلة، ويغلب على المنطقة البناء، وقد تحولت إلى حي سكني.

(٣) يعني بذلك ميدان باب الشامي، وقد كان حياً من أحياء المدينة السكنية، وأما الآن فلا توجد مبانٍ بين جبل سلع، والمسجد النبوي، حيث أزيلت الأحياء لصالح مشروع نفق المناخة، ومشاريع شركة طيبة الاستثمارية.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى، ولد بالمدينة عام (١٠٠هـ) وقد قاد حركة الخروج على المنصور بالمدينة حتى قتل على يد عيسى بن موسى العباسي عام (١٤٥هـ).

(٥) هي جبل صغير متصل بجبل سلع من الجنوب الشرقي، وكان عليه مسجد، ثم أزيل المسجد والجبل، وبنيت هنالك عمائر سكنية، ولكنها أزيلت لصالح مشروع نفق المناخة.

وأنشد ثغره الأصحاب فخراً أنا ابن جلا وطلاع الثنايا[1]

وقال صدر الدين بن العيوم:

جلا سواك ثغرك خير درّ فجل بذاك واكتسب المزايا
وأنشد صحبه تيهاً وعجباً أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن الحدائق المعتبرة هنالك الحديقة القبرسلية: وهي في قبلة مسجد الراية[2]، والحديقة المكارمية، والحديقة السنانية، والحديقة الحمامية، والحديقة الفيروزية، وعمارة الوزير مصطفى باشا[3].

منازه كأنها جنان يسلو بها عن همه الجَنَان

□ □ □

---

(١) هذا الشطر تمثل به الحجاج بن يوسف الثقفي عندما خطب في أهل العراق، ولكن رد عليه راد بقوله:

هلا ثبت للغزالة يومها كأن فؤادك في جناحي طائر

بالرغم من جبروت الحجاج بسلطانه، إلا أنه فرّ من المعركة أمام غزالة الخارجية.

(٢) مسجد الراية: هو على جبل الراية على يمين الذاهب إلى سلطانة وشمال الذاهب إلى العيون، ولا زال معروفاً باسمه ومكانه.

(٣) جميع هذه المعالم التي ذكرها المؤلف في شرق سلع قد أزيلت، ما عدا جبل الراية وما عليه من مسجد.

فصل
في ذكر قبا، ومحاسن هاتيك الربا

- قباء
- عمارة مسجد قباء
- مصلى الرسول في مسجد قباء
- محاسن المسجد
- تفسير فيزيائي لظاهرة الانعكاس على الماء
- حدائق قباء
- أنواع الكروم في قباء
- بعض أودية المدينة

فصل في ذكر قبا ومحاسن هاتيك الربا

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبيرٌ أجل عندي بأوصافها علم

قباء:

بالضم يمد ويقصر. على ميلين من المدينة، وفي «آثار البلاد، وأخبار العباد» للقزويني: قباء قرية لطيفة على ثلاثة أميال من المدينة[1]:

بها ما يلذ العين من حسن منظر وما ترتجيه النفس من شهواتها
زمردة خضراء قد زين قرطها بلـؤلـؤة بيضـاء مـن زهـراتهـا

وأقول في ذلك[2] وإن لم أكن هنالك:

مـا أطيـب الأيـام فيهـا تنقضي والعين قد قرت بوصل حبيبها
ما العيش إلا في حماها ليت لي مأوى ولو في سفحها[3] ورحيبها

وبالجملة: فإنها رياض رق أديمها، وراق نسيمها، وتم طيبها، وترنم عندليبها، وتحركت عيدانها، وتمايلت أغصانها، وتفوقت أزهارها، وصوت هزارها، وتسلسلت جداولها، وتبلبلت بلابلها، وهذا ما أملته الخمائل بغمزها، والنسمات برمزها، وأشارت إليه الأزهار بلسان حالها، وترجمت عنه الأطيار في حلولها وارتحالها،

---

(١) في وقتنا الحاضر أصبحت منطقة قباء جزءاً من المدينة، حيث امتدت الأحياء السكنية، واختلطت.

(٢) هذه الأبيات من شعر المؤلف السيد كبريت.

(٣) لا توجد في قباء جبال، وبالتالي لا توجد بها سفوح.

وقال: الماء الذي جعل منه كل شيء حي[1]، ألا يا أهيل هي الحي من طالع مثالي فهم ضرب أمثالي، ومن أعجمَ عليه أشكالي فليس من أشكالي، والحمد لله البعيد في قربه، والقريب في بعده، المتعالي في جده، عن هزل القول وجده، الموجد ما كان عدماً، المودع كل موجود حِكَماً، جاعل العقل حكماً يميز بين الشيء وضده ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [سورة فاطر: ٢] فلله ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾[2] وفي الله قلوب على الطاعة تقوى في حضرة ما أبهاها! وروضة ما أشهاها! الجداول قد سلت بأيدها كل صعب صقيل صيغ فضة بيد الضحى، وذهباً بيد الأصيل.

والأغصان كأنما خلقت منابر خطباء الحمام، وصورت أوراقها محاجر لدموع الغمام، والطير ما بين متطلع من ركنه، وقائم على غصنه، من كل مُفّوق الطلسان، ومطوق يزهو طوقه على طوق العقيان.

يَصِلن بنواحي نوحهن وإنما بكيت بشجوي لا بشجو الحمائم

فلله هاتيك الحدائق وقد سقاها ماؤها النعيم، وألبسها نعماه النسيم، ونقل الشمال إلى الشميم طيبها (وتحركت بالأشواق إليها قلوب العشاق، ولا تحرك الأغصان حين حرك الهواء رطيبها)[3] ولقد طالت حيرة البليغ في وصفها، وما عسى أن تحمل الشمال من طيب عرفها.

يا حسن هاتيك الرياض وطيبها فكم قد حوت حسناً يجل عن الحد

---

(١) اقتباس من قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء الآية ٣٠].

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٨].

(٣) انفردت بها النسخة (أ) (ج).

ولا سيما تلك السواني فإنها ... تجدد حزن الواله المدنف الفرد
أطارحها شجوي وصارت كأنما ... تطارح شجوها بمثل الذي أبدي
وما بين هاتيك النخيل منازه ... تجدد ما قد فات من سالف العهد
وفي سفح ذاك الجذع أي كواكب ... تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
سقى سفحها وبل من الغيث هاطل ... وحيّ حماها بالعبير وبالند
فكم قد نعمنا في ظلال رياضها ... بعيش هنيء في أمان وفي سعد
فمن لي بها مع من أودّ ودنوه ... فمن لي بها في غير بلوى ولا جهد

أنشد لنفسه الشيخ أبو عبد الله الفيومي:

لله يوم في قباء قد مرّ لي ... في جمع أحباب وبسط زائد
وتمتّعت في روضة أحداقنا ... بحدائق تسقى بماء واحد[1]

وقال العفيف التلمساني:

يا سائق العيس نحو كاظمة ... بلغ سلامي لساكنين قبا
وقل قضى ذلك المشوق بكم ... وما قضى من وصلكم أربا

ومن سحريات الحدائق:

ما نلتُ ليلة وصلي طيب السمر ... حتى مررت بنا يا نسمة السحر
لقد أتيت على ما كان في خلدي ... وجئت يا عذبة المحيا على قدر[2]
لله ليلة أنس بات معتنقي ... فيها السرور يباهي طلعة القمر
ذاك الذي أوتي القرآن معجزة ... واختص بالمدح في الآيات والسور
لولاه ما فاز بالفخر الجميل قبا ... وخص بالذكر في التنزيل والخبر
أكرم به مسجداً ظل الفخار به ... فنال فيه الندى ما أطيب السهر

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ [سورة الرعد: ٤].

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٠].

والروض قد لعبت أيدي النسيم به ... ومالت القضب والأغصان بالثمر
والعذب قد راق والساقي يطوف به ... على الجداول في روض من الزهر
والطير قد رقصت في وكرها طرباً ... أغنت برنتها عن زحمة الوتر
يهنئك يا قلب هذا الوصل وابتهجي ... يا نفس واغتنمي من صحة العمر
وأنت يا قبة الإسلام ما برحت ... روحي فداك تقي عن سائر الغِيَرَ
وأنت يا ليلة الأنس التي لطفت ... لقد حللت محل السمع والبصر
ما أطيب العيش لولا عين حاسدة ... ما أطول الليل لولا فرحة الظفر
الليل ما بين أهل الوصل مختصر ... لو طال ما طال منسوب إلى القِصر

ومن ذلك في هذا المسالك:

نشر الريح ما طوى كُمُّ زهر ... فزكا عرف ما شذا كُلّ نشر
وتغنت سواجع الأيك فيها ... وكذا الدوح هزه صوت قمري
في رياض بالجزع تزهو وتزهي ... قد بدأ من كمامها نشر وزهر
وكذا الملقحات جادت وأبدت ... يا نديمي من طلعها خير بُسر
يستوي في الصيف عند استواها ... كل ضيف لها وعبد وحُرّ
وألذ الحياة فيها وأحلى ... خطرات ما بين أثل وسدر
ونديم من الصفا ومدام ... من وداد يروق من صفو صدر
ومدير من الوفا كأس حب ... مع طيب يفوق أطيب عطر
ومغن من الغنا وسماع ... من لسان الثناء بحمد وشكر
وأمان من الرقيب وقرب ... من وقار بعد ما كان يزري
هذه عيشة الكرام وفيها ... فاقبلوا يا أولي الصبابة عذري
واسألوا إن بلغتموها أماناً ... من صروف الردى ومن سوء غدري

ومن تلك الأوصاف في هاتيك الأصناف:

إذا غرد القمري بكيت وإن بكا ... أموت وأفنى أن تغنى مع السحر
وإن سجعت فوق الغصون سواجع ... أطارت فؤادي حيث كانت من الشجر
وإن صوتت بين الأراك بلابل ... بليت بأنواع الشجون وبالفكر

وإن هب نشر الروض زاد بي الهوى وكنت متى هب النسيم على خطر
أبى العيش صفو المحبة راحة وإني بها طول الحياة على حذر
رعى الله أهل الجزع لو علموا الذي أصبت به لم يغفلوني من النظر
وكنت بهم في طيب عيش ولذة ونلت بهم من كل الأماني مع الظفر
فيا قلب صبر عليَّ أحظى بوصلهم وأسلم في باقي الزمان من الغير

ومن كتاب «الحدائق الغالية في قباء والعالية»:

الحمد لله الذي كرمني بوصال من أهوى، وشرفني بمسجده المؤسس على التقوى، وفضلني على جميع الضواحي، وكملني دون سائر النواحي. أحمده على ما منحني به من حلول الرسول، وأشكره لما نحلني من آثاره غاية السول، والصلاة والسلام على من تشرفت به البطاح والربا، وعُمرت بحلوله حلة قبا، وعلى آله وأصحابه وشيعته، وأحزابه. وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»[1].

وفي الأثر: «لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي أن آتي بيت المقدس مرتين»[2].

وكان عليه وعلى آله الصلاة والسلام يأتي قباء راكباً، وماشياً، فيصلي فيه ركعتين[3].

فالأولى أن يزار يوم السبت لأنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام كان يأتيه كل سبت[4].

---

(١) رواه ابن سعيد وابن شبة والبخاري في تاريخه.
(٢) ونص الأثر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل». رواه عمر بن شبة والحاكم والبيهقي وغيرهم.
(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٤) رواه عمر بن شبة.

وسبب اختصاصه به أنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام كان يفقد أهل قباء يوم الجمعة، فيسأل عن المفقود، فيقال له: إنه مريض، فيذهب يوم السبت لزيارته. وفيه رد لمن منع زيارة المريض يوم السبت.

وأنشدني إجازة لنفسه بحلب المحروسة الشيخ فتح الله البيلوني[١]:

السبت والإثنين والأربعاء تجنب المرضى أن تزار
بطيبة يعرف هذا فلا تغفل فإن العرف عالي المنار

وما أوقع ما قال:

وللناس عادات وقد ألفوا بها لها سنن يدعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم فذاك ثقيل عندهم وبغيض

وفيه حكمة زيارة أهله فيه لزيادة علم الموتى فيه؛ لأنه يزيد عليهم يوم الجمعة، ويوماً قبله ويوماً بعده.

عمارة مسجد قباء:

في سنة أربع وثمانمئة جدد برسباي[٢] على يد شيخ الخدام قاسم المحلى غالب مسجد قباء، وسقطت منارته سنة سبع وسبعين وثمانمئة، فجددت مع عمارة المسجد النبوي على يد الشمس بن الزمن بعد هدم المنارة (للأساس)[٣] مع ما يليها من سور المسجد إلى آخر بابه الغربي، وأعيد مع سد الطيقان التي كانت مفتوحة فيه مما يلي السقف، تشبه طيقانه الباقية، وجدد بعض سقفه، وفي حدود سنة الثلاثين وألف جددت أيضاً عمارته على يد (شيخ الإسلام)[٤] شيخ الحرم النبوي محمد

---

(١) لعله فتح الله بن النحاس.
(٢) الأشرف برسباي من حكام المماليك، حكم بين عامي (٧٦٦/ ٨٤١هـ).
(٣) انفردت بها النسخة (ب) (ج).
(٤) انفردت بها النسخة (أ).

مجر، وهو الآن في نضارة هذه العمارة[1] فلا زال معموراً بدوام الإسلام، ولا برح مغمور الأكناف بالغمام.

تتميم:

لما قدم النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ المدينة نزل في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهرم[2] فمكث عندهم الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وأخذ مربد[3] كلثوم، فعمله مسجداً، وأسسه، وصلى فيه إلى بيت المقدس، فهو مسجد قباء.

وجاء في الأثر: «أن الخضر ـ عليه السلام ـ يصلي في كل جمعة في خمس مساجد المسجد الحرام، ومسجد المدينة المنورة، ومسجد بيت المقدس، ومسجد قباء، ويصلي في كل ليلة جمعة في مسجد الطور».

مصلى الرسول في مسجد قباء:

وصلى عليه أفضل الصلاة، وأزكى السلام إلى الأسطوان الثالث من مسجد قباء في الرحبة، ولم يزل يزور المسجد مدة حياته، وصح أنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام (كان يستقبل بيت المقدس حتى نسخ ذلك، فأتى آتٍ، وهم في صلاة الصبح فأخبرهم، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، وكانت القبلة قبل صرفها عند الأسطوانة الثالثة في الرحبة).

---

(١) أي عمارة مسجد قباء في عصر المؤلف.

(٢) كلثوم بن هدم الأوسي: كان شيخاً مات بعد قدوم النبي المدينة بيسير، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي. سيرة ابن هشام (ص٤٩٣/ج١).

(٣) مكان معد لتجفيف التمر وغيره من الغلال.

فــائدة:

قال السهيلي[1]: إن الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ أخذوا التاريخ بالهجرة من قول تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[2] وهل هذا المسجد هو مسجد قباء، أو مسجده ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ عليه قولان أرجحهما الثاني.

محاسن المسجد:

من محاسن هذا المسجد: بئره التي ماؤها من أحلى المياه، وأعذبها، وطيب الهواء الرطب، واختلافه في أروقته، وكان يقال:

شيئـان أحلى مـن عنـاق الخُـرد وألذ من شرب القراح الأسود
وأغـر مـن رتـب الملـوك عليهـم حلـل الحـريـر مطـرز بـالعسجـد
(سود الدفاتر أن أكون نديمها أبد الزمان وبرد ظل المسجد)[3]

ومما يتبرك به بقبا: دار سعد بن خيثمة في قبلة مسجد قباء؛ لأنه ورد أنه ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ اضطجع فيه، وخلفه مسجد من الجانب الغربي ينسب لعلي ـ كرم الله وجهه ورضي الله عنه ـ وأمامه من الجانب القبلي مسجد ينسب لفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأما مسجد ضرار بقباء فقد عفا أثره، وخفا خبره.

---

(١) السهيلي: (٥٠٨/ ٥٨١هـ). حافظ عالم باللغة والسير ضرير أندلسي، له مشاركات علمية، وله عدة مؤلفات منها كتابه: «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية» لابن هشام، و«تفسير سورة يوسف» وغيرها. الأعلام (ج٣/ ص٣١٣).
(٢) [سورة التوبة: الآية رقم ١٠٨].
(٣) انفردت به النسخة (ب) (ج).

وأما أهل قباء فهم الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ﴾[1] والخلف في بركة السلف.

وعن عويمر بن ساعدة: أن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ قال لأهل قباء: «إن الله تعالى قد أحسن الثناء عليكم في كتابه العزيز فقال: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[2] ما هذا الطهور» فقالوا: ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا[3].

وعن زيد بن أسلم: «الحمد لله الذي قرب منا مسجد قباء، ولو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل».

وعن بعض الأكابر: أن المكروب إذا نادى: يا أهل قباء! فرج الله تعالى عنه.

وما أحسن ما قال:

يحركنا ذكر الأحاديث عنهم	ولولا هواهم في الحشا ما تحركنا
ولولا معانيهم تراها قلوبنا	إذا نحن أيقاظ وفي النوم إذا نمنا
لدينا أسى من لوعة وصبابة	على أن في المعنى معانيهم معنا
فقال للذي عن الوجد أهله	إذا لم تذق معنا شراب الهوى دعنا
وسلم لنا فما ادعينا فإننا	إذا غلبت أشواقنا ربما بحنا

ولله در القائل:

حديث ذاك الحي روحي وريحاني	فلا تلمني إذا كررت ألحاني
روض به الروض والريحان قد جمعا	وحضرة مالها في حسنها ثانِ

(١) [سورة التوبة: الآية رقم ١٠٨].

(٢) [سورة التوبة: الآية رقم ١٠٨].

(٣) رواه ابن خزيمة والحاكم والطبراني في المعاجم.

الماء والزهر والأطيار ترقص في ميدان أنس على أوتار عيداني
فالوصل دانٍ وطيب الحال ينشدنا هذا هو العيش إلا أنه ألهاني

وقال آخر:

على تلك الربوع وساكنيها سلام كالسلامة يستطاب
يكرره لساني بل كتابي بل الأيام إن درس الكتاب
وأدعو الله من سرف المعاصي فقد تدعو العصاة وقد تجاب

ومن محاسن قباء الحسنية، وهي في شرقي المسجد: حديقة حسناء أنيقة غناء جامعة بين العمارة والنضارة، رياضها زاهية زاهرة، وحياضها باهية باهرة، قد عذب ينبوعها، وأشرقت ربوعها، ورق فيها النسيم، وتأرج بها الشميم.

وأما ألطف ما قال:

والماء يخفق في التدفق صوته والورق تسجع باختلاف لغاتها
فالوقت ينشد من يحاول صفوه خذ فرصة اللذات قبل فواتها

وما أحسن ما قال:

رعى الله أياماً بها قد تصرمت وطيب ليالي ما عرفت لها قدرا
ليال وصال لو تابع شريتها بروحي ولكن لا تباع ولا تشرى

وفي هذه الحديقة بركة بديعة في وصفها، محكمة في صنعها، محفوفة بالأشجار والأزهار، مباحة للفقراء والزوار، وأخرى فائقة في أُنسها، رائقة في نفسها، عليها إيوان مشيد الرواق، وعمارة تروق للأحداق.

أنشد لنفسه ابن تميم:

لقد قابلتنا بالعجائب بركة محكمة الأوصاف في الطول والعرض
كأن الذي يرنو إليها بلحظه يرى نفسه فوق السماء وهو في الأرض

وقال آخر:

وبركة للعيون تبدو في غاية الحسن والصفاء

كــأنهــا إذ صفــت وراقــت في الأرض جــزء مــن السمــاء

تفسير فيزيائي لظاهرة الانعكاس على المـاء:

مسألـة:

إن قيل: لم كان القائم على الماء يرى أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه، ويرى السماء تحت الماء مع أنها فوقه؟

الجواب: إن معرفة ذلك متوقفة على معرفة قاعدة من علم الهندسة، وهي: أن الشعاع الخارج من العين إذا اتصل بجسم صقيل كالماء لم يثبت عليه لصقالته، وزلق عنه إلى الجهة المقابلة للرائي، إن لم يكن الصقيل أمامه، بحيث تكون زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس في المساحة من غير زيادة، ولا نقصان. فهاتان الزاويتان في السعة واحدة، فيتصل طرف الشعاع بالقائم، ثم يجري فيه خياله إلى الماء فينقطع فيه، فكأن القائم وقع على سطح الماء، والقائم إذا وقع يصير أسفله أعلاه؛ فلذلك ترى السماء تحته وكل ما هو أعلى من صاحبه يراه أسفله، فلو أقيم الماء واقفاً كالمرآة رُؤي على هيئته، فالقائم في القائم في منعكس؛ لأن موضوع الانطباع، وهو ماء الماء أسفل القائم، وهو شعاع العين أتى إليه، فكأنه انطبع فيه، وهو قائم فأخذه، وانبطح. والانبطاح في الحقيقة إنما هو في وجه الماء، لا في عمقه والحس لا يمكنه ضبط ذلك، فيغلط فيه الفهم، فيراه في جوفه، كأنه قد غرق بعد الانبطاح على وجه الماء في الماء، ولو عرفت الشجرة كأن رأسها أسفل، وهو ضرورة، وكل ما هو أعلى مثل السماء، وغيرها يرى أسفل[1].

---

(١) هذا المقطع العملي البحت يدل على موسوعية علمائنا السابقين، مع أن السيد المؤلف يغلب عليه طابع الأدب، وله باع طويل في العلوم الشرعية، وها هو ذا يثبت لنا قدرته على الخوض في العلوم التجريبية، وله كتاب في علم الزراعة.

وما أحسن ما قال:

أرى مستقيم الطرف ما دمت عندكم ... وإن مال طرفي عنكم فهو أحول

وقال آخر بلسان أهل التوحيد:

بـانعكـاس الشعـاع في المـرآة ... وانعطاف الصدى على الأصوات

أيقن القوم أنه ليس في الكون ... سـوى مقتضـى شـؤون الـذات

مسألة:

والشيء بالشيء يذكر بالاستطراد، أو بالمناسبة، من غلط الحس أن الشخص الماشي قد يرى القمر تحت السحاب متحركاً إلى غير جهته التي يتحرك إليها بالذات، وذلك على رأي القائلين بالشعاع، وأنه المتحرك، وفيه كلام طويل يطلب من بابه، وأما رؤية الشمس كبيرة وصغيرة فلأن في جهة المشرق والمغرب رطوبات تتصاعد، فتنعقد شفقاً، فترى فيها الشمس كبيرة بسبب الرطوبات، ورؤية النار البعيدة كبيرة، وهي صغيرة، والجمال ونحوها في السراب طوالاً، ونظائر ذلك تطلب من علم المناظرة[1] ولابن الهيثم[2] كتاب في سبع مجلدات.

حدائق قباء:

ومن أحسن حدائق قباء، بل حدائق المدينة بالإجماع:

---

(١) الأصح أن يقول: علم المناظير الذي اشتهر به الحسن بن الهيثم.

(٢) الحسن بن الهيثم: (٣٥٤/ ٤٣٠هـ) محمد بن الحسن بن الهيثم، يلقب بطليموس الثاني، مهندس من أهل البصرة، له تصانيف في الهندسة، كتبه كثيرة تزيد على سبعين منها: «المناظر» «الأشكال الهلالية» «مساحة الجسم المتكافىء» «شرح قانون بطليموس» وغير ذلك، انتقل إلى مصر، وأراد أن يعمل على التحكم في ماء النيل، ولكن لعبة الوزراء كانت أشد من لعبة العلماء. الأعلام (٦/ ٨٣).

(١) القويم[١] مصغر القائم، فإنه كما قيل:

روض كمخضر العذار وجدول ... نقشت عليه يد النسيم مباردا
والنخل كالهيف الحسان تزينت ... فلبسن من أثمارهن قلائدا

أو كما قال:

رياض إذا ما ذقت كوثر مائها ... أهيم كأني قد ثملت بأسفنط
من يجتهد في أن في الأرض روضة ... تماثلها قل أنت مجتهد مخطي
أمثل شوقاً شكلها في ضمائري ... فتتبع عيني ذلك الشكل بالنقط

ولله در القائل:

لم لا أهيم إلى الرياض وحسنها ... وأظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم ... والماء وافاني بقلب صافي

وبالجملة: فإنها ذات رياض تسلسلت جداول مائها، وقصور تزين الأفق بنجوم سمائها، بها النخيل التي لا تحصى، والأشجار التي لا تستقصى، غياضها مشهودة، وحياضها مورودة، بين مبانٍ وثيقة، ومغان أنيقة. وقد اشتمل على عمارة حسنة، وأوضاع بديعة مستحسنة، وبئر هي أوسع الآبار دولاباً، ومنازه تزهو محاسن وإعجاباً، وفيه إيوان بديع عنده بركة بديعة يصلح أن يقال فيها:

انظر إلى البركة الفيحاء التي اكتنفت ... بها النواظر كالأهداب للبصر
كأنما هي والأبصار ترمقها ... كواكب قد أداروها على القمر

وقال آخر:

قد قلت في البركة الفيحاء وقد جمعت ... من البدور وأصناف الملاح زمر
إن كان في الفلك الأعلى يُرى قمر ... فهذه فلك دارت بألف قمر

والذي أنشأ هذه الحديقة الغناء: الشريف أحمد بن سعد الحسيني،

---

(١) القائم، والقويم: من أحسن مزارع قبا، ولا زالتا كذلك.

نقيب السادة الأشراف بالمدينة المنورة، ومن الأبيات المكتوبة باللازورد في سقف إيوانه ـ تغمده الله برحمته ـ وما أحلى ما كتب ونظر في ذلك:

مجلس السعد عامر بالتهاني والمسرات والمنى والأماني
جمع الحُسن والبها فتسامى بسنا يزهو على البيانِ
وتباهى بمن حوى وتناهى وعلا فخره مدى الأزمان
فهو عين البنان حقاً كما قد حل فيه إنسان عين الزمان
إن يكن مفرد البناء فلا غر و فمنشئه مفرد في المعاني
قال قد حزت كل معنى وحسبي من مشيد وسيد قد بناني
جاوز المدح في معاليه حتى كلّ كُلي عن وصفه بلساني
عندما تم رونقاً وجمالاً وذكرنا به قصور الجنان
أنشد الحال في عُلاه ونادى يا بن سعد لقد بلغت الأماني
من صروف الزمان لا تخش ضيماً أنت جار لسيد الأكوان
ولسان السعود أرخ فيه عش مقيماً بدار سعدك هاني

ومنها ولله در قائلها (سنة ٩٨٨)[١]:

يهنئك يا أشرف المجالس حللت في أطيب المغارس
في طيبة في جوار طه جوار عز بلا مقائس
يشاهد المصطفى دواماً من محل علياك وهو جالس
منشؤك من سادة كرام ليس له في العلا منافس
قد طاب أصلاً وطاب فرعاً حاز من معظم النفائس
وكم من المجد شاد بيتاً حماه بالبيض واللوابس
لا زال في عزه مقيماً يرفل في أجمل الملابس
قالوا فأرخ لنا بناه فقلت قولاً له مجانس
تاريخه أحمد بن سعد قد حل في أرفع المجالس

---

(١) انفردت به النسخة (ب) (ج).

(٢) القائم:[١] وخلف هذه الحديقة من جانب الشمال حديقة من أحسن الحدائق، وأبهاها تسمى القائم، وهي لآل شاهين[٢]. قال في «زهر الرياض»: إلا أنه يحسن أن يقال فيهما من حيث التسمية أعكس تصب لأن القوائم أوسع دائرة منه، وأكثر نخلاً، وأنضر كرماً، خلا ما اشتمل عليه من المساكن الطيبة العامرة. قلت: ولعل التصغير هنا مما أريد به المحبة، والتعظيم، كما قال ثعلب، وما أحلى ما قال:

بذيلك الوادي أهيم ولم أقل ... بذياك الوادي وذياك من زهدي
ولكن إذا ما حب شيء تعلقت ... به أحرف التصغير من شدة الوجد

(٣) الشدقاء والشديقاء:

ومن محاسن حدائق قباء: الشدقاء، والشديقاء، والبستان، وبئر عذق، والبويرة؛ فإنها عيون تلك الأماكن، ومنازه هاتيك المساكن.

(٤) بئر النبي ﷺ:

ومن محاسن قباء: بئر النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ قال في «زهر الرياض»: وابتنى الشمس بن زمن بعد عمارة مسجد قباء البركة، والسبيل المقابلتين له بحديقة العيني، وقد صارا للوزير محمد باشا مع بئر النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وحديقتها وحصنها، قلت: وهي الآن من أحسن أماكن قباء عمارة، ونضارة، وفيها إيوان كأنه كما يقال إيوان كسرى بن أنو شروان.

فائدة:

إيوان كسرى على مرحلتين من بغداد، بناء الملك أبرويز في نيف

---

(١) لا يزال هناك بستان يحمل هذا الاسم في وقتنا الحاضر «الزراعة الوطنية» تأليف الشيخ صالح كمال، تحقيق الدكتور نايف هاشم الدعيس البركاتي.

(٢) في وقت المؤلف.

وعشرين سنة، طوله مئة ذراع، في عرض خمسين، في سمك مئة بالآجر الكبار[1] والجص، وطول الشرافة[2] خمسة عشر ذراعاً. كذا في «تحفة الأصحاب، ونزهة الألباب».

نكتـة:

من لطائف أخبار الملوك عن بعض رسلهم: أنه دخل على كسرى فرآى في إيوانه اعوجاجاً، فسأله عن سببه، فقيل له: إنه كان مكان بيت لعجوز فقيرة، فسألها الملك بيعه، ورغبها فامتنعت فتركه، وبنى الإيوان كما هو عليه الآن. فقال: هذا الاعوجاج خير من الاستقامة.

وكان كسرى وضع في إيوانه سلسلة ذات أجراس، وجعل طرفها خارجاً عن القبة، ونادى: من كان مظلوماً فليحرك السلسلة ليعلم به الملك، فيزيل ظلامته. قال العسكري[3]: وهذا هو الأصل في قولهم: حرك عليه السلسلة.

ويحكى أن كسرى كان جالساً في إيوانه، فإذا حية قد دنت من عش حمامة في بعض شُرف الإيوان لتأكل فراخها، فرمى الحية بسهم فقتلها، وقال: هكذا نفعل بعدو من استجارنا. ثم إن الحمامة جاءت بحب في منقارها، فألقته بين يديه، فأخذه وقال: ازرعوه فنبت ريحاناً لم يُعرف مثله. فقال: نِعْم ما كافأتنا به الحمامة[4]، وما أحلى ما قال:

---

(١) على خلاف القياس.

(٢) لعله أراد الشرفات، وهي جمع شرفة.

(٣) لعله أبو هلال العسكري، صاحب كتاب «الأوائل».

(٤) كثيراً ما يبرز كتابنا السابقون عدل كسرى وحكمته، ويبدو أن الفرس هم الذين نقلوا هذه المعاني إلى الثقافة العربية؛ ليظهروا ما تميز به الفرس وحكامهم، أو ليضربوا أمثال للحكام القائمين ليقتدوا بهم، ولا سيما في العصر العباسي، وقد علم من التاريخ أن في الأكاسرة من هو أحمق، أخرق =

كـل الأمـور إذا نظـرت إعـارة إلا الثنــاء فـإنـه لـك بـاقـي
لـو أننـي خيرت كـل فضيلـة ما اخترت غير مكارم الأخلاق

واشتهر بئر النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- كالشدقاء بالعنب الجيد.

أنواع الكروم في قباء:

وبالجملة: فإن في قباء من الكروم أنواعاً مختلفة، منها: المدني، وهو أنواع منه: البرني، ويقال: له المراودي، وهو أجودها لرقته وحلاوته، وهو يحاكي الزيني من أعناب الشام، ومنه البيض وهو دونه، ومنه السكر، وهو متوسط، ومنها: الحجازي، وهو أنواع، منه: البياضي، ويختلف في الرقة، والغلظ، ومنه: السوادي، وهو أحسن منه، ومنه الخمري، وهو أجوده، ولا عجم لصغاره[1]. وفي كتاب «البركة في السعي والحركة»: أن نوحاً عليه الصلاة والسلام شكا من الغم فأوحى الله تعالى إليه أن كل العنب الأسود.

وأحسن العنب ما كان في حدائق قباء، ثم العالية، ثم جفاف[2]، ثم باقي بساتين المدينة، وكان بالعقيق كروم كثيرة.

ويُحكى أنه كان لسعد بن أبي وقاص (بالمدينة)[3] والعقيق كرم، تباع ثمرته بألف دينار، فبلغ أن شبان المدينة يصنعون منه الخمر، فقطع أصول كرمه.

= التصرف، وإن وجد شيء من ذلك، فإنه ليس نتاج دين، وإنما نتاج الحكمة القائلة: العدل أساس الملك.

(١) أورد المؤلف بعض أسماء الأعناب مشاركة للرطب في أسمائه، مثل: البرني، والبيض، والسكر، لعل ذلك لاتحاد موسمها.

(٢) جفاف: هو ما يعرف الآن بقربان. معالم تاريخ المدينة للخياري (ص٢٣٩).

(٣) انفردت بها النسخة (أ).

بعض أودية المدينة:

١ ـ وادي رانوناء:

رانون كقانون، ورانوناء مقصور: اسم سيل يأتي من جبل يماني عير، يمر بالعصب، ويعترض قباء يميناً، فيدخل الشقاء، والبستان، ثم يخرج إلى العليقة، ثم يمر بصرارة شاهين، ثم يشارك سيل وادي بطحان المعروف بأبي جيدة[١] من غربي العصيبة في قبلي المصلى.

٢ ـ سيل بطحان:

وسيل بطحان يأتي من على بعد سبعة أميال من المدينة، يمر بالصيحاني المعروف بأم عُشر، ثم بجفاف، ثم بالفضا، وهو موضع في غربي الماجشونية[٢] ثم بالمصلى، ومساجد الفتح، ثم بالغابة، وينتهي مع السيول إلى البحر.

(٥) العليقة:

ومن محاسن حدائق المدينة العليقة بضم العين المهملة وفتح اللام، تصغير عُلقة بالضم، وهو منتزه بديع في حدة حُسن، وبمحاسنه يذهب عن القلب الحزن.

وما ألطف ما قال:

عليه من بهاء البدر نور   وضوء الشمس يكسوه الشعاعا

وماؤه العذب في أقصى درجات الحلا، وهواه الرطب من أطيب

---

(١) سيل أبي جيدة: نسبة إلى الشيخ جيدة، جد آل برادة بالمدينة، وهو الذي عمل عليه بعض السدود، وهو المعروف الآن بالسيح.

(٢) هي حديقة بقربان، على يسار الذاهب إلى السد أمام مستشفى الصدر. نقلاً عن الشيخ: عبيد محمد أمين كردي.

ما تشتهيه الملا. وبالجملة: فكل هاتيك الحدائق ذات رياض، وحياض، وأشجار، وأزهار.

وما أصنع ما قال:

دِمَنٌ دام لي بها اللهو حيناً ... وصفا إلي فيها الهوى الهواء
وتثنت نحوها الثنية قلباً ... قُلباً تستخفه الأهواء

وما أحسن ما قال، ولكل مقام مقال:

ليس النزاهة في المنازل كلها ... من سائر الأقطار والأمصار
إلا إذا ما كنت وسط حديقة ... إن الحدائق نزهة الأبصار

ولله در القائل:

يا من يلوم على الهوى ... دعني فشأنك دون شأني
لا تشغلنك غير ما ... تهوى فكل العيش فاني

وقال آخر:

يعنفني أهل البلاغة حيثما ... تغزلت في الغزلان عن أبلغ القال
وينهون مثلي عن عكوفي عن الهوى ... أليس هوى أهل الهوى مقتضى الحال

وقال أيضاً فيه:

لا تلمني على الوقوف بدار ... أهلها صيروا الغرام ضجيعي
جعلوا لي هواهم سبيلاً ... ثم سدوا علي باب الرجوع

(٦) السرارة:

وخلف هذه الحديقة من جانب الشمال حديقة مورقة الأشجار، مونقة الثمار، خفيفة الماء العذب، لطيفة الهواء الرطب، وتعرف بالسرارة بفتح السين المهملة وتشديد الراء.

قال في «زهر الرياض»: لا يعرف اليوم بالسرارة غير هذه الحديقة، وما حولها، وبها نخلة مثنية يقال: إنها انثنت للنبي ـ صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم ـ حتى تناول منها، وهذا على المشهور لا على المسطور، والناس يتبركون بها لذلك، ويشترون ثمرتها بأغلى ثمن[1] وليست من حُر النخل، بل من أوسطه، ويسمى جنسها الوحشي بصيغته مقابل الإنسي، والحديقة المذكورة بيد آل شاهين من الأشراف الوحاحدة الحسينية. انتهى.

قلت: وإذا صح خبر النخلة، فينبغي أن تكون من حر النخل[2] بل يجب أن تكون من أعلاه.

وقال:

وأكرم أحداق الحدائق منشداً	لعين تجازي ألف عين تكرم

وما زال الناس يهدون تمر المدينة المنورة إلى الآفاق، ويتبرك به كل محب مشتاق، وأنشدوا في ذلك:

أفضل ما تهديه أمثالنا	من طيبة مدفن من خير الأنام
بعض تميرات إذا أمكنت	تبركاً ثم الدعاء والسلام

وقال آخر:

خير الهدية من مدينة أحمد	دعوات صدق عند قبر المصطفى
بركاتها ترجى ويرجى نفعها	وبها الشفاء لمن يكون على شفا[3]

وقد أدركت جذوعاً بالية مجموعة في هذه الحدائق، يتبرك الناس

---

(١) وهذا يفتح المجال للبعض بأن يدلس على الحجاج، ويبيع لهم التمور بأغلى الأثمان مدعياً أنه من تمر تلك النخلة والله أعلم بالصواب.

(٢) ليس شرطاً في ذلك، ومن المعلوم أن وحشي النخل هو الذي ينضج في بداية موسم الرطب، وأما أواسط النخل وأحرارها، فيتأخر نضج ثمرها، وهذا أمر يعرفه المزارعون في المدينة قبل استعمال وسائل الإنضاج كسباً للوقت.

(٣) وردت أحاديث عن الرسول تفيد أن في بعض تمر المدينة شفاء كالبرني والعجوة.

بها، ويزعمون أنها بقايا تلك النخلة، وأولادها، وقد وضع عليها مسجد لطيف، وذلك في حدود نيف وعشرين وألف[1].

(٧) الجزع:

وخلف هذه الحديقة من الجهة الشمالية حديقة معطرة بالأزهار (مشتملة على أعناب، ونخل، وأشجار)[2] تعرف بجزع العرمات، ولعلها المعنية بقوله، وما ألطف ما قال:

إلى الله أشكـو بـالمـدينـة حـاجـة　　وبالجزع أخرى كيف يلتقيان[3]

وبالجملة: فإنها بقعة تأرجت بطيب ترابها، وأشرقت أرضها بنور ربها، وطلعت آهلة بذورها من آفاق السعود، وتواصلت نفحات الهوى المقصور بها، ولا تواصل نسمات الهوى المدود، فهي الروضة المورقة الأشجار، والغيضة المؤنقة الأزهار. وقد قال:

فلو أنني في جنة الخلد بعدها　　ذكرت ولا أنسى للذاتها أنسا[4]

فيالها من رياض تعطرت بأرجائها الأنفاس، وقال لسان التصديق في جواب الاستفهام عنها لا بأس، رياض أشجارها باهية باهرة، وحياض أزهارها زاهية زاهرة.

ما أزكى ما قال:

ريـاض بهـا الحصبـاء دُرّ تـربهـا　　عبير وأنفاس من الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق　　وصح نسيم الروض وهو عليل

---

(١) قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٤٠].

(٢) انفردت بها نسخة (ب) (ج).

(٣) في المدينة أماكن كثيرة تعرف بالجزع، والجزع هو جانب الوادي، أو جانب الحرة، وبالجملة جانب الشيء.

(٤) فمن دخل جنة المأوى فلا يذكر سفاسف الدنيا وملذاتها.

رياض أثمارها باسقة، وغياض أطيارها ناطقة، فلو تأملت في أغصان رياضها الأنيقة لرأيت كُلّاً بمفرده حديقة، فمدعى نضارتها عند أهل النظر مُسلم، وعلى محاسنها سالم من أن توصف إلا بأنه مونق معلم، قد فُجّرت على أرضها ينابيع البديع عيوناً، وأنشأت على رياضها من أغصان التفريع فنوناً، فطفقت تخطر بأكمام ثمرها، وجعلت ترمق بأحداق زهرها، ولقد أغدقت سحابها، وتنمقت رحابها، وهب نسيمها، واهتز وسيمها، وطال ما أوقع القلب في شرك الهوى تغريد هزارها، وضاعف للصب غرامه طيب أزهارها، هوى قد طبق الأفق طيبها.

وما أحلى ما قال:

هوى تذرف العينان منه وإنما ... هوى كل نفس حيث حلّ حبيبها
فيا حسنها من رياض غدا ... جنوني فنوناً بأفنائها
جرى الماء فيها على رأسه ... لتقبيل أذيال أغصانها

أو هي كما قال:

روض كأن ترابها ... أبداً بماء الورد يُسقى
(وكأن تربة أرضها جذبت ... من الكافور عرقا)[1]

أو كما قال:

رياض بكاها المزن وهي بواسِمُ ... فناحت بغير الحزن فيها الحمائمُ
وأودعت الأنواء فيهن سرها ... فنمّت عليهن الرياح النواسم
يبيت الندى في أفقها وهو ناثر ... ويضحى على أجيادها وهو ناظم
كأن الأقاحي والعقيق تقابلا ... خدود جلاهن الصبا ومباسم
كأن بها النرجس الغض أعيناً ... تنبّه منها البعض والبعض نائم

(١) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

كأن ضلال القُضب فوق غديرها　　إذا اضطربت تحت الرياح أراقم
كأن غناء الورق ألحان معبد[1]　　إذا رقصت تلك القدود النواعم
كأن نثار الشمس تحت غصونها　　دنانير في وقت ووقت دراهم
كأن بها الغدران تحت جداول　　منوع دروع أفرغت وصوارم
كأن ثماراً في غصون توسوست　　لعارض خفاق النسيم تمائم
كأن القطوف الدانيات مواهب　　وفي كل غصن مايس في الدوح حاتم
كأن بنان المصطفى قد لمسنه　　فأعداه منهن الندى والمكارم
نبيٌّ أتى غيثاً وغوثاً ورحمة　　عليه صلاة الله ما افتر باسم

بئر حاء:

أما بئر حاء: فقد اشتملت على بناء بديع محكم، حتى كأن أحجارها فيها عقد منظم يعجز أبناء الصناعة عن تصور شكلها، فضلاً عن الإتيان بمثلها يقتضي لها حسن مائها الغزير العذب بأن تكون من أحلى ما يشتهي القلب، ويشهد لها بالشراحة ما اشتملت عليه من الملاحة، وما تناهت في وصف محاسنها، إلا وأكثر مما قلت ما أدَعُ، ولقد أحسن التخيل من قال:

الماء قد عشق الغصون فلم يزل　　أبداً يمثل شخصها في قلبه
حتى إذا فطن النسيم أتى له　　من غيرة فأزالها من قربه
فإذا أتاه مهيمناً بعتابه　　في الحال قطب وجهه من عتبه

وأما سانيتها في حسن تركيبها، وترنم عندليبها، فهي للأحزان تنفيس، وللأشجان مغناطيس إن جرت محالها بالماء أجرت الدمع كالدماء، وإن أسمعت غناها (جددت النفس غناها)[2] فهي منبع

---

(١) معبد بن وهب، أو عباد المدني: نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. الأعلام (ج٧/ ص٢٦٤).
(٢) انفردت بها النسخة (أ) (ج).

الشجو، والغرام، ومجمع الهوى والمرام.

وما أحسن ما قال:

أبـــداً هكـــذا تئـــن بشجـــو ... وعلى الفهـــار تـــدور وتبكـــي

أو هي كما قال:

وسـانيـة كـانـت غصـوناً وريقـة ... تميس فلما فـرقتهـا يـد الـدهـر
غدت في رياض الجزع تبكي وتشتكي ... بدمع على أيام عهد الصبا يجري

وما أحسن ما قال:

يا يومنا بالجزع هل من عودة ... ليـت الليـالي للـوصـل تُعيـد
فهـواك لا يبـدو السلـوّ لطيبـة ... والله يبـدىء مـا يشـاء ويعيـد

وقال آخر:

وبالجزع حي كلما عنَّ ذكرهم ... أمات الهوى مني فؤادي وأحياه
تمنيهـم بـالأبـرقين مـن دارَهـم ... بوادي الغضا يا بعد ما أتمناه!

وقال غيره:

وبالجانب القبلي بالجزع شادن ... لـه مـن فـؤادي نـائـب وشفيـع
إذا خطرت في خاطري منه سلوة ... تعـرض شـوق دونهـا وولـوع

وقال لله دره:

عسى الجانب القبلي يُسرى نسيمه ... من الروض بالعرف الذي كنت أرعف
فما اعتضت عن تلك الربا غير حسرة ... عليهـا، ودمـع يستهـل ويـذرف

وقال آخر:

أهيل الحمى والجزع يهنيكم المغنى ... وصوت القماري والهزاري إذا غنى
بعدتم فأبعدتم عن النفس أنسها ... كأن الهنا لفظ وأنتم له معنى

ومن غراميات الشاب الظريف:

عفا الله عن قوم عفا الصبر عنهم ... فلو رُمت ذكرى غيرهم خانني الغم
وبالجزع أحباب إذا ما ذكرتهم ... شرقـت بـدمـع في أواخـره دم

تجنبوا كأن لا وُدّ بيني وبينهم قديماً وحتى ما كأنهم هُم
ومشبوب ناري وجنة وجناية تعلمه أعطافه كيف يظلم
ألمّ وما في الركب منا متيم وعاد وما في الركب إلا متيَّم
وليس الهوى إلا التفاتة طامح يروق لعينيه الجمال المنعم
خليلي ما للقلب هاجت شجونه وغادره داء من الشوق مؤلم
أظن ديار الحي منا قريبة وإلا فمنها نسمة تتنسم

ولله در القائل:

لا تلفت بالله يا نظري لأهيف كالغُصين الناضِر
ما لسرب ما البان وما لعلع ما الخيف ما ظبي بني عامر
يا قلبَ فاصرف عنك وهم النقا وخل عن سرب حِمى حاجر
وإنما مطلبُه في الذي هام الورى في حسنه الباهر
جمال من سميته داثرٌ ما حاجة العاقل في الداثر
أصبحت فيه مغرماً حائراً لله در المغرم الحائر

وأنشد لنفسه أبو البركات السعدي:

وكم رمت كتم الحب عمن أحبه وكيف بكتم الحب عن ساكن القلب
إذا اختلج السِّرُّ المصون بخاطري تقلب مني القلب جنباً إلى جنب
فتبدو ولا تبدو سرائر لوعتي وتخفى ولا تخفى وفي الحال ما ينبي

وقال الشيخ حسن البوريني[1]:

تعشقت منه حالة لست قادراً على وصفها إذ لم يذقها سوى قلبي

---

(١) الحسن بن محمد الصفوري البوريني (٩٦٣/ ١٠٢٤هـ): مؤرخ من علماء الأدب، والحديث، والفقه، والرياضيات، والمنطق. ولد في صفورية من بلاد الأردن، وانتقل صغيراً إلى دمشق، ومات فيها، وكان يجيد اللغة الفارسية والتركية. من تصانيفه: «تراجم الأعيان من أبناء الزمان» شرح ديوان ابن الفارض، وغير ذلك. الأعلام (ج٢/ ص٢١٩).

تيقنت أني فيه أصبحت مغرماً ولكنني لم أدر ما سبب الحب

ومن أشعار كتاب «مصارع العشاق»:

ولقد أقول لمن تعشق أغيدا أو غادة وغدا أسير وثاق

ما مذهبي عشق الجمال مقيدا بل عشقه ديني على الإطلاق

وفي المعنى للصفي الحلي[1]:

ولقد تعرض للمحبة معشر عدموا من اللذات ما أنا واجد

قالوا أتعشق رب كل ملاحة فأجبتهم أن المحرك واحد

الحسن حيث وجدته في حيز هو لي بأسباب الصبابة قائد

وقال الشيخ الششتري:

يا ساهياً دعْ عنك رملة عالج ونجد ولا تندب أركا والأخطما

وكن قاصداً للحق تحظ بنيله فما تم إلا الحق لكنه غطا

الجزع:

الجزع: بالكسر، وقال أبو عبيد: اللائق به أن يكون مفتوحاً منعطف الوادي، ووسطه أو منقطعه أو منحناه، ولا يسمى جزعاً حتى تكون له سعة تنبت الشجرة، أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه، وربما كان رملاً، ومحلة القوم والمشرف من الأرض إلى جانبه طمأنينة جزع الأرض، والوادي كمنع قطعه، أو عرضاً، والجزع بكسر الخرز اليماني والصيني فيه بياض، وسواد تشبه به العين، والتختم به يورث الهم والحزن، والأحلام المفزعة، ومخاصمة الناس. كذا في «القاموس».

وما أحسن ما قال:

---

(١) هو عبد العزيز بن سريا بن علي الحلي (٦٧٧/ ٧٥٠هـ) شاعر عصره ولد ونشأ في الحلة بالعراق، وينسب إليها. تقرب إلى الملوك ومدحهم، رحل إلى القاهرة، وبغداد، له ديوان شعر مطبوع. وغير ذلك. الأعلام (ج٤/ ص١٧).

ألا إن وادي الجزع أضحى تربة من اللمس كافوراً وأعوده رندا
مـــا ذاك إلا عليـــاً عشيـــة تمشت وجرت في جوانبه بُردا

ويطلق الجزع بالكسر اليوم على مواضع بالمدينة المنورة، من أشهرها: جزع قباء، وما في غربي، وقبلتها من الآبار، فماؤه أعذب أمواه المدينة.

الماء:

الماء: همزته عن الهاء، وهو جوهر لطيف سيال يكون بلون إنائه[١] وفي «شرح الهمزية» لابن حجر قيل: لا لون له، وإنما يتكيف بلون مقابله، والحق خلافه، فقيل: أبيض، وقيل: أسود، والأسودان: التمر والماء[٢]، والله أعلم.

وما أحسن ما قال:

في خـــده عـــرق بـــدا ذا حمـــرة لصفـــائـــه
هـــذا يحقـــق قـــولهـــم المـــاء لـــون إنـــائـــه

قال البصير في «التذكرة»: الماء أجل العناصر البدنية بعد الهواء على الأصح، لبقاء البدن بدونه أكثر من بقائه بدون الهواء، ويختلف باختلاف الأصل، والسن، والمزاج، والزمان.

أجوده الخالص من الماء المطر القاطر وقت صفاء الجو، ولم يخالطه كدر، فالجاري مكشوفاً من البعد في أرض حرة، أو حجر إلى الشرق أو الشمال النقي الأحجار المهري، لما طبخ فيه بسرعة الخفيف الوزن، ونيل مصر أجمع لهذه الصفات، ثم دجلة، ثم جيحون.

فالمطر، فالمطبوخ، فماء العين المستعمل، فالبئر، وكلما تحرك أو

---

(١) وتركيبه الكيماوي = H2O أي: ذرة أكسجين وذرتان من الهيدروجين.
(٢) كما ورد في الحديث.

جرى فجيد، والصحيح عدم اختصاصه بدرجة في البرودة يبلغ الغذاء أقصى الأعماق لأنه غذاء على الصحيح؛ لعدم انعقاده حافظ للرطوبات الإفراط منه يرخي، ويمعد، ويهزل، كما أن تركه يجفف، ويورث السدد.

الماء المشوب:

والجاري منه مغمور، أو في رصاص وطويل المكث، والمكبرت، والمجاور للرمل والتراب، وأصول الشجر، والحشائش رديء يعفن الأخلاط. وغدير ماء المطر إذا صفته الرياح جيد جداً ينفع المحرور، والمدور. والكبريتي يعقب الحكة، والجرب شرباً، وينفع منهما غسلاً، كمالح، وراجي.

وماء الشب يقبض، ويمنع تولد القمل غسلاً، وماء الحديد سواء أخذ من معدنه، أو طفا فيه يقوي الأعضاء، ويحبس الإسهال، والدم، ويمنع الخفقان والزحير، وماء الذهب والفضة أعظم فيما ذكر خصوصاً بالطفى.

ماء النحاس مضر، وأخبث منه ماء الرصاص، ولا بأس بماء القصدير.

وللماء الصحيح لذة، ودخل في تدبير الصحة إذا استعمل بشروطه، وهي: ألا يؤخذ قبل الهضم، فإنه مفسد للأغذية، ومبرد للمعدة، ومصعد للأبخرة، وألا يستعمل الفاسد منه بلا مصلح، كأكل البصل قبله، أو بعده، ومزجه بالخل[1]، وأن يكون بداعية صادقة، فما شُرب قبل خمس عشرة درجة تمضي من الأكل لصفراوي، وضعفها لدموي،

---

(١) مزجه بالخل؛ لأن الخل يعمل على قتل الجراثيم فيه.

وخمسة وأربعين لسوادي، وستين لبلغمي[1] كاذب لا اعتقاد به، ولا اعتداد به (شديد النكاية، ولا بعد فاكهة)[2] فإنه يفسد الدم، ولا بعد حمام، وجماع، فإنه يورث الرعشة، والجذام، ولا لوم لمن نام ولا أخذ كفايته منه، ولا قائماً، ولا متكئاً.

والحار يفسد، ولا يروي، بل يغير اللون، والثلج، والبرَد، وأقل رطوبة من باقي المياه، ويأخذه العطشان قبل الأكل، وفي خلاله جائز بقدر الداعي، ولا يجوز على الريق إلا صيفاً، أو في زمان الطاعون.

أحاديث في شرب الماء:

ويُروى أنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «أكل طعاماً، وشرب ماء بارداً في الصيف، وقال: يا بردها على الكبد» حكاه في كتاب «البركة».

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه، فإنه أطفى للمرة، وأنفع للغلة» وكان يأكل البرَد، ويقول: «يقتل الدود في الإنسان».

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «الشرب في إثر الدسم داء للبطن».

ويقال: إن وجع الكبد من العَبّ، وهو جَرع الماء من غير مص، وشرب عليه وعلى آله الصلاة والسلام في نفسين.

وروي عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «من شرب الماء على الريق انفضت قوته».

---

(١) هذه المصطلحات تقسم الطبائع البشرية عند أهل الطب القديم.

(٢) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

وعن الإمام جعفر الصادق ـ رضي الله تعالى عنه ـ[1]: من شرب الماء بالليل، وقال ثلاثاً: عليك السلام من ماء زمزم، وماء الفرات لم يضره.

وعن الباقر[2] ـ رضي الله عنه ـ: (شرب الماء من قيام بالنهار أمرى، وأصح، وبالليل يورث الماء الأصفر) كذا في «مكارم الأخلاق».

وأنشد الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ:

إذا رمت تشرب فاقعد تفز ... بسنة صفوة أهل الحجاز
وقد صححوا شربه قائماً ... ولكنه لبيان الجواز

اجتمع عند كسرى من الحكماء أربعة: عراقي، ورومي، وهندي، وسوادي، فقال كسرى: ليصف كل منكم الدواء الذي لا داء معه؟ فقال العراقي: هو أن تشرب كل يوم على الريق ثلاث جرع من الماء الساخن. وقال الرومي: هو أن تسف كل يوم قليلاً من حب الرشاد. وقال الهندي: هو أن تأكل كل يوم من الإهليلج الأسود ثلاث حبات. كل ذلك والسوادي ساكت، وكان أصغرهم، وأحدقهم، وكما يقال:

عليك بآراء الشباب فإنها ... فروع ذكاء لم تنل قدم العهد

فقال له الملك: ألا تتكلم؟ فقال: أيد الله الملك: الماء الساخن يذيب شحم الكلى، ويرخي المعدة، وحب الرشاد يهيج الصفراء، والإهليلج يهيج السوداء ويحركها. قال: فما الذي تقول أنت؟ فقال: الدواء الذي لا داء معه: ألا تأكل حتى تجوع، ولا تشرب حتى تظمأ،

---

(١) جعفر الصادق سبقت الترجمة له.

(٢) محمد الباقر (٥٧/١١٤هـ) هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي، خامس الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، وكان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير الحديث آراء وأقوال، ولد في المدينة ودفن بها. الأعلام (ج٦/ص٢٧٠) وما بعدها.

فإذا أكلت أو شربت فارفع يدك قبل الشبع[1] واقطع شربك قبل الري، فإنك لا تشكو إلا علة الموت. قال: فصدقه كل منهم فيما ادعاه.

وكان يقال: الاحتماء في وقت الصحة خير من شرب الأدوية وقت المرض.

تعريف الطب:

وكان يقال: الطب حفظ صحة موجودة، أو رد صحة مفقودة، الأول متيسر، والثاني متعسر أو متعذر. ومن المجربات: درهم مصطكى، يطبخ في رطل ماء صافٍ في فخار جديد، إلى أن يذهب ثلثه للاستسقاء، والقيء، والغشيان، والزحيرة، ويقوي الهضم، ويجدد الفخار في كل مرة، وبدلها الإذخر، وتعدله الجوز. كذا في «التذكرة»[2]. وقد طال الكلام، وخرج عن مسلك النظام.

ولربما ساق المحدث بعد ما   ليس النديم إليه بالمحتاج

وهذا وإن كان من قبيل الجُمل المعترضة ينبغي أن يكون من جنس حشون اللوزنيج، فإن الحاجة إليه ماسة، وبمراعاة مثل ذلك سلامة الحاسة، وذلك من أعز مطالب العقول، كما هو مسطر ومنقول:

ولله در القائل:

تسل عن كل شيء بالحياة فقد   يهون عند بقاء الجوهر العرض

تعوض الله عما أنت متلفه   وليس للنفس إن أتلفتها عوض

(٨) **الصمد وحوسان والجعفرية** (وكانت غرة في جبهة هاتيك الأماكن)[3] وبهجة مما اشتملت عليه من بدائع المساكن، إلا أنها قد

---

(١) كما ورد ذلك في الحديث الشريف.

(٢) تذكرة داود بن عمر الأنطاكي (ص٣٤٢).

(٣) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

ذهبت بهجتها، واختلفت ديباجتها، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة السابقة، والعمارة الفائقة.

وما أظرف ما قال:

كفى أسفاً بالواله الصب أن يرى ... منازل من يهوى على غير ما يهوى
ولـولا غـرام لي بطيبـة لم أكـن ... أذل لمن يسوى ومن لم يكن يسوى

وقال آخر:

منـــزل حقـــه عليّ قـــديـــم ... من زمان الصبا وعصر البطاله
أنــا أدرى بــه وإن كنــت فيــه ... ســائـلاً عنــه أقتفــي أطــلالــه
ومحـــال مـــن المحيـــل جـــوابٌ ... غير أن الــوقــوف فيــه عُــلالــه

ولله در القائل:

قف نسأل الطلل الذي لا يعلم ... وقلـــوبنـــا في رسمـــه تتكلـــم
واهــاً لــه طلــلاً بــرامــة بينمــا ... هــو بــالحيــا مثير إذ هــو مقــدم
وعلى البلى لقــد يــروق كــأنمــا ... قِطـع الغمــام عليــه بــرد معلــم

العُصب[1]:

والعصب بضم أوله وفتح ثانيه: واد في حرتها الغربية.

وما أحلى ما قال:

واد عليـه مـن المحـاسـن رونـق ... وبه طيور رطاب عيشه نديمها

(٩) سلطانة:

وقد اشتملت العصب على حدائق ذات بهجة، من محاسنها سلطانة، وهي حديقة حسنة الترتيب، بديعة الوضع العجيب، كثيرة النخل

---

(١) وتعرف المنطقة بالعُصبة، أي: بزيادة تاء مربوطة.

الباسق، والشجر المتناسق، ذات بناء شديد، وإيوان مشيد، وبركة وسيعة، وأوضاع حسنة بديعة.

(١٠) بئر شميلة:

بضم الشين المعجمة، وهي روض فسيح الجنان، مخضرة الأرجاء والرحاب، بها الأشجار المؤتلقة، والأزهار المختلفة، والعمارة الحسنة، والنضارة المستحسنة، والماء العذب، والهواء الرطب، فلا زالت كذلك روضة في هاتيك المسالك، وقطعة ريحان السفري، وهي حديقة لطيفة فيها حصن قديم.

قال في «زهر الرياض»: العصب في غربي قباء، بها النخيل والبساتين المعتبرة، ابتكر عمارتها السيد أحمد بن سعد نقيب السادة الأشراف، وبعض بني السفر، وفيها مسجد التوبة صلى فيه النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-.

قلت: وقد اندرس هذا المسجد حيث لم يبق له أثر[١]، ولم يكن له عند أهل المدينة خبر. والله تعالى أعلم بالصواب.

وقال آخر:

ولم تـزل الآثـار تعفـو رسـومـه وتحـدث مـن بعـد الأمـور أمـور

□ □ □

---

(١) رغم أن المؤلف يقول: إن المسجد اندرس في وقته، إلا أنه لا زال معلوم المكان في العصبة، ولعله كان قد اندرس في عصر المؤلف، ثم أعيد بناؤه على يد أحد أهل الخير، أو قامت بذلك الدولة، والله أعلم. تاريخ معالم المدينة المنورة، للشيخ الخياري (ص١٤٩).

فصل

في ذكر العالية ورياضها الفائقة ونشرها على العبير والغالية

- سبب تسمية العالية
- تفضيل العالية
- حدائق العوالي
- حدائق جفاف
- قربان
- مسجد الشمس

فصل في ذكر العالية[1] ورياضها الفائقة ونشرها على العبير والغالية

وفيه ذكر جفاف، وقربان، ومحاسنها السائرة بهما الركبان

وما أحسن ما قال:

إن الحقائق في الحدائق قد بدت فاجنوا بها الثمرات من أشجارها

قال في «الوفاء»: العالية من المدينة: مكان في جهة قبلتها من قباء وغيرها على ميل فأكثر، وأقصاها عمارة على ثلاثة أميال، وأربعة إلى ثمانية أو ستة على الخلاف[2] في ذلك.

سبب تسمية العالية:

ووجه التسمية: جلي، وذلك لأن السيول تنحدر من تلك النواحي العالية إلى سوافل المدينة، فعلى ذلك يقال: نزلنا من العوالي إلى المدينة، طلعنا إلى العوالي، ولا عبرة بمن يقول: لا يقال نزلنا من المدينة؛ لأنها محل الطلوع لأن ذلك من الأدب المولد المستبرد، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾[3] وبملاحظة ذلك ساغ لمن

---

(١) والعالية تعرف الآن بالعوالي، وقبا، وقربان.

(٢) يبدو أن هذه المسافات الأقل منها هو الأدنى إلى المدينة، والأكثر هو الأبعد عن المدينة، وبالجملة فقد اتصلت هذه الضواحي بالمدينة، حيث امتد العمران، وانتشر السكن، ولم يبق من المزارع إلا بقع متناثرة هنا وهناك.

(٣) [سورة المؤمنون: الآية رقم ٢٩].

كان في السوافل أن يقول: نزلت المدينة، وعليه عمل أهلها.

وتطلق الحدائق على ما في العالية من البساتين، والعوالي على القرية فقط.

وبالجملة فإن العالية رياض مخضلة الربا، وغياض معتلة الصبا، بها النخيل الباسقة، والأشجار المتناسقة الأغصان؛ التي تتناوح عليها الأطيار، وتتباكى في روضها الأمطار.

مهما اتجهت رأيت روضة ماؤه ... متسلسل يعلو عليه ويخفق
الريح يكتب والجداول أسطر ... خط له نسج الغمام محقق
واليطر يقرأ والنسيم مردد ... والغصن يرقص والغدير يصفق
ومعاطف الأغصان هزتها الصبا ... طرباً فذا عارٍ وهذا مورق
وهزاره يصبو إلى شُحروره ... ويجاوب القمري فيه مطوق
يتلو على الأغصان أخبار الهوى ... فيكاد صامت كل شيء ينطق
والورق في الأوراق يشبه شجوها ... شجوي وأين من الخلي المواثق

وقال آخر:

منازل أحبابي ومربى عشيرتي ... وأوطان أوطاري بها ورضا سخطي
لويت عناني في حماها عن اللوى ... وهمت بها لا بالمحصب والسقط
ولذّ عناق الفقر لي بفنائها ... وفي غيرها لم أرض بالملك والرهط
سقى سفحها إن قل دمعي وسحابة ... مكللة بالقطر منهلة النقط
ويا أسطر النبت التي قد تسللت ... بصفحتها لا زالت واضحة الخط
ولازال ذاك الروض بالطل معجماً ... ومن شكل أنواع المسرّة في ضبط

وقال آخر:

سقى الله في أرض العوالي منازها ... قطعت بها دهراً لذيذاً من العمر
درت أنني قد جئتها متنزهاً ... فمدت للقائي بساطاً من الزهر
وفيها لقد رق النسيم وحيث ما ... ذهبت وجدت الماء في خدمتي يجري

وقلت أنا في ذلك، وإن لم أكن هنالك:

نشأت بفضل الله في ظل دوحة ... سمت بنبي كنت من بعض عترته[1]
فإن شئت في سفح العوالي وإن أشا ... بدار الذي طابت وطالت بهجرته
(فهيتك دار للحبيب وهذه ... بها منزهي ياصاح من جو حجرته)[2]

تفضيل العالية:

وقلت في تفضيل العالية، وفيه نظر:

(فضل العوالي بيّنٌ ولأهلها ... فضل (كريم)[3] نوره يتهلل
ومن لم يقل إن الفضيلة طيبة ... أرض العوالي وهو حق يقبل
إني قضيت بفضلها وأقول في ... وادي قبا الفضل الذي لا يجهل)

وقلت في تقسم الشوق:

إذا كنت في أرض العوالي تشوقت ... لأرض قبا نفسي وفيها المؤمل
ولو كنت فيها قالت النفس ليت لي ... بأرض العوالي يا خليلي منزل
(فياليت أني كنت شخصين فيهما ... ما ليت في التحقيق إلا تعلل)[4]

وقلت بلسان حال الأحوال:

أراك تعالى في العوالي وفي قبا ... وأنت على وهم الخيال تعول
إذ لم تكن تهوى الذي أنت سائر ... إلى غيره إذ أنت عنه تحول
فكن سائراً في لا مقام قائماً ... تقلب من شأن لشأن ترحل

---

(١) يثبت المؤلف نسبه الشريف إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما يُعلم من اسمه أنه حسيني، نسبة إلى الحسين السبط.

(٢) انفردت بذلك النسخة (ب) (ج).

(٣) في نسخة (ج): قديم.

(٤) انفردت بذلك نسخة (ب) (ج).

حدائق العوالي:

١ ـ سُميحة:

ومن محاسن حدائق العالية: سُميحة بضم أوله، قال في الوفاء: بئر سميحة بئر بالمدينة، عليها نخل لعبد الله بن موسى.

وما أحسن ما قال كثير عزة[١]:

كأن دموع العين لما تحللت ... محارم بيضاً من تمنى جَمَالها
قبلن غروب من سميحة أترعت ... بهن السواني واستدار محالها[٢]

(قال المؤلف رحمه الله تعالى: قد ملكت هذه الحديقة بفضل الله تعالى، وأوقفتها، وجعلت البئر مورداً مباحاً لكل وارد)[٣].

(ومن الفضائل القابل الذي يلتقي الدلو يخرج من البئر فيصبها في الحوض)[٤].

وقد غرس بعض أهل المدينة على سُميحة هذه الحديقة، فصارت من أحسن الحدائق، وماء هذه البئر من أحسن مياه ذلك الجزع، وإن لم يكن بالعذب الخالص، وأنشدوا:

وفي مائها قد قيل بعض مُلاحة ... ومنها مياه العين أحلى وأملح
فقلت لهم: قلبي يراها ملاحةً ... فلا برحت تحلو لقلبي وتملح

---

(١) هو الشاعر المدني المتيم، وقد عاش في العصر الأموي الأول، وهو من الشعراء العشاق، ارتبط اسمه بعزة. الأعلام (٥/ص٢١٩).
(٢) البكرة التي يسحب عليها الدلو.
(٣) انفردت بها النسخة (أ) (ج).
(٤) لعله القف.

٢ ـ النصيري:

ومن أحسن المياه هنالك بئر النصيري بضم أولها، وعليها حديقة غناء.

٣ ـ ومن أحسن حدائق العالية: حديقة الدويمة والشجيرة، والفقير بالتصغير، ومغلة بصيغة اسم الفاعل، والبوعي.

وفي قبلته مسجد بني قريظة بضم القاف، وهو عشرون ذراعاً في مثلها، وحوله حدائق، وبساتين، ومزارع. وفي الجهة الشامية منه المشربة.

وروي عنه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أنه صلى في مشربة أم إبراهيم، وهي أكمة بين النخيل، قد حوط حولها بلبن. والمشربة: البستان، وقيل: كان بستاناً لمارية القبطية، وفي الصحاح: المشربة بالفتح: الغرفة، وكذلك المشربة بضم الراء، والمشارب: العلالي، قال في «الجوهر المنظم»: المشربة: ولدت فيها مارية القبطية إبراهيم ابن رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وموضعه اليوم مسجد، وهو أربعة عشر ذراعاً في مثلها[1]. انتهى، والله أعلم.

وعندها حدائق، ومن أحسنها:

٤ ـ المرجانية، والمالكي، وأم غانم:

وما أحسن ما قال فيهم:

حدائق أنبتت فيها الغوادي ضروب النّور رائقة البهاء
فما يبدو بها النعمان إلا نسبناه إلى ماء السماء

٥ ـ الدوار، والسماوية، والبغوة:

ومن أحسن حدائق العالية: الدوار بضم أوله وتشديد الراء،

---

(١) يبدو أن هذا المسجد أزيل لوقوع بعض المخالفات من بعض الزوار، ويقع على يسار الذاهب إلى المستشفى الوطني من العوالي.

والسماوية، وما حولها، والبغوة؛ فإن فيها البغية، والله أعلم.

منطقة الزّهرة:

قال في «الوفاء»: زهرة بالضم والسكون بين: الحرة الشرقية والسافلة مما يلي القف، كانت من أعظم قرى المدينة، وكان بها ثلاثمئة صانع، وهي مما يلي العالية بالقرب من الصّافية.

وفي «الدرة الثمينة»: القف بالضم والتشديد: أصله ما ارتفع عن الأرض، وغلظ، وكان فيه إشراف على ما حوله (وأحجار كالإبل البروك) وهو علم لواد بالمدينة عند المشربة، وبه حسن.

جفاف:

وأما جفاف، فهو: واد طاب ريح نسيمه، وصح مزاج إقليمه، رياضه زاهرة، وحياضه باهرة، ونخله باسقة، وأشجاره متناسقة.

وادٍ حريري الرياض فكم به ... من حارث يغدو به همام
ممتداً أردية الظلال فروضه ... باكي العيون وثغر بسام

وهو كما قال:

منزل طيب وماءٌ معين ... وترى أرضه تفوح عبيرا
وإذا المرء قدر السير منه ... فهو ينهاه باسمه أن يسيرا

فلا زال كذلك ولا برحت معمورة بعمارته هاتيك المسالك.

قال: في «زهر الرياض»: جفاف بالكسر، وفادين من جهة العالية، به الحدائق الحسنة، والمنتزهات البهية المستحسنة، ومن حق تلك المنازل والربوع أن تكتب تراجمها باللجين أو بالدموع، وفيها قلت متذكراً لسالف العيش الطيب، فلا زالت بها شآبيب الغيث الصيب:

سقى الله في وادي جفاف بتائلاً ... لهن جَنَاء رائق راق اللون والحس
برانٍ على ساق النشير ثوابت ... وأخرى مع الأعناب في ساعةالعهن

وقال آخر:

جفاف بواديها رياض نواضرٌ بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منه نصيب ولا سهم

وقال آخر:

في زمان الربيع أهل الجفاف في نعيم إذا تزهر الأزهار
في قصور وسط الجنان تراها وهي تجري من تحتها الأنهار

وقلت:

تحن إلى وادي جفاف جواني وإن كان ممن قل فيه نصيبي
وإنّي لأهوى الجزع ممنع ومن لي بجزع في رباه حبيبي

وقال غيره:

عرج ركابك عن جفاف إنها وادٍ تذلّ له الرقاب وتخضع
في كل أفق من بديع رياضه قمر يغيب وألف بدر يطلع

وقال آخر:

يا سائراً والريح يعثر دونه والبرق يبسم إذا به يتألق
إذ جئت وادي جفاف منزلاً لي نحوه حتى الممات تشوق
ورأيت في الروض المفوف أغيداً في الكون مثل جماله لا يخلق
بلغ منازله التحية إنني أبداً لحسن بهائها أتشوق

حدائق جفاف:

١ ـ الحمرة، والنواعم:

ومن أعظم حدائق جفاف، وأحسنها: المحرة، والنواعم، فإنها من أعظم حدائق ذلك الوادي، وأكرم بساتين ذلك النادي، وهي القائل فيها بعض واصفيها:

عيون المها بين النواعم لو تدري — جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[1]
فيا ساكني أكناف طيبة ماؤكم — إذا ذقته ذقت الرحيق من السكر
ولولا بقايا طعمه في مذاقتي — لما ظهرت هذه الحلاوة في شعري
فواهاً على سكن النواعم دائماً — خلافاً لمن قد قال آهاً على مصر
فكم مر لي فيها حلاوة ليلة — فكانت شبيه الخال في وجنة الدهر
وفي غيرها كم كنت أقضي لياليا — تمر بلا نفع وتحسب من عمري

وقال آخر:

وجوه في النواعم إن تبدت — يقول الصب قد حصل المرام
وجوه لا تزال تضيء حسناً — لمثل جمالها خلق الغرام

٢ ـ العهن:

ومن أحسن حدائق جفاف العهن، وهو أحد الآبار السبعة، كما تقدم، والعهين بالتصغير، والنشير، وهو روض تغنت أطياره، فتمايلت طرباً أشجاره.

وإذا تكسر ماؤها أبصرته — في الحال بين رياضه يتشعب

وفيه إيوان مشيد البناء، وبركة متسعة حسناء، في روضة تروق أعين البشر، قد تناسق فيها الشجر، وسجع على أفنانها القمري، من غلى جداول كاللجين تجري.

وما أحسن ما قال:

وسانية حنت وأنّت وقد غدت — تعبّر عن حال المشوق وتُعرب
تُرقِصُ عطف الغصن تيهاً لأنها — تغنى له طول الزمان ويشرب

وقال ابن تميم:

---

(١) هذا بيت مشهور للشاعر علي بن الجهم العباسي، وهذه صورته:
عيون المها بين الرصافة والجسر — جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وبـركـة مـا يمـلأ العين صفـوهـا يحف بها روض من النبت مزهر
ويسرح منها في الخمائل جدول كما سُل من درع حسام مجوهر

وقال غيره:

وحـديقـة ينسـاب فيهـا جـدول طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها من مائه فكـأنمـا هـو معصـم منقـوش

وقد أحسن التخيل من قال:

كـأن المـاء قـد حفـت بـه أشجـاره وصـافحتـه الألسـن
مـرآة غيـد قـد وقفـن حـولها ينظـرن فيهـا أيهـن أحسـن

وقال القيراطي:

سقى الله بستاناً حللنا بدوحه وقد مالت الأغصان من كثرة الشرب
تراقصت الأغصان فيه ونقطت مغاني الرياض السحب باللؤلؤ الرطب

وقال البدر الذهبي:

لله روض فـــائـــح نشره قـد نمقـت أردانـه السحـبُ
الطير فيـه شيـق مغـرم وجـدول المـاء بـه صَـبُّ

وقال ابن الوكيل:

(تغنـت في ذُرى الأوراق ورق ففـي الأفنـان مـن طـرب فنـون
فكم بسمت ثغور الزهر عُجباً وبالأكمام كم رقصت غصون

وقال آخر:

ورب حمـامـة في الـدوح صـارت تجيـد النـوح فنـاً بعـد فـنّ
أقـاسمهـا الهـوى مهمـا اتجهنـا فمنهـا النـوح والعبراتُ منـي)[1]

وقال الصفدي:

---

(١) هذان البيتان على هذه الصورة في نسخة (ب) وصورتهما في النسخة (أ) عجز الأول عجز للثاني، وكان عجز الثاني عجزاً للأول.

لا تقيسوا بي الحمامة حزناً أنا فضلي تدري به العشاق
أنا أملي الغرام عن ظهر قلب وهي تملي وحولها الأوراق

وقال ابن لؤلؤ:

(ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن يعقوب والألحان عن إسحاق
قامت تطارحني الغرام جهالة من دون صحبي باللواء ورفاقي
وأنا الذي أملي الجوى عن خاطري وهي التي تملي عن الأوراق)(١)

وقال آخر:

يا طالما سجعت وهناً بذي سلم ورقاء تعجم شكواها فافهمه
وتنثني نسمات الغور حاكية علم الفريق فأدري ما تترجمه

وقال الأزدي وأجاد:

لأمر ما بكيت وهاج شوقي وقد سجعت على الأيك الحمام
لأن بياضها كبياض شيبي فمعنى نوحها قرب الحِمام

ومن سحريّات الرياض:

إذا هب نسيم الروض ليلاً عليك وأنت في بعض الحدائق
ووافق أن يكون البدر صاح وعندك شادن كالبدر فائق
لطيف كامل في الحسن فرد عطير طيبة من كل فائق
وكان مع السواني صوت قمري يغني في الهواء حسن الطرائق
وصوت الماء يُسكب في الجوابي(٢) يفوق بصوته صوت الغدائق
ورنّ الطير حتى كاد يزري بأوتار عليها الدّق رائق
وفاح لكل ريحان شذاه وراح به مع الأرياح عابق

---

(١) انفردت به النسخة (ب) (ج).
(٢) الجوابي: هي البرك، ومن ذلك قوله الله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سورة سبأ الآية: ١٣].

وصـار البـدر مـرتحـلاً سحيراً ... ونـادى للثـريـا أنـت طـالـق
وجاء الصبح يسعى في انطلاق ... وأذن فجـره سبحـان فـالـق[1]
وأصبحـت الـزهـور على كمـام ... تحاكي في النضارة كل شارق[2]
وقـد أصبحـت في خير وبـر ... معـافى آمنـاً مـن كـل عـائـق
فذاك العيش عيش أولي التصافي ... وأربـاب اللطـائـف والحقـائـق
فدونك فاغتنم صفوه وحافظ ... على شكر العطا إن كنت حاذق

ومن ذلك في هذه المسالك:

إذا أصبـح الجـوزاء وقـد ... تحجبت الشمس خلف الحجاب
ورق النسيـم وأرخـى النـدى ... كـواكـب طـل تـزيـن الـرحـاب
فكن من بني الوقت واحرصْ على ... نـديـم أديـب وطـيء الجنـاب
وخـل مليـح لطيـف ظـريـف ... يعـاني المـلاهـي ويهـوى الحبـاب
وحـاد يجـود على كـل عـود ... بلحـن الأغـاني وشجـو الشبـاب
يـزيـن المقـام إذا مـا استقـام ... لصـوغ القـوافي وجـر الـربـاب
وكـن في البسـاتين واطـرح بهـا ... همـومـك واجعـل عليهـا التراب
وإن أسبـل الغيـثُ أذيـالـه ... فذلك لا شك يوم الشراب[3]
وذلـك يـوم يـزيـد الهنـا ... ويطـوي بـه الهـم طـي الكتـاب
فخـذ نصـح صـب خبير بمـا ... يقـول فقـد قـال راعـي اللبـاب
ولا تمنـع البسـط أوقـاتـه ... فيشهـر في ذلـك سيـف العتـاب

وقد أبلغ الواعظ بقوله:

لقد كادت الدنيا تقول لأهلها ... مشـافهـة لـو أنهـا تتكلـم

---

(١) اقتبس الشاعر هذا المعنى من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فالق الإصباح﴾.
(٢) الشارق: الشمس والقمر عندما يكتمل شروقهما.
(٣) يوم الشراب: لعل الشاعر يقصد اليوم التالي لنزول المطر، حيث تسقى الحدائق من السيل مباشرة.

خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم
ولا تتركوا يوم السرور إلى غدٍ فرب غد ما يأتي بما ليس يُعلم
ألا إن أهنأ العيش ما سمحت به صروف الليالي والحوادث نُوّم

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾[1].

وما أحسن ما قال:

إذا أمكنت مع عفة النفس لذة فخذها ولا تنس النصيب من الدنيا

ولله در القائل:

عليك بساعات السرور فإنها هِبات زمان راجع في هباته
وخذ ما أتى مما ترى من مسرة وصل خير هذا الدهر في غفلاته
فإن صحيح الرأي من كان همه ومسعاه في تحصيل لذات ذاته

ومن محاسن جفاف: أم عُشر: واد في قلبي جفاف، تبقى فيه غدران من الأمطار، ومن سيل أبي جيدة، وتجري منه جداول إلى مزارع وحدائق هنالك.

٣ ـ منها الصيحاني:

فتجد به النفوس راحة ومسرة، ويسعى إلى التنزه فيه منّ الله تعالى عليه بسعة الرزق والمبرة.

وبالجملة: فإنه من المواضع الشهية الرائقة، والمرابع البهية الفائقة، ولا سيما إذا اخضرت أكنافه، وتزينت بالزهور أطرافه، وسلم قاصده من مشاغبة الديون، ومراقبة العيون، وهيهات هيهات أن تمر إلا بمقتضى أحوالها الأوقات.

وعلى ذكر الجداول فما ألطف قول ابن تميم:

---

(١) سورة القصص الآية رقم: ٧٧.

يـا حسنـه مـن جـدول متـدفـق ... يُلهـي بـرونـق حسنـه مـن أبصرا
مـا زالـت أنـذره عيـونـاً حـولـه ... خـوفـاً عليـه أن يصـاب فيعثـرا
فـأبـى وزاد تمـاديـاً في جـريـه ... حتى جرى من شاهق فتكسرا

وقال آخر:

كـأن الميـاه خـلال الـريـاض ... وأعين أزهـارهـا نـاضرة
سمـاء تقطـع فيهـا الغمـام ... فـلاحـت بـه الأنجـم الـزاهـرة

ومن الزهريات:

انظر إلى الأشجار تلق غصونها ... شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها ... وغـدا بـأذيـال الصبـا متمسكـا

وقال آخر:

انظر إلى الأغصان كيف تمايلت ... وتفـارقـت بعـد التعـانـق رُجَّعـا
كـالصـب حـال قُبلـة مـن إلفـه ... ورأى المـراقـب فـانثنـى مترجّعـا

وقال آخر:

أقول وطرف النرجس والغض شاخص ... إليّ وللنمـام حـولي إلمـام
أيا رب حتى في الحدائق أعينٌ ... علينا وحتى في الرياحين نمام(١)

قربان:

وأما قربان فهو اسم رجل، كانت له بئر، عليها حديقة، وعندها عمارة في شرقي مسجد الشمس إلى جانب الشمال، يفصل بينهما سيل أبي جيدة، سُمّي باسمه ذلك الموضع، فصار علماً بالغلبة على تلك الناحية، وكثرت فيه العمارات، وسكانه أهل خير، ومعروف.

قال الشاعر:

---

(١) هو نبات شبيه بالنعناع، له رائحة نفاذة تنم على وجوده وسط الأعشاب، ويستعمله أهل المدينة بدل الشاي في الصيف.

مــن سره رطــبٌ ومــاءٌ بــاردٌ   فليأت أهـل الخير مـن قـربـان

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده! من النعيم الذي تسألون عنه ظل بارد طيب، ورطب طيب»[١].

وما أحسن ما قال:

نحــن جيران أحمــد قــد أقمنــا   في رياض قد طاب فيها المقيل

مــاؤنــا بــارد وأضحــى لــدينــا   رطــب طيـــب وظــل ظليـــل

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «ثلاث لا يسأل الله تعالى عنها العبد يوم القيامة: ما يواري عورته، وما يقيم صلبه، وما يكنه من الحر والقَر، وهو مسؤول بعد ذلك عن كل نعمة».

وروي عن الحسن ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنعم الله على العبد من نعمة صغيرة أو كبيرة، فيقول عليها: الحمد لله رب العالمين، إلا أعطاه خيراً مما أخذ».

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام أنه قال: وقد سئل عن السؤال عن النعيم: «إنما ذلك للكفار» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[٢].

وعن الباقر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «إن النعيم: العافية».

وعنه رضي الله عنه: «إن الله سبحانه وتعالى أكرم من أن يطعم عبداً، ويسقيه، ثم يسأله عنه، وإنما النعيم الذي يسأل عنه هو رسول الله ﷺ، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [سورة التكاثر: الآية ٨].

(٢) وتمام الآية قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سورة سبأ الآية رقم: ١٧].

﴿وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]؟!

حكاه النيسابوري في (تاريخه) (تفسيره)[2].

مسجد الشمس:

وأما مسجد الشمس فيعرف الآن بمسجد الفضيح، فهو على نحو نصف ميل من مسجد قباء من الجهة الشرقية، وهو مبني بأحجار على نشز من الأرض، وعنده بئر لها درج إلى الماء، وقد صلى النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ في هذا المسجد.

قال في «الجوهر المنظم»: مسجد الفضيخ شرقي قباء، على شفير الوادي أحد عشر ذراعاً في مثلها، سُمِّي بذلك لأن أبا أيوب الأنصاري[3] ـ رضي الله عنه ومن معه، كانوا يشربون به الفضيخ[4] فجاءهم الخبر بتحريمها قبل العلم بنجاستها، وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

□ □ □

---

(١) [سورة آل عمران الآية رقم: ١٦٤].

(٢) تاريخه: انفردت بها النسخة (أ) تفسيره انفردت بها النسخة (ب) (ج).

(٣) أبو أيوب الأنصاري: اسمه خالد بن زيد الأنصاري، صحابي، مجاهد، نزل عليه الرسول ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ عند مقدمه المدينة، مات شهيداً تحت أسوار القسطنطينية.

(٤) الفضيخ: هو شراب يتخذ من البلح، وهو مسكر، كما دل على ذلك الأثر السابق.

فصل

القبلتين والجرف والبركتين

- مسجد القبلتين
- الجرف
- البركتين
- النخل
- الجمار
- الطلع
- ثمر النخل
- الرطب
- التمر
- العذيق

فصل: القبلتين، والجرف، والبركتين

مخيم لذاتي وسوق مآربي — وقبلة آمالي وموطن صبوتي
رعى الله أياماً بظل جنابها — سرقت بها في غفلة البين لذتي

مسجد القبلتين:

مسجد القبلتين لبني سواد بن سلمة، والأرجح أن تحويل القبلة كان وهو -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- يصلي به الظهر بعد ما صلى ركعتين، وكان جاء لزيارة امرأة من بني سلمة، فصنعت له طعاماً، وقيل: لم يكن معهم، بل أخبروا فاستداروا، ونوزع بأن مسجد قباء كان أولى بهذه التسمية لوقوع ذلك فيه.

وقال كثير من أهل العلم: مسجد القبلتين حولت فيه القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وقد صلى فيه النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- ركعتين من الظهر، فأمر أن يوجه إلى الكعبة فاستداروا، واستقبل الميزاب، وذلك لستة أشهر من الهجرة، في نصف رجب.

وقال ابن النجار[1] في «الدرة الثمينة»[2]: وصلى النبي -صلى الله

---

(١) ابن النجار: هو محمد بن محمود بن النجار (٥٧٣/ ٦٤٣): عالم موسوعي، له الكثير من المؤلفات منها: «ذيل على تاريخ مدينة السلام» في خمس مجلدات، و«غرر الفوائد» في خمس مجلدات، و«أخبار القدس»، و«أخبار مكة» وغيرها. نزهة الناظرين (ص٣٦٤) تحقيق الأستاذ أحمد سعيد بن سلم.

(٢) «الدرة الثمينة»، أو «أخبار مدينة الرسول» وقد قام بتحقيقه ونشره الأستاذ صالح محمد جمال المكي رحمه الله، وهو صحفي مكي، أحد مؤسسي مكتبة =

تعالى عليه وآله وسلم- في مسجده متوجهاً إلى بيت المقدس ست عشر شهراً، ثم أمر بالتحول إلى الكعبة، فأقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله! ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة. ثم قال بيده هكذا، فأماط كل جبل بينه وبين الكعبة لا يحول دون نظره شيء، وصارت قبلته إلى الميزاب.

وعن سعيد بن المسيب[(١)] قال: وحولت القبلة بعد الهجرة بستة عشر شهر قبل بدر بشهرين، في مسجد بني سلمة؛ الذي يقال له مسجد القبلتين وكان فيه رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- إذ ذاك في صلاة الظهر عند دار أم بشير، وقيل: كان ذلك في مسجده في صلاة العصر يوم الإثنين في النصف من رجب، على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة.

وتعرف جهة هذا المسجد بالقاع، وهو طرف وادي العقيق، وإلى جانب المسجد من شرقيه حديقة غناء مشتملة على عمارات بديعة، قد أينعت في أرجائها الأشجار، وتغنت على أغصانها الأطيار، فما أجلاها وقد حفت بها الأزهار، وهبت عليها نسمات الأشجار! وهي من أوقاف يوسف الرومي[(٢)] وإلى جانبها حديقة لطيفة يقال لها: عقاب[(٣)]،

= الثقافة بمكة. يحتوي الكتاب على (١٦٧) صفحة، ويشتمل على بعض الصور الحديثة، وخريطة للمدينة المنورة.

(١) سعيد بن المسيب: (١٣/ ٩٤) أبو محمد، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه، والزهد، والورع، والعلم. الأعلام (ج٣/ ص١٠٢).

(٢) في ذلك الوقت.

(٣) عقاب، والعنابس: حدائق شرقي القبلتين، والجرف جميعها أصبحت أحياء سكنية فيها أفخر المساكن.

وحول هذا المسجد آبار، ومزارع، تُعرف بالعنابس، من أحسنها: وزيرة، وسلطانة.

الجرف:

وأما الجرف بضمتين وتسكين الراء، فهو على ثلاثة أميال من المدينة، وهو قاع فسيح، ومنتزه مليح، ويشمل على آبار ومزارع وحدائق، من أحسنها حديقة الحاكم[1]، وحديقة الأمير، والنابية، وما حولها. وفي الجانب الغربي من الجرف مزارع العرض بالكسر، أو هي الجرف، أو كل وادٍ فيه شجر، فهو عرض.

قال يحيى بن أبي طالب[2]:

ولست أرى عيشاً يطيب مع النوى ... ولكنه بالعرض كان يطيب

وأنشد في ذلك:

انظر إلى الجرف البديع رياضه ... والشمس كادت بالحجاب توار

صبغ الأصيل جباله فكأنها ... أطواد تبر تبهج الأبصار

من محاسن الجرف:

ومن محاسن الجرف: سيل العقيق، وفي الصحيح: «لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، يأتي سبخة الجرف، فيخرج إليه كل كافر، ومنافق، ولها يومئذ سبعة أبواب»[3]. وفيه: أن سبخة الجرف ليست من المدينة. وفيه نظر.

---

(١) في ذلك الوقت.

(٢) يحي بن أبي طالب الحنفي: توفي سنة (١٨٠هـ) حنفي شاعر غزل فصيح، من أهل اليمامة. الأعلام (ج٨/ ص١٥١).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

البركتين[1]:

وأما البركتين بالياء في الأحوال الثلاث، والأكثر الإفراد، فهي نخيل ومزارع، تنتهي إليها العين الزرقاء في وادي إبراهيم بين غربي أحد والجرف، وتسقى بالساعات من ماء العين، ويقال لأولها البركة القريبة، ولآخرها البركة البعيدة. وأنشدوا في ذلك:

أرأيـــت وادي البركتين ومـــاءه ... يبدي لناظرك العجيب الأعجبا
يتكسر المـــاء زلالاً على الحصـــى ... فـإذا غـدا بين الـريـاض تشعبـا

ومن محاسن البطحاء: وهي مجتمع السيول، فإن النفس تجد لها إليها ارتياحاً، وتكسب من قضائها أفراحاً.

وما أحسن ما قال:

وبطحـاء في واد يـروقـك لـونهـا ... ولا سيمـا إن جـاد غيـث مُبكـر
تـلاحظهـا عين تفيـض بـأدمـع ... يـرقـرقهـا منـه هنـالـك محجـر
إذا فاخرته الريح ولت عليلة ... بـأذيـال كثبـان الـرّبـا تتعثـر

وقال آخر:

كم للنسيم على الربا من نعمة ... وفضيلـة بين الـورى لـن تجحـدا
مـا زارهـا وشكـت إليـه فـاقـة ... إلا وهز لها الشمائل بالندى

النخل:

فوائد وفرائد في كتاب «الفلاحة»[2]:

---

(١) البركتين على ما يبدو ليس من الجرف، حيث أنها تقع على الضفة الجنوبية الشرقية لوادي العقيق مما يلي المدينة، والجرف على الضفة الشمالية الغربية لوادي العقيق. تأمل. وقد تحولت تلك المناطق إلى أحياء سكنية وإن بقي شيء منها خالٍ من البناء والزراعة.

(٢) لعله يعني كتابه: «الفصول السنية في الفلاحة المدنية».

النخل: أول شجر استقر على وجه الأرض، وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «أكرموا عمتكم النخلة» وفي رواية: «أكرموا النخلة فإنها عمتكم» صدق رسول الله ﷺ.

وقال الشاعر:

وعماتك النخل كن مثلها لرامي الحجارة ترمي الرطب

وإنما سميت عمة؛ لأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه وعلى آله الصلاة والسلام، أو لأنها تشبه الإنسان في أشياء كثيرة، وجاء: إن الكرم والرمان خلقا أيضاً من فضل الطينة.

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» يعني: النخلة.

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «نعم المال النخل، الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل» كذا في كتاب «سلسلة البركة».

مسألة:

إذا دام شرب النخلة للماء العذب تُسقى الماء المالح، أو يطرح الملح في أصولها، فتحسن ثمرتها، وربما لا تقبل اللقاح بالطلع تتلقح بروث الحمير، ويعرض لها أمراض كالإنسان منها: الغم، وعلاجه: إيقاد النار حولها نهاراً.

ومنها العشق[١] وعلامته: ميلها إلى أخرى، أو خفة حملها،

---

(١) يقول الدكتور نايف الدعيس في تعاليقه على هذا الموضوع في كتاب «الزراعة الوطنية في بلد خير البرية»: (لم يثبت ذلك علمياً، بل إن بعض أهل المدينة المسنين يحكون مثل هذه الأخبار. ويقول: ومن باب الفائدة نذكر حنين الجزع، وحديث الجريدتين اللتين وضعهما رسول الله ﷺ على القبر) (ص٧١). =

وهزالها، وعلاجه: أن يشد بينها وبين المعشوقة حبل، ويعلق عليها سعفة من المعشوقة، ويجعل فيها من طلعها.

ومنها: منع الحمل، وعلاجه: أن يأخذ فأساً، ويدنو منها، ويقول لآخر: أنا أريد أن أقطع هذه النخلة؛ لأنها لم تحمل. فيقول له الآخر: لا تفعل؛ فإنها تحمل هذه السنة إن شاء الله تعالى. فيقول: لا بد من قطعها، ويضربها ثلاث ضربات، فيمسكه الآخر، فيقول: لا تفعل فإنها تثمر هذه السنة بإذن الله تعالى، فاصبر عليها ولا تعجل، فإن لم تثمر فاقطعها، فإنها في ذاك العام تثمر ثمرة كثيرة.

(هذا العلاج لا يختص بالنخل فقط، بل لكل شجرة منعت الحمل، كما قاله ابن الجوزي في «لفظ المنافع» لكنه لم يذكر الضرب ثلاثاً، بل إنه يدنو إليها ويقطعها، فيأتي واحد فيمنعه، ويضمن أنها تطعم. قال: قال الراوي: وأنا رأيت إشارات هذا. انتهى قلت: وأنا رأيت من جرب ذلك، فوجدته حقاً، فلله عجائب في خلقه لا تنكر)[1].

ومنها سقوط الثمر، وعلاجه: أن يتخذ لها منطقة من الأسرب فتكثر ثمرتها، ولا تسقط، أو يتخذ لها أوتاداً من خشب البلوط، وتدفن حولها في الأرض.

ومن عجائب أمرها: أنك إذا اتخذت نوى نخلة، وغرست منها ألف نخلة، جاءت كل واحدة لا تشبه الأخرى، وإذا نقع النوى في بول بغل، وغرس جاء فحولاً، وإذا نقع في الماء ثلاثة أيام أو ثمانية، وغرس جاء بسره كله أحمر، وإن نقع في بول بقرة وجفف ثلاث مرات، وغرس حملت كل نخلة منه بمقدار نخلتين.

---

(١) انفردت بها النسخة (أ). =

(وإذا أخذ نوى البسر الأحمر، وحشي في التمر الأصفر، وغرس، جاء بسره أصفر وبالعكس)[1].

وكذا النوى المتطاول، والمدورة، وكيفية غرسه: أن يجعل أغلاظ أطراف النوى مما يلي الأرض، وموضع النقير إلى القبلة.

فائدة:

إذا ظهر بعض عروق النخلة، وقطعت من دونها، وغرست، فإنها تنبت كأنه ودية، والتي لم تظهر عروقها تضرب أوتاد في جوانبها، وتشبك، ويجعل عليها التراب والماء إلى أن تضرب عرقها، فتقطع من دونها، وتغرس فتنبت، وتثبت.

حكي في كتاب «المباهج»: أنه أهدي لبعض الرؤساء عذق فيه بسرة حمراء، وبسرة صفراء، وذكر: أن بعض النخل تخرج الطلع في السنة مرتين.

وحكي أنه كان في بستان ابن الخشاب بساحل القاهرة نخلة، تحمل أعذاق نصف البسرة الأعلى أحمر، ونصفها الأسفل أصفر، وبالعكس من العذق الآخر.

حكي أن بقرية من أعمال بغداد نخلة، تخرج من كل شهر طلعة واحدة على مر الأيام.

لطيفـة:

حكي أن بعض ملوك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: بلغني أن ببلدك شجرة تخرج ثمرة كأذان الحُمر، ثم تنشق عن أحسن من اللؤلؤ المنضد، ثم تخضر فتكون كقطع الزمرد، ثم تحمر

---

(١) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

وتصفر فتكون كشذور الذهب، وقطع الياقوت، ثم تينع فتكون كأطيب الفالوذج، ثم تيبس فتكون قوتاً للحاضر وزاداً للمسافرين[1]، فإن صدقت رسلي فلا شك في أنها شجرة من شجر الجنة، فكتب إليه: نعم، صدقت رسلك الشجرة، وإنها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿فلا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾.

وعلى ذكر الشجرة فما أصدق ما قال:

المرء في زمن الإقبال كالشجرة والناس من حوله أدامت الثمرة
إذا تساقطت عنها حملها رحلوا وأخلفوها تقاسي الريح والغبرة

خواص النخل:

إن خوصه إذا مضغ قطع رائحة الثوم والكراث، ومن خواص النوى: أنه إذا غلي في ماء إلى أن يذهب نصفه نفع شربه من حرقة القضيب.

قال بعضهم يصف النخلة:

كأن النخيل الباسقات وقد بدأت لناظرها حسناً قباباً زبرجد
وقد علقت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بأجراس عسجد

وقال النميري:

ضربن العرق في ينبوع عين طلبن معينه حتى روينا
كأن فروعهن بكل ريح عذارى بالذوائب ينتضينا

وقال السري الرفاء[2]:

---

(١) وقد صاغ هذا المعنى شعراً الشاعر أحمد شوقي حيث قال:
طعام الفقير وحلوى الغني وزاد المسافر والمغترب
الشوقيات (٢/ ٦٥).

(٢) السري الرفاء: شاعر وأديب من أهل الموصل، اكتسب لقبه من مهنته، =

وكأن ظل النخل حول قبابها ظـل الغمـام إذا الهجير تـوقـدا
من كل خضراء الذوائب زينت بثمـارهـا جيـد لهـا ومقلـدا
خرقت أسافلهن أعماق الثرى حتـى اتخـذن البحـر فيـه موردا
شجر إذا ما أصبح أسفر لم ينح للـرأس طـائـره ولكـن غـردا

وقال آخر:

انظـر إلى البسر إذا تبـدى ولـونـه قـد حكـى الشقيقـا
كـأنمـا خـوصـه عليـه زبـرجـد مثمـر عقيقـا

وقال في البلح الأحمر:

أمـا تـرى النخـل حـامـلات بسراً حكـى حمـرة الشقيـق
كـأنـه مـن عقـود تبر منظمـات مـن العقيـق

وقال في البلح الأخضر:

أمـا تـرى النخـل أطلعـت بلحـاً جـاء بشير بـدولـة الـرطـب
مكـاحـل زمـرد خـرطـت مقمعـات الـرؤوس بـالـذهـب

وقال آخر:

أما ترى الرطب المجنى لأكله حلو أعدت لنا من صنعة الباري
ما باشرتها يد العقاد في عمل في الدست يوماً ولاحطت على النار

وقال ابن شرف القيرواني(١):

ومطبـوخ بغير عقيـد نـار عـزمـت على جناه بـابتكـار
أبـا نيـد تبـدت مـن عقيـق مقمعـة بمسبـوك النظـار

= ارتحل إلى بعض البلاد، توفي سنة (٣٦٦هـ). الأعلام (ج٣/ ص٨١).

(١) ابن شرف القيرواني: (٤٤٤/ ٥٣٤). جعفر بن محمد القيرواني، الملقب ابن شرف القيرواني، شاعر وأديب، وأصله من القيروان، استوطن الأندلس، وله ديوان شعر. الأعلام (ج٢/ ص١٢٨).

تبر لصفا جوهرها نواها   كألسنة العصافير الصغار

وقال آخر:

كأنما النخلة معشوقة   قد تزينت آذانها بالحلي
والقنو مثل القرط في حسنه   تبارك الله العظيم العلي

وقال أيضاً في النخل المجدود:

انظر إلى النخل وأعناقها   قد جرت من غصنها الزاهي
مثل عروس تم أسبوعها   فجردت من حليها الباهي
ما زينتها إلا عراجينها   وكلها من حكمة الباري

ومن الألغاز في النخل والنحل:

وما اسمان إذا تصف ذا وكلاهما   لدى العام منه يجتنى طيب الأكل
وبينهما في الخط أدنى تقارب   ولكن إفراط التفاوت في الشكل
وكل إذا صحفته وعرفته   فمجموعه شط من أحدق النخل

مسألة:

يقال: من سعادة المرء أن يرى ولد ولده، وأن يأكل من غرسه، وأن يسمع إنشاد شعره.

وأنشدوا في ذلك:

لسنا وإن أنسابنا كرمت   يوماً على الأنساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا   تبني ونفعل مثلما فعلوا

روى الحافظ في كتاب «المدح والذم» بإسناد له عن عبد الله بن سلام ـ رضي الله تعالى عنه ـ: (لا تدع غرس أرضك، وإن سمعت بخروج الدجال) وعن بعض أهل البيت: اعمل للدنيا حتى كأنك لا تموت أبداً، واعمل لآخرتك حتى كأنك لا تعيش غداً. وكأنه ينظر إلى قوله

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] وإلى قوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «البناء من يوم ابتدائه في نقصان، والغرس من يوم ابتدائه في زيادة».

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أن المراد به التجارة وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[2] المراد به الزرع والغرس.

وكان يقال:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر

وكان يقال:

فـلاح المعيشـة في الفـلاحـة عسـى تجـد في العيـش راحـة

وكان يقال:

لا ضيعة على من له ضيعة وإنما تصلح بقوة ساعد وجاه مساعد

وكان يقال:

هـي المـال إلا أن فيهـا مـذلـة فمن ذل قاساها ومن ملّ باعها

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض» قال في المواهب: المراد به الزرع.

وأنشدوا، وأجادوا:

تتبع خبايا الأرض ودع مليكها لعلـك يـومـاً أن تجـاب فترزق

وفي كتاب «البركة» عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «أنه قال

---

(١) سورة التوبة الآية رقم (١٢٠).
(٢) سورة البقرة رقم الآية (٢٦٧).

عند قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1] والبركة في التجارة وصاحبها لا يفتقر إلا حلاف مهين.

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «من استطاع أن يشتري دابة فليشترها، فإنها تأتيه برزقها، وتعينه على رزقه».

وكان يقال: الحمار قليل المؤونة، كثير المعونة.

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف[2] إن الله تعالى لا يحب الفارغ الصحيح لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة».

وفي كتاب «البركة»: الزرع أفضل الطيبات، وهو من أهم فروض الكفاية، وقال: أصول المكاسب: الزراعة، والصنعة، والتجارة، والزراعة أطيبها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ قيل: كالعنب والبطيخ مما يُعرش له ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ مما قام على ساق كالنخل، والشجر ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ أي: متقاربات متدانيات بقرب بعضها بعضاً، وتختلف بالتفاضل ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ أي: بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾[5] الصنوان: النخلات يجمعهن أصل واحد، وتتشعب فتكون نخيلاً.

---

(١) سورة المزمل الآية رقم (٢٠).

(٢) رواه الطبراني.

(٣) سورة الأنعام الآية رقم (٩٩).

(٤) سورة الأنعام الآية رقم (١٤١).

(٥) سورة الرعد الآية رقم (٤).

وقال تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «ما أكل العبد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده».

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل». والفسيلة: الودية الصغيرة، قاله الجوهري. وفي كتاب «البركة» عند قوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾[2]: وكيل الرجل، وقيمه في ضيعته، وماشيته ذلك لا بأس أن يأكل من ثمرة حائطه، ويشرب من لبن ماشيته. ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ﴾[3] ولو في غيبته من غير تحمل.

لطيفة:

حكي في «شرح المقامات» للشريشي: أن كسرى مرّ على شيخ يغرس الزيتون، فقال: ليس هذا أوان غرس الزيتون لأنه شجر بطيء الثمر، وأنت شيخ هرم، فقال: أيها الملك! غرس من قبلنا فأكلنا، ونغرس ليأكل من بعدنا، فقال: زِه، أي: أحسنت. وقال: إذا قالها يعطي من قيلت له أربعة آلاف درهم، فدفعت له، فقال: أيها الملك السعيد! كيف رأيت غرسي؟ فما أسرع ما أثمر، فقال: زِه، فزيد أربعة آلاف، فقال: أيها الملك السعيد! كل شجرة تثمر في العام مرة، وشجري أثمر في ساعة مرتين. فقال: زِه، فزيد مثلها، فمضى كسرى، وقال: انصرف، فإن وقفنا فلم يكفه جميع ما في خزينتنا.

---

(١) سورة النحل الآية رقم (١١).
(٢) سورة النور الآية رقم (٦١).
(٣) سورة النور الآية رقم (٦١).

وما أحسن ما قال:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسبِ
إن الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

الجمّار:

هو قلب النخلة، وموضع الطلع منها، أجوده الأبيض الغض الحلو، وهو بارد، يابس في الأول، ينفع من أوجاع الصدر، والسعال، والحرارة، وهزال الكلى خصوصاً بالسكر، وينفع من الإسهال، والمرة الصفراء، ومن لسع الزنبور ضماد ونقيع، ويولد الرياح لشدة حبسه، ويصلحه السكنجين.

قال بعضهم يصفه:

جمارة كالماء تحكي لنا ما بين أطمار من الليف
جسم رطيب اللمس ولكنه قد لف في ثوب من الصوف

الطلع:

لقاح النخل يتكون في ظروف كالسمك، تسمي كيزانه فيصِير داخله كصغار اللؤلؤ المنضودة، فإذا تفتحت عنه خرج كالدقيق الأبيض دسماً كرائحة المني، يلقح به إناث النخل فتصح، وهو بارد في الأولى، يابس في الثانية، أو الثالثة، بطيء في الهضم، مولد لأوجاع الصدر، وبرد المعدة وعسر البول يصلحه الحلوى، وأما الناعم منه البالغ فلا نظير له في تهيج الباءة، ولا كرائحته في تهيج النساء.

وفي كتاب «تحفة الملوك»: إذا أخذت مثقالاً من اللفت، ومثله من السكر، ومضغته وبلعته، حصل لذلك إنعاظ في الوقت، ولم يزل كذلك إلى أن تشرب الخل ويرش منه على القضيب، وحينئذ يسكن، قال: وهو من المجربات.

(ومن منافع الطلع: أنه يقوي الأحشاء، ويمنع انصباب المواد)[1].

ومن شعر كشاجم[2] فيه:

قد أتانا الذي بعثت إلينا   وهو شيء في وقتنا معدوم
طلعة غضة أتتنا تحاكي   سقطاً فيه لؤلؤ منظوم

ومن قول ابن المعتز:

أفدي الذي أهدى إلينا طلعه   أهدى إلى قلبي المشوق بلابلا
فكأنما هي أوراق فضة   قد أودعته من اللجين سلاسلا[3]

ولقد أحسن التشبيه من قال:

أما ترى الطلع يحكي   لناظري حين أقبل
سلاسل من اللجين   يضمها تخت صندل

ثمر النخل:

١ ـ البلح الأخضر:

بارد يابس، والحلو منه يميل إلى الحرارة، وفيه قبض يصدع، وكثير ما يوقع في الناقض، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال محمد بن يسار ـ رحمه الله تعالى ـ:

جاء بها راسخة   كالعبهر المستنشق

---

(١) انفردت به النسخة (ب) (ج).

(٢) محمود بن الحسين الملقب بكشاجم المتوفى عام (٣٦٠هـ) شاعر متفنن أديب، من كتاب الإنشاء، من أهل الرمة بفلسطين، فارسي الأصل، تنقل في العواصم الإسلامية، واستقر في حلب عند أبي الهيجاء بن حمدان، له ديوان شعر، وأدب النديم، ومصائد المطارد، وغير ذلك. الأعلام (ج٧/ ص١٦٧/ ١٦٨).

(٣) انفردت به النسخة (أ).

وقــــال شبههـــا لنـــا فقلـــت غيـــر مطـــرق
مكحلـــة مخـــروطـــة مـــن وهـــج مـــؤنـــق
ســـدادهـــا مـــن ذهـــب وميلهـــا مـــن ورق

وقال ابن الرومي في البسر الأصفر[1]:

بعثـت ببـرنـي جنـي كـأنـه مخازن تبر قد ملين من الشهد
مقمعـة الأطـراف تنقـذ قمعهـا عن العسل المادي والعبهر الهندي
تنقل من خضر الثياب وصفرها إلى حمرها ما بين شيء إلى برد
وكم لبثت في شاهق لا ترى به فلا تجنى باللحظ إلا من البعد

وقال غيره:

أمـــا تـــرى البســـر الـــذي قـــد حـــاز كـــل العجـــب
كيـــف غـــدا فـــي لـــونـــه كعـــاشـــق مكتـــب
كـــأنـــه مـــن فضـــة قـــد طليـــت بـــالـــذهـــب

الرطب:

قال الحكيم داود في تذكرته: هو سادس مرتبة من ثمر النخل، أجوده الأصفر، الكثير اللحم، الرقيق القشر، الصغير النواة، الصادق الحلاوة، وأردؤه الأسود، وأعدله الأحمر، وهو حار في الثانية، ويابس في الأولى، وفي الأزرق والمحيط حار رطب، وكل ما اشتدت حلاوته كان أشد حرارة.

---

(١) علي بن العباس (٢٢١/٢٨٣هـ) المعروف بابن الرومي، شاعر عباسي، يغلب على شعره التشاؤم، عاش في بغداد، ومات بها، وله ديوان شعر مخطوط في ثلاثة أجزاء، وقد باشر بطبعه واختصره كامل الكيلاني وسمّي: ديوان ابن الرومي. الأعلام (ج٤/ص٢٩٧).

خواص الرطب:

وخواصه يحرق البلغم ويذيبه، ويقطع البرد، ويسمن اللوز إذا لازم، ويصلح الهزال العارض في الكلى، وبرد الظهر، ويحرك الشهوة في المبرودين خصوصاً المربى[1].

وفي المحيط يلين الطبع، ويزيد في المني مع الخيار والخس، وليس للنفساء دواء كالرطب، وكان السلف يستحبون إطعامه للنفساء؛ لأن مريم عليها السلام أكلته في نفاسها، وكانت نخلتها العجوة.

وقال:

إذا أبطأ الرزق الذي أنت طالبه	فخذ سبباً واقصد به ذلك الطلب
ألـم تـر أن الله أوحـى لمـريـم	هزي إليك الجذع يساقط الرطب[2]
ولو شاء أحنى الجذع من غير هزه	إليها ولكن الأمور لها سبب[3]

وفي كتاب «البركة»: إذا ولدت المرأة فليكن أول ما تأكل الرطب، فإن لم يكن فتمر، فإنه لو كان شيء أفضل منه أطعمه الله سبحانه وتعالى لمريم عليها السلام حين ولدت عيسى عليه السلام.

وكان النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «لا يغدو يوم عيد الفطر حتى يأكل من التمر وتراً».

ويحكى: أن ملوك الفرس كانت في أيام الرطب، ترفع عن سماطهم الحلوى، وإذا كان أوان الورد، يرفعون به سائر الشموم[4] مضادة.

---

(١) تذكرة داود الأنطاكي (ج/ ١ ص١٩١).

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [سورة مريم الآية: ٢٥].

(٣) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

(٤) الشموم: الروائح الطيبة التي تستعمل، واستعيض عنها بوجود الورد =

قال في «التذكرة»: يولد السوداء، والسدد، والفضول الغليظة، ويضعف الكبد واللثة، ومزاج المحرور، وتصلحه الحوامض، والخيار، وينبغي لمن ولد في غير بلاده التي ينبت بها تقليل أكله ما أمكن، وكذا ضعيف الدماغ[١].

مسألة:

أجمع الحكماء على أنه: ما من دواء يزيل علة إلا ويحدث أخرى، أو يزيد فيها، ولذلك قال بعضهم: ليس في الدنيا لذة على الحقيقة.

ما استكمل المرء من لذاته طرفاً إلا وأدركه النقصان من طرف

التمر:

قال في «التذكرة»: هو المرتبة السابعة من ثمر النخيل، وهو كالعنب كثير الأنواع، أجوده: الأبيض العراقي، الرقيق القشرة، الكثير الشحم، الحلو النضيج؛ الذي إذا مضغ كان كالعلك، وأكثر ما ينشأ بالبلاد الحارة اليابسة التي يغلب علها الرمل كالمدينة المنورة، والعراق، وأطراف مصر، وهو حار في آخر الثانية يابس في أولها، وقيل: في الأولى[٢]. وفي المحيط: حار رطب.

خواصه: يقطع السعال المزمن، وأوجاع الصدر، ويستأصل شأفة البلغم خصوصاً إذ أكل على الريق، وينفع من الفالج، ووجع المفاصل عن برد، ويولد الدم، ويصلح أوجاع الظهر، ويقوي الكلى المهزولة بالحليب، ويقوي الباءة.

= الطبيعي.

(١) المرجع السابق (ج/١ ص١٠٩).

(٢) المرجع السابق (١١٠).

وفي الأزرقي: يقتل الدود المتولد من العفونة في البطن، وفي المحيط يقوي الصداع، وإذا خرق نوى التمر، وسحق مع الكحل أنبت هدب العين، وأحدّ البصر، وسود، ومنع الجرب، وحسن.

قال في «التذكرة»: لا يجوز تعاطي التمر لمن لم يولد في بلاده إلا بقسطاس مستقيم، ولا المحرور، ولا زمن الصيف، ويكره أكله عند النوم، ويصلحه السكنجين والقثاء[1]، والله أعلم.

وقال بعضهم:

أما ترى التمر يحكي ... في الحسن للنظار

مخازناً من عقيق ... قد قمعت بنضار

كأنما عقران ... في من الشهد جاري

يشق مثل كؤوس ... مملوءة من عُقار

وفي كتاب «البركة»: عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «لا يجوع أهل البيت عندهم التمر».

وقال: «بيت لا تمر فيه جاع أهله مرتين أو ثلاثاً».

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد فليفطر على الماء فإنه طهور».

أو كما قال:

فطور التمر سنة ... رسول الله سنه

من البرني المربي ... يحكي للمرء سنه

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «التمر البرني فيه شفاء من كل داء».

---

(١) المرجع السابق.

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «خير تمركم البرني يذهب الداء ولا دواء فيه».

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»[1].

وفي الصحيحين: «إن في عجوة العالية شفاء،وإنها ترياق أول البكرة»[2].

قال في «المحيط»: العجوة تمر كريم، ثم صلب ملزمتين القوة ينفع من السموم الباردة، وينفع من لسعة العقرب.

قال الأزهري والصيحاني منها، وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «كل البلح والتمر فإن الشيطان يجري إذا رأى ابن آدم يأكله يقول: عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق»[3].

قال الشيخ أبو محمد الجويني[4] في كتاب «الفرق والجمع» في أبواب الزكاة: كنت بالمدينة المنورة، فدخل علي بعض أصحابي فقال: كنا عند الأمير فتذكروا أنواع التمر بالمدينة، فبلغت أنواع الأسود ستين. ثم قالوا: وأنواع الأحمر بلغت هذا المبلغ. وفي «زهر الرياض»: بلغت أنواع التمر بالمدينة مئة وبضعاً وثمانين، منها:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) أي: أكل التمر والرطب في آن واحد.

(٤) الشيخ أبو محمد الجويني: هو عبد الله بن يوسف الجويني، من علماء الفقه والتفسير واللغة. نيسابوري المولد والوفاة، من كتبه: «التفسير»، و«التبصرة» و«التذكرة»، و«الجمع والفرق» وغيرها، وهو والد إمام الحرمين توفي (٤٣٨هـ).

الصيحاني. وهو نخل يعرف إلى الآن بهذا الاسم[1]، وهو بيد أولاد صفوي بن سليمان الطفيلي الحسيني[2].

قلت: هو من أم عُشر مجرى السيل بالحرة الغربية بعضه لبني السفر، وبعضه لبعض بني حسين، وأخرج ابن المؤيد الحموي عن جابر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كنت مع النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ في بعض حيطان المدينة ويد علي ـ رضي الله عنه ـ في يده، فمر بنخل، فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء، وهذا سيد الأولياء ـ أبو الأئمة الطاهرين ـ ثم مررنا بنخل، فصاح: هذا محمد رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وهذا علي سيف الله، فقال النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «يا علي اسمه الصيحاني» فذلك هو السبب فيه.

قال ابن حجر في «حاشية الإيضاح»: لكن ردّ بأنه موضوع.

وحكى القصة السيد علي في «الوفاء» ولم ينكرها، والله تعالى أعلم.

قلت: ورأيت مؤلفاً في أنواع التمر مرتباً على حروف المعجم، زاحمت الأنواع فيه المئتين، قال في «زهر الرياض»: وصاحب الدار أدرى.

من أحسن التمر:

١ ـ سيدها البرني: وغرس أهل المدينة له أكثر، وعنايتهم به أتم، وإذا غرس في غير المدينة لا يحسن حسنه فيها[3] وثمره أغلى من

---

(١) لعله في زمن المؤلف.

(٢) لعله سمي الصفوي لذلك.

(٣) في الوقت الحاضر غرس في العلا كثيراً، ويعرف بالمبروم.

غيره، بل ولا يذكر في سلمهم[١] غالباً غيره، ويحمل إلى الأقطار تبركاً به، ومده في الرخاء بثمانية كبار[٢].

وفي الغلا بعشرين فأكثر، وهو مع ذلك واجد الودي، قليل القيمة، وهو أزهر الزهو (أحمر الرطب شبيه بأصابع العذارى يلذ أكله زهواً)[٣] ورطباً، وتمراً.

٢ ـ والبردي أغلى قيمة من البرني لقلة وديه، لعل جميع ما في المدينة لا يصل إلى خمسين نخلة[٤]، وهو أصفر الزهو أحمر إلى الكدرة، مكبك، مسلوب من أسفله، يحمل إلى الروم[٥] وغيرها في الدباب[٦] والمراطبين[٧].

٣ ـ يقاربه الشقري، والجعفري، والطبرجلي، والغريس، متقاربة في الشكل، والسكري، والبيض، والغذق كذلك.

٤ ـ والبربر والجادي متقاربان.

٥ ـ والحلي أحمر البسر، زيتوني لون الرطب، وقال بعضهم: أحسن أنواع الرطب وأطيبه: الحلو، ثم الطبرجلي، ثم الغريس، ثم السكر، ثم البرني، ثم الحلي، وأنشد عليه في ذلك، وما أحسن ما قال:

في العوالي من أرض طيبة حقاً   رطب فاق من سواه فذرني

---

(١) لعله يقصد وفاء الفلاح بدينه لعميله التاجر، كما هو معروف في المدينة.
(٢) لعله نوع من العملة.
(٣) انفردت به النسخة (أ).
(٤) في وقت المؤلف، وأما في الوقت الحاضر فلم نسمع بوجوده، ولعله انقضى لقلته.
(٥) يعني بذلك: عاصمة الخلافة إسطنبول.
(٦) الدباب: يبدو أنها من الجلد.
(٧) المراطبين: أوانٍ من الفخار المزجج، وهي جمع مرطبان.

هـو حلـو وسكـر وغـريـس وحلي وطبرجلي وبـــــرني

وأشرف أنـواع التمـور: البرني، والشبلي، والبردي، والخضري، والجعفري، والجادي، واللبانة، وهي القب.

وقال وما أحسن ما قال:

خير تمـر في أرض طيبـة يبـدو من نخيل أسنى المحاسن تبدي
شلبـــي وجعفـــري وقـــب ثم جادي من بعد برني وبردي

قال في المحيط: ومن النبات الذي يشبه النخل المقل: وهو الدوم هو نخل بري عالٍ، عليه اليبس والعنصر الشديد، فقصر سعفه، وصار الغالب على ثمره الخشبية، وعلى نواه الحجرية.

وشجر النارجيل، وهو الجوز الهندي، وزعم أهل الحجاز: أن شجرة النارجيل، هي شجرة المقل، ولكنها أثمرت نارجيلاً لطباع التربة، وأجوده الطري الأبيض، وهو حار يابس يغذي غذاء كثيراً، ويزيد الباءة، وينفع من تقطير البول، ودهنه جيد للبواسير، ولبنه لذيذ، كثير الحلاوة، ويجعل من قشره حبال السفن، فلا يتعفن. (وقلت: أنا مما جرب أكله مع السكر الأبيض، ينفع من المرض الدموي، والله سبحانه وتعالى أعلم)[١].

وقال كجاشم في ذلك[٢]:

وذات قشر أســود حشـوهـا كـافـورة مـومـوقـة المنظـر
قـد نشرت في رأسهـا وفـرة تسترهـا عـن نـاظـر البصر
كـأنهـا جمجمـة البسـت ذوائبـاً مـن خـالـص العنبر

وشجرة الفوافل: فإنها تشبه النخل، وشجرة الكادي مثلها.

---

(١) انفردت به النسخة (أ).
(٢) سبق الترجمة له.

فائدة:

الكادي بالدال المهملة على ما يستفاد من كلام السيوطي في كتابه «بغية الوعاة» في ترجمة البدر الدماميني، وله لغز في كادي:

وما شيء له نشر ذكي لعاطره إلى الطيب انتساب
تروح له على رجليك تمشي وتغلبه يداك فيما الجواب

(المراد: لفظ يداك فإنه قلبه: انتهى، والله تعالى أعلم)[١].

قال: وقد نظمت جوابها يديها لما أنشدتهما بثغر الإسكندرية في رحلتي إليها، فقلت:

ومذ سمعت بهذا اللغز أذني أتاني تفضله الجواب
فذا طيب إذا صفحت منه أخير يده له في الخبث باب

المراد: أخير به الدال المهملة تصحف بالمعجمة والياء المثناة من تحت تصحف بالباء الموحدة، فيكون منه كاذب (لعل الأقرب أنه اعتبره أخير به فقط، وأنه يمشي على كونه بالذال المعجمة، كما نص عليه في القاموس، فيكون المراد: الدب، فهو حيوان خبيث)[٢] ولا شك أن له في الخبث باباً، كما قيل:

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة

وفي القاموس: كذا كناية عن الشيء، الكاف حرف التشبيه، وذا للإشارة، والكادي دهن، ونبت طيب الرائحة.

وفي «التذكرة»: الكادي كالنخل في ذاته، وصفاته، لكن لا يطول، يحسن بالمزان، وهو حار يابس في الثانية، إذا وضع طلعه قبل أن يشق

---

(١) انفردت به النسخة (أ).
(٢) انفردت به النسخة (أ).

في دهن سر النفس، وقوّى الحواس، وفرّح، وشد البدن، ومنع الإعياء والخفقان، وشربه يقطع الجذام[1] وهو يوجد بالمدينة[2] إلا أن سلطنته بأم القرى.

تتمة:

قال في الصحاح: فلان صديقي، وإنما يصغر على جهة المدح، كقول حباب بن المنذر[3]: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب.

العذيق:

تصغير عذق، وهي النخلة الكريمة على أهلها، وبئر عذق حديقة بجزع قباء لآل شدقم، وفيها بئر عليها قبة محكمة، جددت عمارتها سنة ست وأربعين وألف، وهي من آبار العين الواصلة إلى المدينة المنورة، والرجبة البناء حول النخلة لحفظها إذا مالت، أو المشوكة لحفظ ثمرتها، والجذل: واحد الأجذال، وهو أصول الحطب العظام، والجذل المحكك الذي ينصب في العطن لتحتك فيه الإبل الجربى، كذا في الصحاح، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

□ □ □

---

(١) تذكرة داود (ج١ ص٣٠٣).

(٢) هذا النبات لا يوجد الآن في المدينة، ولا في مكة، بل يوجد بالطائف.

(٣) الحباب بن المنذر الأنصاري: صحابي، من الشجعان الشعراء، له موقف مشهور مع رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ببدر يذكر فيشكر، والعبارة هذه قالها في سقيفة بني ساعدة عند وفاة الرسول والملاحاة بين المهاجرين والأنصاري، على من يتولى الأمر بعد رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ مات في خلافة عمر عام (٢٠هـ).

فصل
في ذكر أحد، ومساجده، ومشهده الشريف، ومعاهده

- شهداء أحد
- حمزة بن عبد المطلب
- مساجد أحد

فصل: في ذكر أحد ومساجده
ومشهده الشريف ومعاهده

موطن أفراحي ومربى مآربي ... وأطوار أوطاري وما من خيفتي
وثـــم وراء القـــول سرّ كتمتـــه ... فلو قيل صرح قلت يا نفس اصمتي

ويُروى من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «أحد جبل يحبنا ونحبه، فإذا جئتموه فكلوا من شجره، ولو من عضاهه»[1].

قال ابن الهمام: ويزور جبل أحد نفسه لقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «أحد جبل يحبنا ونحبه».

ويروى: «أحد على ركن من أركان الجنة، وعير[2] على ركن من أركان النار»[3].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) هو حد المدينة الجنوبي، وهو ميقاتها المكاني، فلا يجوز لمن أراد الحج أو العمرة أن يمر به إلا محرماً، أو وجب عليه ما يجب على متجاوز الميقات المكاني. انظر الملحق رقم (١).

(٣) رواه عبد الرزاق عن يحيى، عن داود بن حصين، عن أبي ليلى الحارثي في «الحجج المبينة» الأحاديث الواردة في فضل المدينة، للدكتور صالح بن حامد الرفاعي (ص٥٧٦). =

ويروى: «أحد على ترعة من ترع الجنة»[1].

وعن أنس - رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً قال: «لما تجلى الله تعالى إلى الجبل تشظى فطارت منه لعظمته ستة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة: أحد، وورقان، ورضوى»[2].

وفي «الدرة الثمينة»: مكان رضوى عير، وعن بعضهم: إني لأستبعد أن يكون بالمدينة جبل من جبال النار بعد أن برأها الله تعالى من الشرك، وعير في مقابلة أحد، وبينهما المدينة، وورقان عند شعب علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه، وكرم وجهه - وسُمِّي أحد: لتوحده، وانقطاعه عن غيره من الجبال، أو لما وقع لأهله من نصرة التوحيد، ولا مانع من وضع الحب فيه، كما وقع التسبيح من الجبال، وقد خاطبه النبي ﷺ مخاطبة من يعقل، فقال ﷺ لما اضطرب: «اسكن أحد» وبقنته[3] سقيفة، وعندها صهريج يصعد إليه بعض الزوار بجهد جهيد.

وأنشد أبو عبد الله الفيومي لنفسه في ذلك، وما ألطف ما قال:

هام بأشجانه إلى أحد حتى إذا ما رأى به عجز
صار إذا قيل هل تعود له يقول بيني وبينه حمز

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: أنه صعد أحداً فأقبل على المدينة، وقال: «ويل أمها قرية تدعها أهلها كأينع ما تكون»[4].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) ورقان: أحد جبال وادي الصفراء على يسار الذاهب إلى بدر، ورضوى: جبل عظيم مواجه لمدينة ينبع البحر، ويحتضن بعض قرى وادي ينبع النخل.
(٣) قنة الجبل: أعلاه وقمته.
(٤) رواه عمر بن شبة في «تاريخ المدينة» والطبراني في «الكبير» مع اختلاف في الألفاظ.
=

وفي أحد غار، وزعموا أن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ اختفى فيه.

وعن جابر رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «أقبل موسى وهارون عليهما السلام حاجين، فمرا بالمدينة، فخافا من يهود كانا بها، فخرجا مستخفيين، فنزلا أحد، فغشى هارون الموت، فقام موسى، فحفر له، ولحد. ثم قال: يا أخي! إنك تموت، فقام هارون، فدخل لحده، فقبض عليه، فحثى موسى عليه التراب» ويعرف قبره بشعب هارون[1].

وقال بعضهم:

ما المرء إلا راكب ظهر عمره على سفر يغنيه باليوم والشهر
يبيـت ويمسي كـل يـوم وليلـة بعيداً عن الدنيا قريباً من القبر

شهداء أحد:

والشهداء بأحد سبعون رجلاً، وكان عليه وعلى آله الصلاة والسلام يقول إذا زارهم: «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»[2].

وأما الوقوف على أحوالهم، وسماع كلامهم، فهو على حسب الاستعداد، وكثير من سمع رد سلامهم.

وأما المشهد الشريف فيروى أن أم الخليفة[3] الناصر لدين الله تعالى أبي العباس أحمد بن المستضيء[4] هي التي بنته سنة سبعين وخمسمئة، وجعلت عليه قبة متقنة، وبابه كله مصفح بالحديد، والقبر مجصص،

---

(١) السمهودي، وفاء الوفا (ج٢/ ص٩٢٩) وما بعدها.
(٢) سورة الرعد الآية رقم (٢٤).
(٣) أم ولد تركية اسمها زمرد، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٤٨٠).
(٤) حكم بين عامي (٥٧٥/ ٦٢٢) المرجع السابق.

وعليه تابوت، وعليه ثوب من حرير من خليع كسوة الضريح النبوي[١] ثم زاد فيه الأشرف قايتباي[٢] زيادة أدخل فيها البئر من الجانب الغربي، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثمانمئة، واحتفر خارج البناء بئر بدرج إلى الماء، وذلك على يد شيخ الخدام بالحرم النبوي شاهين الشجاعي، وقد أشرفت على الدمار لهجرها[٣].

وكانت السيدة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ تزور قبر حمزة ـ رضي الله عنه ـ وترمه، وتصلحه، وقد علمته بحجر. وليحيى أنها كانت تختلف بين اليومين والثلاثة أيام إلى قبور الشهداء بأحد، فتصلي هناك وتدعو[٤] وتبكي حتى ماتت.

مسألة:

قال في «الجوهر المنظم»: زيارة مشهد السيد حمزة ـ رضي الله تعالى

---

(١) جميع هذه الآثار المذكورة من القبة، والضريح، والتجصيص، قد أزيلت لعدم مطابقتها للنصوص الشرعية، والقبر الآن في ساحة مكشوفة، وعليه سور بارتفاع ثلاثة أمتار تقريباً، وله باب ونوافذ حيث يقف الزوار، وإلى جانب القبر قبران آخران.

(٢) الأشرف قايتباي: (٨٥١/ ٩٥١هـ) ملك الديار المصرية، تعرضت الديار المصرية في عهده لبداية محاولة الدولة العثمانية غزو البلاد العربية، فلم يتمكن من نجدة الأندلس من الأفرنج. له آثار كثيرة في البلاد الإسلامية، ولا سيما الحرمين الشريفين، فقد قام بإعادة عمارة المسجد النبوي الشريف بعد الحريق الثاني، وكذا المسجد الحرام بالإضافة إلى ذلك، فهنالك مدارس وأربطة وغير ذلك في مكة والمدينة والشام ومصر. نزهة الناظرين، تحقيق الأستاذ: أحمد سعيد بن سلم.

(٣) ذلك في عهد المؤلف، وأما الآن فلم يبق شيء من ذلك.

(٤) فتصلي لله، وتدعوه لأصحاب القبور، وتبكي حزناً على أبيها؛ لأنه من المعلوم من سيرتها ـ رضي الله عنها ـ اشتد حزنها بعد موت أبيها.

عنه ـ عم الرسول ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ في يوم الخميس؛ لأن الموتى يزيد علمهم بزوارهم يوم الجمعة، ويوماً قبله، ويوماً بعده، ولما كان يوم السبت لزيارة مسجد قباء ويوماً الجمعة يوم التبكير، تعين لزيارة المشهد الشريف يوم الخميس، وينبغي أن يسلم على ابن أخيه عبد الله بن جحش[1] ـ رضي الله تعالى عنه ـ ومصعب بن عمير[2] ـ رضي الله تعالى عنه ـ لأنهما على قول هنالك.

فائدة:

قال الزركشي: ينبغي أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم تربة السيد حمزة ـ رضي الله تعالى عنه ـ المأخوذة من المسيل الذي به مصرعه لإطباق السلف والخلف على نقله للتداوي من الصداع[3] كذا في «الجوهر المنظم» وهذا مبني على أن المدينة حرم كما هو مذهبه.

حمزة بن عبد المطلب:

وحمزة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أحد أعمام سيد المرسلين ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وأخوه من الرضاعة، وأسن منه بسنتين. قيل: وأفضلهم لحديث: «الشهيد يوم القيامة حمزة ـ رضي الله عنه ـ». وفي رواية: «سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب»

---

(١) عبد الله بن جحش: صحابي، قديم الإسلام، هاجر الهجرتين، وصهر إليه النبي، واستشهد يوم أحد، الأعلام (ج٤/ ص٧٦).

(٢) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، أسلم في مكة شاباً، وبعثه الرسول ليعلم أهل المدينة القرآن قبل الهجرة، وكان يحمل راية المسلمين يوم أحد، قتل بها. الأعلام (ص٢٤٨/ ج٧).

(٣) كانت هذه العقائد منتشرة، وأما الآن فإنها أصبحت غير مقبولة نظراً لانتشار العلم، واستغناء الناس عن ذلك للتطبب بالأدوية المشروعة.

ـ رضي الله تعالى عنه ـ ولحديث: «خير أعمامي حمزة» رضي الله تعالى عنه.

وعن السدي ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾[1] أنها نزلت في حمزة ـ رضي الله تعالى عنه ـ. وجاء: أن حمزة ـ رضي الله تعالى عنه ـ مكتوب في أهل السموات السبع: أسد الله تعالى، وأسد رسوله ﷺ.

وقد اختلف في عدة أعمام النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ فقيل: عشرة، وقيل: تسعة عشر. وأما عماته: فست، ويكنى حمزة ـ رضي الله تعالى عنه بأبي يعلى، وأبي عمارة، وهما أبناؤه، وأولاده خمس، ولم يعقب إلا من يعلى، فإنه ولد له خمسة رجال، لكنهم لم يعقبوا، وانقطع نسل حمزة. وكانت وفاته سنة ثلاث أو أربع[2] وله سبع وخمسون. ولما شهد النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ حمزة اشتد وجده عليه الصلاة والسلام، وقال: «لئن ظفرت لأمثلن بسبعين منهم» فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[3] فقال ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «بل نصبر» وكفّر عن يمينه.

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «لولا أن تجد صفية لتركته حتى يحشر في بطون الطير والسباع»[4].

وصفية هي شقيقته، وهي أم الزبير بن العوام ـ رضي الله تعالى عنها

---

(١) سورة القصص الآية رقم (٦١).

(٢) المعروف: أن غزوة أحد كانت في شعبان في السنة الثانية من الهجرة، ولذا لا داعي للتردد في ذلك.

(٣) سورة النحل الآية رقم (١٢٦ ـ ١٢٧).

(٤) انظر الملحق.

ـ ولما عاد إلى المدينة، وسمع النواح على قتلى الأنصار، قال: «لكن حمزة لابواكي له» فسمع الأنصار، فأمروا نساءهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم، ففعلن ذلك. قال الواقدي:[1] لم يزلن يبدين بالندب لحمزة حتى الآن[2].

وقال كعب بن مالك[3] يرثيه وما أحلى ما قال:

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل

على أسد الإله غداة قالوا ... لحمزة ذاكم الرجل القتيل

أصيب المسلمون به جميعاً ... هنالك وقد أصيب به الرسول

أبا يعلى لك الأركان هدت ... وأنت الماجد البر الوصول

عليك سلام ربك في جنان ... يخالطها نعيم لا يزول

مساجد أحد:

١ ـ مسجد الفسح:

وأما المساجد التي كانت هنالك، فمنها: مسجد الفسح[4] هو لاصق بأحد على يمين الذاهب في الشعب للمهراس، نزلت فيه آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[5].

---

(١) الواقدي: هو محمد بن عمر الواقدي: (١٣٠/٢٠٧هـ) من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، اتصل بالبرامكة أيام الرشيد، من كتبه «المغازي النبوية» و«فتح إفريقية» و«فتح العجم» وغيرها من كتب الفتوحات والتواريخ. الأعلام (ج٦/ ص٣١١).

(٢) في أيام المؤلف.

(٣) كعب بن مالك الأنصاري، صحابي شاعر، مخضرم، من شعراء النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ومات سنة خمسين. الأعلام (ج٥/ ص٢٢٨).

(٤) وهو الآن عبارة عن حظيرة مهدمة؛ لقلة الاستعمال، وبعده عن السكان.

(٥) سورة المجادلة الآية (١١).

٢ ـ مسجد جبل الرماة:

ومسجد جبل الرماة طعن فيه حمزة ـ رضي الله تعالى عنه ـ وهو في شرقي الجبل قريب من الذي قبله، ويسمى المصرع؛ لأن حمزة ـ رضي الله عنه ـ صرع به وصلى به عليه وعلى آله الصلاة والسلام الصبح، أو على حمزة ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

٣ ـ مسجد السافلة:

في شرقي الطريق إلى السيد حمزة ـ رضي الله عنه ـ بين النخيل، طوله ثمانية أذرع، ويقال له: مسجد أبي ذر الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ صلى فيه النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ويعرف هذا الوادي بوادي الشظاة بفتح الشين المعجمة. وفي «الوفاء»: الشظاة اسم لوادي قنا[١] أو لما يلي السد من الوادي، وسيل وادي قناة يأتي من وج بالطائف، ومصبه بحر القلزم[٢] من ناحية أكدا؟ وبالجملة فإن هذا الوادي من أطيب الأودية وأغذاها، وفيه يحصل لمن حله كمال المسرة، وصفاء الخاطر.

وسيله: من أعظم السيول وأصفاها[٣]، وإذا انقطع بقيت منه غدران من أحسنها الغدير الكبير، وهو شمالي المصرع، ربما أقام فيه الماء الغزير نحو الشهرين صافياً مفرحاً، وإذا صادف أيام الزيارة كان السرور به أتم، والانتفاع به أعم.

وما أصدق ما قال:

لله يـــوم في الشظـــاء قضيتـــه حلـف الـزمـان بمثلـه لا يغلـط

---

(١) وهذا أقرب للصحة.

(٢) الاسم القديم للبحر الأحمر.

(٣) لأن ماءه يأتي من يتسرب من تحت الحرة من العاقول، وذلك بمثابة تصفية له. وفي السنين الأخيرة كانت هذه المياه تتدفق في مجرى الوادي إذا امتلأ حوض العاقول، فيتسرب الماء صافياً بارداً، يشرب منه الناس.

الطير يقـرأ والغـديـر صحيفـه   والريح يكتب والسحاب ينقط

وقال آخر:

غـديـر كـالحسـام لـه صقـال   ولكـــن لمـــرأى فيـــه مسرة
رأيـت بـه البـدور تجـود عـومـاً   كـأنهـم الكـواكـب في المجـرة

وقال آخر:

يـا حبـذا زمـن الشطـا وحبـذا   بفضـائـه عيـش لنـا ملـذوذ
ولسيـد الشهـداء حمـزة مشهـد   حكـم السرور بـه لـه تنفيـذ

ومن محاسن الوادي: الصهريج الذي ابتناه سنان باشا ـ رحمه الله تعالى ـ ومساحته ثمانية عشر ذراعاً في عشرين بذراع الكرباس[1] وهو يمتلىء من السيل إذا كان قوياً، وإلا فمن شرائع[2] الجبل، فيحصل به مدد كبير للزوار والبادية[3] وعلى ظهر الصهريج سقف من عقود، وطواجن بحيث يحصل به كمال المنفعة للزائرين، والواردين.

وما أجود ما قال:

لله آثـــار بطيبـــة إن بـــدت   لاح السرور وفـاح نشر عـاطـر
مـا زرتهـا إلا وزالـت كـربتـي   وهما على جدبي سحاب ماطر[4]

□ □ □

---

(١) لعله يريد: ذراع العمل المعروف بالمدينة بالذراع المعماري، والذي طوله (٧٥) سم.
(٢) الشرائع: هي الشعاب الصغيرة المنحدرة من الجبل: جبل أحد.
(٣) المدد: أي: الإمداد بالماء للاستفادة منه للشرب، وسقي الماشية.
(٤) لزيادة الإيضاح بما يتصل بالتعريف بسيد الشهداء انظر الملحق رقم (٤).

فصل

في ذكر الصدقة والسوافل، وآبار العريض الكثيرة النوافل

- الصدقة
- مليحة والجزع
- يثرب
- مسجد الإجابة
- العريض

فصل: في ذكر الصدقة والسوافل، وآبار العريض الكثيرة النوافل

منــازل طيبــة فيهــا لقلبــي منــازه لم تــزل فيهــا الأوانــس
فمــن لي أن يكــون بهــا مقيمــاً عيــوني تجتلي فيهــا العــرائــس

١ ـ الصدقــة:

الصدقة: حدائق ونخيل خارج المدينة في الجهة الشمالية، منها: أملاك، ومنها: أوقاف، وهو جزع متسع الأرجاء والرحاب.

وما ألطف ما قال:

جـزع فسيـح الـرحـاب منتـزه يـروق بـالأنـس وإليهـا الحـدقـة
لا تنكـروا رغبتـي إليهـا فقـد أمسيت أهوى محاسن الصدقة

٢ ـ مليحة، والجزع: الذي يتصل بمسجد الإجابة يقال له: مليحة. وعليه أنشد لنفسه السراج عمر الأشهل الأنصاري، وما أحسن ما قال:

مـــا منحـــة إلا وفي طيهـــا لكــل عبــد مــؤمــن منحــه
الحمـــد لله وشكـــر لــــه المنبـــت السكـــر في ملحــه

٣ ـ يثرب:

والجزع الذي يلي الصدقة من جانب الشمال، والمغرب بين قناة والجرف، يقال له: يثرب بالثاء المثلثة وكسر الراء، وإطلاقه على المدينة المنورة من قبيل إطلاق الجزء على الكل، والله أعلم.

قال الشاعر:

وهـذا رسـول الله فـارق مكـة   على جفوة لم ترضها فيه يثرب

وليس هو المذكور في قوله:

وعدت وكان الخلف منك سجية   مـواعيـد عـرقـوب أخـاه بيثـرب

لأن المجد قال: أجمعوا فيه على تثنية التاء، وفتح الراء، وهي مدينة بحضرموت، وقيل: باليمامة[1] وقيل غير ذلك.

وأنشدوا فيه، وما أحسن إنشادهم، وما قالوا:

يابن الكرام أعد في الدهر فكر   فتى له بشطريه تحويل وتقلب

لا تعتبـن على عـرقـوب واحـدة   فكل من فوقها في الوعد عرقوب

وحكى ابن حجر في «الجوهر المنظم»: حديث «رأيت دار هجرتكم بسبخة بين ظهراني حرتين، إما أن تكون هجر أو يثرب».

---

(١) وفي الرواية تعسف، لم يعرف في القديم، أو في الوقت الحاضر إن هناك قرية باسم يثرب في اليمامة أو حضرموت. وبيت الشعر المذكور مشهور إلى درجة أنه جرى على ألسن الناس مضرب المثل، ولم يتعرض أحد ممن ذكره أن هناك قرية في أي جهة أخرى، والاسم معروف في المدينة، وورد في القرآن الكريم، ووجوده قرب المدينة لا يغض من قدرها، وإن خلف الوعد ليس من صفات أهلها قديماً وحديثاً، ولا سيما بعد أن طابت بنزول سيد الخلق عليه وعلى آله الصلاة والسلام بها.

وأما عرقوب فيكفيه ما اشتهر عنه بخلف الوعد، وقد تمثل به كثير من الشعراء مثل القائل:

كـانـت مـواعيـد عـرقـوب لهـا مثـلاً   ومـا مـواعيـدهـا إلا الأبـاطيـل

وغير ذلك كثير منتشر في كتب الأدب، حتى أصبح خلف عرقوب مقارناً لندم الكسعي، حيث تمثل به الشعراء، ومنه قول القائل:

نـــدمـــت نـــدامـــة الكسعـــي حين   غـــدت منـــه مطلقـــة نـــوار

وغير ذلك.

وفي الصحيحين أنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام قال: «هي يثرب».

قال أبو عبيدة: يثرب: اسم أرض ومدينة النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ في ناحية منها.

قال ابن زبالة: كانت يثرب أم قرى المدينة، وهي ما بين قناة إلى طرف قناة إلى طرف الجرف، وبين المال الذي يقال له البرني إلى زبالة.

فـــائدة:

قيل: إن تبعاً لما قدم المدينة بعث رائده ينظر إلى مراعي المدينة، فأتاه، فقال: أما قناة فحب ولا تبن، وأما الحراب فلا حب ولا تبن، وأما الجرف فالحب والتبن. والمختار اليوم للزرع عند أهل المدينة أرض العريض.

قصـــة:

قيل: إن العماليق[1] سكنت مكة والمدينة، وكانت الحجاز أشجر بلاد الله تعالى، وأطهره ماء، ثم إنها عتت، فبعث الله موسى عليه السلام إليهم، وبعث موسى إليهم جنداً من بني إسرائيل فقتلوهم بالحجاز.

ويُروى أن ضبعاً رؤيت مع أولادها رابضة في هجاج عين رجل من العماليق.

وفي تاريخ المقريزي: يحكى أن سبعة عشر رجلاً استظلت في خف رجل من بني إسرائيل. وكان يمضي في ذلك الزمان أربعمئة سنة، ولم

---

(١) موضوع العماليق في تاريخ الحجاز وفي التاريخ العام لا مجال لنكرانه، ولكن القصص التي تورد عند ذكرهم يعتريها كثير من الخيال، بل والخرافة، وبالنسبة لخبر تبع فهو يذكر عند التحدث عن دار أبي أيوب الأنصاري في المدينة، وأنه ابتناها لنزول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعض الأخبار القديمة تنقصها الأدلة والأسانيد.

يسمع بجنازة كذا في «الدر الثمين».

مسجد الإجابة:

وأما مسجد الإجابة فهو لبني معاوية في شمالي البقيع، على يسار السالك إلى العريض وسط تلول، وفي مسلم أنه ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ركع فيه ركعتين، وصلينا معه، فدعا ربه طويلاً، ثم التفت إلينا، فقال: سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة. سألته: ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها. انتهى. وقد علمت أنهم مخاطبون في حال هبوطهم بقوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ﴾[1].

(وفي بعض الأخبار: لا سلامة من الناس، ولا غنى عنهم، ولا شفاعة من الموت)[2].

٤ ـ العريض:

وأما العريض بضم أوله وكسر ثانيه: مصغر العِرض بالكسر: فهي قرية على أربعة أميال من المدينة، كذا في «العقد النبوي»[3]. وهي في الجهة الشرقية، وتشتمل على آبار ومزارع شتى، وكان بها نخل، ولم يبق اليوم منه شيء. ومن دون أحسنها: البحيرة الكبرى، وبحيرة سعد، وذات الحصن.

وفي شرقيه بئر مطوية قطرها ذراعان، والهندية وهي معدودة لزراعة الحنطة، والشعير، فإذا كانت أيام الخريف فيه الزمردة الخضراء؛ لاتصال

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٣٦).

(٢) انفردت به النسخة (ب) (ج) وذكر في مكان آخر من النسخة (أ).

(٣) ومؤلفه: هو السيد شيخ بن عبد الله العيدروس الحضرمي، سبق التعريف به.

مزارعها وحولها آبار قديمة لم يبق منها إلا الرسوم، ومزارع صارت منابت الحمض[١] لهجرها، ولكمال الضعف في أهلها[٢]. وهناك آطام قديمة[٣] زعم بعضهم أنها تشتمل على كنوز، ومطالب.

ومن أغرب ما يُحكى في هذا الباب: أن رجلاً من القبط جاء إلى عبد العزيز بن مروان عامل مصر، فقال: إن في مكان كذا وكذا كنزاً، ومصداق ذلك: أن توجد بلاطة من مرمر خلفها باب من نحاس، خلفه عمود من ذهب، فوقه ديك من ذهب، له عينان من الياقوت الأحمر، وجناحان من المرجان، والزمرد، فلما سمع ذلك منه عبد العزيز بعث معه ألف رجل، فلما حفروا وظهر لهم الديك ظهرت قناطر معقودة، ولاحت منها تماثيل وأشخاص من ذهب، فأخبر بذلك فحضر، ونزل بعض الرجال، فلما وضع قدمه داخل الباب نزل عليه سيفان تركاه قطعاً، وصفر الديك، فسمعت أصوات مزعجة، فهلك ممن حضر ثلاثة آلاف، فطموهم بالرمال في تلك الحفرة، فكانت قبراً لهم، ورجع من بقي مقطوع الرجاء[٤] وقال لسان حاله:

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغرركم مني ابتسام ... فقولي مضحك والفعل مبكي

□ □ □

---

(١) الحمض: شجر ترعاه الإبل.

(٢) وفي الوقت الحاضر تحولت المنطقة إلى قرية، ولكن لا زال بها بعض المزارع، وهي على يمين الذاهب إلى المطار بالطريق القديم.

(٣) الآطام: هي حصون، وهي في تاريخ المدينة كثيرة، ولعل اسم الأطم عند أهل المدينة بديل لاسم الحصن عند غيرهم.

(٤) أورد المؤلف هذه الحكاية في موضع آخر من الكتاب، والغالب على الظن أنها خرافة، وإلا فما علاقة عبد العزيز بن مروان، وهو أمير مصر بالكنز الذي يوجد في أحد آطام المدينة.

فصل

في ذكر بقيع الغرقد ومعاهده ومزاراته ومشاهده

- بقيع الغرقد
- زيارة البقيع
- القبور المعروفة في البقيع
- مسجد البقيع

فصل: في ذكر بقيع الغرقد، ومعاهده، ومزاراته، ومشاهده

تعجبت من أمر البقيع وقد غدا ... على وحشة الموتى له مهجتي تصبو
فـألفيتـه مـأوى الأحبـة كلهـم ... ومستوطن الأحباب يصبو له القلب

بقيع الغرقد:

بقيع الغرقد بالغين المعجمة: كبار العوسج[1] كان نابتاً به فقطع، واتخذ مقبرة. ومن كلام عمرو بن النعمان يرثي من قتل من قومه؛ الذين أغلقوا عليهم حديقة، واقتتلوا حتى لم يبق منهم أحد، فقال، وما أحسن ما قال:

خلت الديار فسدت غير مسودة ... ومـن العنـاء تفـردي بـالسّؤدد
أيـن الـذيـن عهـدتهـم في غبطـة ... بين العقيـق إلى بقيـع الغـرقـد
قـوم هـم سفكـوا دمـاء سراتهـم ... بعض لبعض فعل من لم يرشد

فائدة:

اشتهر على ألسنة كثيرين بفتح السين في سؤدد، وليس إلا الضم مع فتح الدال أو ضمها مع الهمزة وعدمه. والبقيع: بالباء الموحدة: كل موضع فيه أدوم الشجر من ضروب شتى.

---

(١) العوسج: شجر قصير، وله شوك منحنٍ، يمنع الماشية من رعيه، فقيل في المثل: لا تكن كعوسجة، يضرب لمن لا ينقاد إلى الحق، بل يصر على ما يريد.

رُوي عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «من دفن في مقبرتنا هذه شفعنا له، أو شهدنا له»[1].

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها»[2].

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «من مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»[3].

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم»[4].

وعن الحسن أنه قال: (أتى النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ على أهل بقيع الغرقد فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور ثلاثاً لو تعلمون ما الذي نجاكم الله تعالى منه مما هو كائن بعدكم» ثم التفت فقال: «هؤلاء خير منكم». قالوا يا رسول الله! إنما هم إخواننا آمنا كما آمنوا، وأنفقنا كما أنفقوا، وجاهدنا كما جاهدوا، وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر، فقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «إن هؤلاء قد مضوا ولم يأكلوا من أجورهم شيئاً، وقد أكلتم من أجوركم، ولا أدري كيف تصنعون بعدي»)[5].

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: أنه خرج إلى المقبرة فقال: «وددت أني قد رأيت إخواننا، قالوا: يا رسول الله! ألسنا إخوانك؟

---

(١) رواه عمر بن شبة في تاريخه.
(٢) رواه أحمد والترمذي وصححاه. فضائل المدينة لملا خاطر (٣/ ص٢٧٤).
(٣) رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد حسن. المرجع السابق.
(٤) موضع هذا الدعاء بعد التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة.
(٥) انفردت بها النسخة (أ) (ج).

قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعدي وأنا فرطهم على الحوض» قالوا: يا رسول الله! كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: «أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى، قال: «إنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، وليُذاذنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم: ألا هلم، ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا. فأقول: فسحقاً فسحقاً فسحقاً»[1].

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، كأن وجوههم القمر ليلة البدر» فقام رجل وقال: يا رسول الله! وأنا منهم؟ فقال: «وأنت منهم». فقام آخر وقال: يا رسول الله! وأنا منهم، فقال ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «سبقك بها عكاشة»[2] وقيل: وكأنه كان منافقاً فلم يقل له: وأنت. وفيه أدب كبير.

وفيه قال:

إذا أمسيت في قاع البقيع ... مجاوراً رحمة الباري السميع
فهنئوني بما لاقيت إني ... أراني في حمى حرز منيع

وقال آخر:

إذا أمسى فراشي من تراب ... وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنئوني أصحابي وقولوا ... لك البشرى قدمت على كريم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطيالسي وابن شبة من طريق الطبراني في الكبير، فضائل المدينة (ج٣/ ص٢٩٠). وعكاشة: هو عكاشة بن محصن الأسدي: صحابي جليل، من أمراء السرايا، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وقتل في حروب الردة سنة (١٢هـ). الأعلام (ج٤/ ص٢٤٤).

وأنشد لنفسه الشيخ جمال الدين العصامي[1]:

يا أهل دار المعلاة والبقيع سقت ... ربوعكم سحب منهلة الديم

لو أن روحي في كفي لزرتكم ... سعياً على الرأس لا سعياً على القدم

فـائدة:

قال الملا علي القاري[2] في «شرح لباب المناسك»: المعلاة: بفتح الميم واللام، ضد المسفلة، واشتهر بين العامة بضم الميم وتشديد اللام المفتوحة، وله وجه في قواعد اللغة العربية، وهو أفضل مقابر المسلمين بعد البقيع بالمدينة. وعن أبي مويهبة[3] مولى رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ قال: بعثني النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ من جوف الليل، فقال: «أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي» فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل القبور، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، والآخرة أشد من الأولى» ثم أقبل علي فقال: «يا أبا مويهبة! إني قد أوتيت خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة» فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فقال: «لا والله! لقد اخترت لقاء ربي والجنة» ثم استغفر الله تعالى لأهل

---

(١) جمال الدين العصامي: هو عبد الملك بن حسن المكي العصامي: (٤٩/ ١١١١هـ) مؤرخ من أهل مكة مولداً ووفاة، له كتب منها: «قيد الأوابد من الفوائد والعوائد» «صمت النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي» وغيرها. الأعلام (ج٤/ ص١٥٧).

(٢) الملا علي القاري: ترجم له في مكان آخر.

(٣) أبي مويهبة: أبو مويهبة: مولى رسول الله، له صحبة، يقال: أبو موهوبة شهد غزوة المريسيع. الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج (٢/ ٨٢٧).

البقيع، ثم انصرف، فبدأ به وجعه الذي قبض فيه صلى الله عليه وآله وأصحابه أجمعين.

موعظة:

في كتاب «مباهج التوسل»: كان عسكر سليمان بن داود عليهما السلام مئة فرسخ، خمسة وعشرون للإنس، ومثلها للجن، ومثلها للطير، ومثلها للوحش. وكان حرسه ستمئة ألف، وكان ينام بين الفقراء في خلقان مرقعة، ولقد: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾[1] ففعل له ذلك، ثم اضمحل حتى كأن لم يكن، والله تعالى أعلم.

قال بعضهم:

إذا لم تملك الدنيا جميعاً كما تختار فاتركها جميعا

حكاية:

مر داود عليه السلام بمفازة، فرأى فيها حجراً على رأس قبر، مكتوب فيه: عشت ألف سنة، وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش، وافتضضت ألف بكر، ثم صرت إلى ما ترى من سكان الثرى.

وقال آخر:

فإن كنت لا تدري متى الموت فاعلمن بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر

وقال غيره:

الموت بحر يهاب الناس مورده وكل يوم له من كأسه جُرع
لا صحة المرء في الدنيا تأخره ولا يقدم يوماً موته الوجع
وكل يوم علينا في فجائعه طيراً تحوم فلا تدري بمن تقع

---

(١) سورة ص الآية رقم (٣٥).

وقال:

إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذاتها يا من يُعد عليه اليوم والنفس
لا يرحم الموت ذا جاه لعزته ولا الذي كان منه العلم يقتبس

وقال:

المرء يطلب والمنية تطلبه ويد الزمان تديره وتقلبه
أي امرىء إلا عليه من البلى في كل ناحية رقيب يرقبه
من لم يزل متعجباً من حادث تأتي به الأيام طال تعجبه

وقال آخر:

أمل بقربه الرجاء إلى المنى كم تسخر الآجال بالآمال
كذبتهم الأطماع حتى إنهم أيسوا بها إذ واعدت بمحال

وقال آخر:

وما الدهر إلا ساعة ثم تنقضي بما كان فيها من نعيم ومن خفض
فهون ولا تحفل بحال مساءة ولا فرحة تأتي فكلتاهما تمضي

وقال آخر:

ما الدهر إلا ليلة ويوم ويقظة بينهما ونوم
يموت قوم ويعيش قوم والدهر قاض ما عليه لوم

أنشد لنفسه ابن المعتز[1]:

وسكان دار لا تزاور بينهم على قرب بعض في التجاور من بعض

---

(١) ابن المعتز: عبد الله بن المعتز (٢٤٧/٢٩٦هـ) ابن الخلائف العباسي، شاعر البديع المبدع، خليفة ليوم وليلة، ولد في بغداد، وله من الكتب «زهر الرياض» و«كتاب البديع» و«الآداب» وغيرها الكثير الكثير. الأعلام (ج٤/١١٨).

كأن خواتيماً من الطين فوقهم فليس لها حتى القيامة من فض
تساق بنو الدنيا إلى الحتف عنوةً ولا يشعر الباقي بحالة من يمضي

نكتة:

وقال الحسن البصري:[(١)] رحمه الله تعالى: يا بن آدم! إنما أنت أيام مجموعة، فإذا ذهب يوم منها ذهب بعضك.

وقال آخر: ما انقضت ساعة من أمسك إلا ببضعه من نفسك.

وأنشد لنفسه الوزير ابن مقلة[(٢)]:

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من البعض قريب

وأنشد لنفسه ابن الشبل البغدادي[(٣)]:

صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نفتدي نموت ونحيا أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من عذر دنيا فلا كانت ولا كان أخذها والعطاء
صلف تحت رعد وسراب كرعت منه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فمهما يهب الصباح يسترد المساء

---

(١) الحسن البصري: (٢١/ ١١٠هـ) تابعي، إمام أهل البصرة، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد في المدينة، وشب في كنف الإمام علي ابن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ورضي الله عنه ـ. الأعلام (ج٢/ ص٢٢٦).

(٢) الوزير ابن مقلة: محمد بن علي بن الحسين بن مقلة (٢٧٢/ ٣٢٨هـ) وزير من الشعراء والأدباء، يضرب بحسن خطه المثل، ولد ببغداد، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس، ثم استوزره المقتدر العباسي سنة (٣١٦هـ) وتعرض لكثير من فتن الوزراء في ذلك الوقت حتى مات. الأعلام (ج٦/ ص٢٧٣).

(٣) هو محسن بن الحسين، ابن الشبل البغدادي: شاعر حكيم، بغدادي المولد والوفاة، أديب، فيلسوف، له ديوان شعر وغيره من الكتب. توفي سنة (٤٧٣هـ). الأعلام (ج٦/ ص١٠٠).

ليت شعري حلم تمر به الأيام أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يكون في عالم الكون فما للنفوس منه اتقاء
وقليلاً ما تصحب المهجة الـ جسم ففيم الشقاء وفيم العناء؟!
قبح الله لذة لشقاء نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فإيجادنا علينا بلاء

وقال آخر:

نسير إلى الآجال في كل ساعة وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقاً كأنه إذا ما تخطته الأماني باطل

وقال عمارة:

وما هذه الأيام إلا صحائف نؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق
وأعجب من ذا أن دائرة المنى توسعها الآمال والعمر ضيق

وقال آخر:

وما هذه الأيام إلا مراحل لأن بها داء المنية قاصد
وأعجب شيء إن تأملت أنها منازل تطوى والمسافر قاعد[1]

وقال آخر:

نصير تراباً كأن لم نكن وعاة العلوم رعاة الأمم
فتباً لعيش قصير الدوام ووجدان حظ قرين العدم

وقال آخر:

سل الأيام ما فعلت بكسرى وقيصر والقصور وساكنيها
أما استدعتهم للبين طراً ولم تدع الحليم ولا السفيها

---

(١) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

وقال غيره:

سل الأيام عن أمم تقضت ... تخبرك المعالم والرسوم
ولا تطلب بدار الذل عزاً ... فدارك ليس فيها ما تروم

وقال: وجد مكتوباً على لوح قبر:

صاحب بهم حادثات الدهور فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا
تركوا منازل كان العز مفرشها ... واستفرشوا حفراً غبراً وقيعانا

نكتة:

قال الحكيم بطليموس: لا يهولنّكم أمر الموت فإن مرارته في خوفه.

أخذ المتنبي هذا فقال منشداً، وما أحلى ما قال:

الأسى قبل فرقة الروح عجز ... والأسى لا يكون بعد الفراق

وقال بعضهم: لا تنكر فضيلة الموت، فإنه وسيلة إلى فراقك ما تكره، وإن كان سبباً لفراقك ما تحب، ومن القواعد الفقهية: دفع المضار مقدم على جلب المصالح، على أنه لا طريق إلا الجادة، ولا مدح إلا على الإجادة.

وقال الراجز:

جزى الله عنا الموت خيراً فإنه ... أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الردى ... ويدني من الدار التي هي أشرف

وقال آخر:

قلت إذا مدحوا الحياة وبالغوا ... في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كل معاشر لا ينصف

قال في كتاب «تنبيه الغافلين»: من أكثر ذكر الموت أكرم بتعجيل التوبة والقناعة بالفوت، والنشاط إلى العبادة، ومن نسي الموت: عوقب بتسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

تنبيه:

قال حاتم الأصم[1]: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ، والعافية لا يعرف قدرها إلا أهل البلاء، والصحة لا يعرف قدرها إلا المرضى، والحياة لا يعرف قدرها إلا الموتى.

قال شقيق بن إبراهيم[2]: وافقني الناس في أربعة قولاً، وخالفوني فيها فعلاً، قالوا: إن الله سبحانه وتعالى كفيل بأرزاقنا، ولا تطمئن قلوبهم إلا مع شيء من الدنيا، وقالوا: نحن عبيد الله، ويعملون عمل الأحرار، وقالوا: الآخرة خير من الأولى، وهم يجمعون للدنيا، وقالوا: لا بد من الموت، وهم يعملون أعمال قوم لا يموتون.

وعنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد وأعسر».

قال سعيد بن المسيب[3]: ليس شيء قبل الموت إلا والموت أشد منه، وليس شيء بعد الموت إلا الموت أهون منه.

وقال آخر: من أراد أن يعلم حال الدنيا بعده فلينظر إليها بعد غيره.

من فاته من عقله وعظ ... هيهات أن ينفعه اللفظ

---

(١) حاتم الأصم: حاتم بن عنوان المعروف بالأصم: زاهد اشتهر بالورع والتقشف، له كلام مدون في الزهد والحكم، من أهل بلخ، زار بغداد، واجتمع بأحمد بن حنبل، وأخباره كثيرة في كتب الوعظ، توفي عام (٢٣٧هـ). الأعلام (ج٢/ ص١٥٢).

(٢) شقيق بن إبراهيم: شقيق بن إبراهيم البلخي: زاهد صوفي، من مشاهير مشائخ خراسان، وكان من كبار المجاهدين، استشهد في غزوة كولان بما وراء النهر سنة (١٩٤هـ). الأعلام (ج٣/ ص١٧١).

(٣) سعيد بن المسيب: سبقت الترجمة له.

مـــا تنفـــع العين إذا لم يكـــن لقلـــب مـــن يـــرنـــو بهـــا لحـــظ

وما أصدق ما قال:

لـــو لم يكـــن مـــوت لكـــانـــت هموم الدهر تنفي رغبة الراغب

قـــد أنـــذر الـــوعـــظ أسمـــاعنـــا مـــن كـــل مـــا يـــذكـــر في جـــانـــب

وقال الأرجاني:

أسف على ما مضى الزمان وحسرة في الحال منه وخشية في المقبل

مـــا إن وصلـــت إلى زمـــان آخـــر إلا بكيـــت على الـــزمـــان الأول

وقال غيره:

طـــول حيـــاة مـــا بهـــا طـــائـــل عـــدمـــت فيهـــا كـــل مـــا يُشتهـــى

أصبحت مثل الطفل في ضعفه تشـــــابـــــه المبـــــدأ والمنتهـــــى

ولم ألم سمعـــــي إذا خـــــانـنـــــي إن الثمـــــانين وبلغتهـــــا

وقال آخر:

حملت العصا لا لضعف أوجب حملها عليّ ولا أني انحنيت من الكبر

ولكننـــي ألـــزمـــت نفسي حملهـــا لأعلمهـــا أني المقيـــم على السفـــر

وما أحسن ما قال:

عصيت الهوى طفلاً صغيراً فعندما أتـــاني زمـــاني بـــالمشيـــب وبـــالكبر

أطعت الهوى عكس القضية ليتني خلقت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

وقال ابن المعتز:

ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمـــرك أيـــام تعـــدّ قـــلائـــل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الرأس نازل؟!

وقال غيره:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه عبراً، وفينـــا الصـــد والإعـــراض

ننسى الممات وليس نجري ذكره فينـــا فتـــذكـــرنـــا بـــه الأمـــراض

وقال آخر:

خليليّ ولى العمر منا ولم نتب ... وننوي فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني قصوراً مشيدة ... وأعمارنا منا تهد وما تبنى؟!

نكتة:

مررت في رحلتي ببعض قرى الروم، فرأيت قبراً عليه بنيان، قد أظهرت فيه الحكمة زخارف صنعة البناء، وعلى رأسه مكتوب:

وما ينفع الإنسان بنيان قبره ... إذا كان فيه جسمه يتهدم
(يمسي ويصبح والأشواق تغره ... ولايطمع في الدنيا وليس منهدم)[1]

موعظة:

نظر سليمان بن عبد الملك[2] إلى وجهه في المرآة فقال: أنا الملك الشاب، فقالت له إحدى جواريه:

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... قد علمناه غير أنك فاني
أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

وقال ابن غانم:

أنوح على ذهاب العمر مني ... وحقي أن أنوح وأن أنادي
وأندب كلما عاينت ركباً ... حدا بهم لو شك البين حادي
يعنفني العذول إذ رآني ... وقد ألبست أثواب الحداد
فقلت له: اتعظ بلسان حالي ... فإني قد نصحتك باجتهاد
وما من شاهد في الكون إلا ... عليه من شهود الغيب بادي
فكم من رائح فيه وغاد ... ينادي من دنو أو بعاد

---

(١) انفردت بها النسخة (أ).

(٢) سليمان بن عبد الملك: هو رابع ملوك المروانيين الأمويين، حكم بين عامي (٩٦/٩٩هـ). تاريخ الخلفاء (ص٢٤٥) للسيوطي.

لقد أسمعت إذا ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي[١]

وقال غيره:

إذا اشتد شوقي جئت قبرك زائراً أنوح وأبكي لا أراك مجاوبي

فياسكني الغبرا علمتني البكاء وبعدك أنساني جميع مصايبي

لطيفة:

قال الشيخ محيي الدين بن العربي - رحمه الله تعالى - في «كتاب المسامر»: لكل مقام مقال، ولكل حال مجال، أخبرني أحمد بن مسعود بن شداد المقري بالموصل قال: كان لي صاحب يقال له علي الذهاب، وكان يمر بي كل ليلة بعد مضي هزيع من الليل، وأنا بهذه المنظرة على شاطىء دجلة، فينادي: يا زكي! فأقول: لبيك، فيقول وما أحسن ما يقول:

بالله يا ركب الحجاز تحملوا مني تحية مغرم مشتاق

وقفوا على شط الفرات وخبروا (أني رهين جنادل وطباق)[٢]

إني قتيل محاجر الأحداق

(فلم يلبث أن مات فرأيته في منامي، فقلت: يا علي! ما أحسن ما كنت تأتيني به في حياتك كل ليلة، وتنشدني، وأنشدته البيتين، فتبسم، وقال: يا زكي! كيف لو سمعتني كيف أنشدهما اليوم؟! فقلت له: كيف؟ فأنشد:

بالله يا ركب الحجاز تحملوا مني تحية مغرم مشتاق

وقفوا على شط الفرات وخبروا أني رهين جنادل وطباق

---

(١) ذهب هذا البيت مذهب المثل، وأصبح يردد عند اليأس من الإجابة على النداء.

(٢) انفردت بها النسخة (أ) في هذا الموضع، وذكر هذا الشطر من البيت في موضع آخر في النسخة (ب) (ج).

وقال آخر:

قد كان في موت الذين أحبهم ... ذكـرى اللبيـب وعبرة المشتـاق
فاخلع محبة من يموت وخذ بنا ... يا قلب في عشق الجمال الباقي

وقال آخر:

تنزهت عن دار تولي إلى الفناء ... ومـت إلى دار بهـا جنـة المـأوى
وقلـت لتلـك الـدار لما تـركتهـا ... سلام على الفاني فلست له أهوى

زيارة البقيع:

يسن للزائر أن يزور البقيع في كل يوم متطهراً تأسياً به ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ويقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد، اللهم اغفر لنا ولهم).

وأنشد لنفسه الشيخ أبو عبد الله الفيومي ـ عليه رحمة الله ـ مقتبساً على لسان الموتى، ولقد قال:

تـأمـل مـا الـذي كنـا عليـه ... بـأيـام الحيـاة ومـا بقينـا
وقـل لمـا تمـر بنـا سـلام ... عليكـم دار قـوم مـؤمنين

القبور المعروفة في البقيع:

والمعروف المشهور بالبقيع من القبور قبر العباس بن عبد المطلب[1] عم النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وعليه ملبن ساج، وقبر

---

(١) العباس بن عبد المطلب: عم رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ولد قبل الرسول بسنتين، كانت له السقاية، والعمارة، حضر بيعة العقبة قبل أن يسلم، وشهد بدراً مع المشركين مكرهاً، فأسر وافتدى نفسه، ثم أسلم. توفي بالمدينة سنة (٣٢هـ) نزهة الناظرين (ص٣١١) تحقيق أحمد سعيد بن سلم.

الحسن بن علي بن أبي طالب[1] ـ رضي الله عنه ـ وعليه ملبن ساج، ومعه ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين[2]، وأبو جعفر محمد الباقر[3]، وابنه جعفر الصادق[4].

وفي «الجوهر المنظم»: لابن حجر: مشهد الحسن بجنبه أمه فاطمة الزهراء ـ رضي الله تعالى عنهما ـ على الأرجح، وقيل: دفنت في بيتها خلف الحجرة، داخل مقصورتها.

وذكر ابن سعد: أن يزيد بعث برأس الحسين ـ رضي الله تعالى عنه ـ إلى عامله بالمدينة، فكفنه، ودفنه عند قبر أمه فاطمة الزهراء ـ رضي الله تعالى عنهما ـ.

وعن عبد الله بن علي، عن الحسن بن علي ـ رضي الله تعالى عنهما ـ

---

(١) سبط رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وأمه الزهراء سيدة نساء العالمين، ولد في رمضان سنة (٣) من الهجرة، توفي مسموماً سنة (٤٩هـ) ودفن بالبقيع. المرجع السابق.

(٢) علي بن الحسين زين العابدين: وهو أحد الأئمة الاثني عشرية، ومن سادات التابعين، ولد سنة ثمان وثلاثين، وتوفي سنة (٩٤) ودفن بالبقيع. المرجع السابق.

(٣) أبو محمد جعفر الباقر: (٥٧/ ١١٤هـ) ابن زين العابدين، خامس الأئمة الاثني عشرية ناسك، عابد، عالم في علم التفسير، له آراء وأقوال، ولد بالمدينة ودفن بها. المرجع السابق.

(٤) جعفر الصادق: (٨٠/ ١٤٨ هـ) ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، السبط سادس الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، ينسب له المذهب الجعفري، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، أخذ عنه جماعة، منهم: الإمام مالك، وأبو حنيفة، وغيرهما من أئمة المسلمين، ولد بالمدينة، وتوفي بها.

قال: ادفنوني إلى جنب أمي فاطمة بالمقبرة فدفن بها إلى جنبها[1].

قال المسعودي في «مروج الذهب»: إن أبا عبد الله جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ توفي في سنة ثمان وأربعين ومئة، ودفن في البقيع مع أبيه وجده.

قال: وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة مكتوب عليها: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم، ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي، وعلي بن الحسين بن علي، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ. حكاه السيد[2] في «تاريخ الوفاء».

وعلى هذه القبور قبة عالية[3] قديمة البناء، في أول البقيع على يمين الخارج إليه، وعليها بابان يفتحان في كل ليلة جمعة وصبيحتها.

---

(١) المقصود بذلك الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) السيد: أي السمهودي (٨٤٤/ ٩١١) وهو علي بن أحمد السمهودي، ولد بمصر عام ٨٤٤هـ، وتعلم بها، وقطن بالمدينة ناظراً على عمارة المسجد المدني الذي قام بها قايتباي، وله من التأليفات في تاريخ المدينة العدد الكبير، منها «وفاء الوفاء» في مجلدين، و«اقتفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى عليه الصلاة والسلام»، و«الوفاء بأخبار دار المصطفى عليه الصلاة والسلام» وغير ذلك. وفاء الوفاء (ج١/ ص٢) وما بعدها.

(٣) أزيلت جميع القباب والمباني التي كانت في داخل البقيع على القبور في الحملة السعودية الأولى على الحجاز بقيادة سعود الكبير وابنه عبد الله، وذلك يرجع إلى أن مقبرة البقيع مقبرة مسبلة وقفاً على جميع المسلمين، ووضع القباب يحجز هذه الأماكن على من تحتها، ولا يتمكن غيره من الدفن فيها، فهذا أمر يدل على عدم جواز بقاء القباب في هذا النوع من المقابر، والله أعلم.

ويروى: أن الحسن - رضي الله عنه - نقل أباه إلى هذه المقبرة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال بعضهم:

عظام بأكناف البقيع زكية ... لهن علينا حرمة وذمام
لآل رسول الله صلت عليهم ... ملائكة بيض الوجوه كرام

وقال بعضهم:

حب آل النبي حشو حشائي ... قد جرى في مفاصلي وعيوني
أنا والله مغرم بهواهم ... عللوني بذكرهم عللوني

وقال أبو فراس[1]:

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأُسُد أسد الشرى والكرب مضطرم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى هضم
من معشر حبهم فرض وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وقال آخر:

ولائي لآل المصطفى عقد مذهبي ... وقلبي من حب الصحابة مُفعم
وما أنا ممن يستجيز بحبهم ... مذمة أقوام عليهم تقدموا
ولكنني أعطي الفريقين حقهم ... وربي بأحوال البرية أعلم[2]

وقال الشيخ حسن البوريني:

---

(١) هو الحارث بن سعيد الحمداني (٣٢٠/٣٥٧هـ) الأمير الشاعر الفارس، صاحب الذكر المطول في الأدب والشجاعة، له ديوان شعر مطبوع.

(٢) كأن الشاعر قد رمي بالتشيع، وهو بهذا البيت ينفي عن نفسه هذه التهمة.

حسن ظني يا رب فيك رجائي　　في معادي وإن تعاطيت ذنبا
أنا لله والرسول محبٌّ　　وبنيه والمرء مع من أحبا[1]

وقال محيي الدين بن العربي[2]:

نعم حب آل البيت عندي فريضة　　على غيظ أهل البعد يورثني القربا
وما طلب المختار منا جزاه　　على هديه إلا المودة في القربى[3]

وقال غيره:

يا آل بيت النبي من بُذلت　　في حبكم روحه فما غبنا
من جاء عن بيته يحدثكم　　قولوا له البيت والحديث لنا

وقبر إبراهيم[4] ـ ابن رسول الله ﷺ ـ وعليه قبة مشيدة وقبور أزواج النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وهي قبور ظاهرة، ولا يعلم بتحقيق من فيها إلا قبر عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقبر عقيل بن أبي طالب[5] ومعه عبد الله بن جعفر الطيار[6] وقبر صفية

---

(١) وفي هذا البيت اقتباس من حديث «المرء مع من أحب» رواه الإمام أحمد والنسائي.

(٢) سبق الترجمة له.

(٣) يقتبس الشاعر هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ سورة الشورى الآية رقم (٢٣).

(٤) إبراهيم ابن رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: أمه مارية القبطية، ولد سنة ثمان من الهجرة، وتوفي وله من العمر عشرة أشهر، وفي صحيح البخاري: أنه توفي وله سبعة عشر شهراً، أو ثماني عشر شهراً. عنوان النجابة (ص٣٧).

(٥) عقيل بن أبي طالب: هو أخو الإمام علي كرم الله وجهه، ورضي الله عنه، أعلم قريش بتاريخها وأنسابها، فصيح اللسان، شديد الجواب، توفي عام (٦٠هـ). الأعلام (٤/ص٢٢٤).

(٦) عبد الله بن جعفر الطيار: (١/ ٨٠هـ) صحابي جليل، ولد بأرض الحبشة، وهو أول مولود بها من المسلمين، كريم، جواد، وكان أحد أمراء الجيش يوم=

بنت عبد المطلب[١] عمة رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ في تربة أول البقيع، وقبر مالك بن أنس ـ رضي الله عنه[٢] إمام دار الهجرة، وقبر نافع أحد القراء ـ[٣] رحمه الله تعالى ـ وقبر فاطمة بنت أسد[٤] أم علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ورضي الله عنه ـ وعليها قبة في آخر البقيع، وقال ابن حجر: لا أصل له، وإنما هو سعد بن معاذ[٥] رضي الله تعالى عنه ـ وقبر عثمان بن عفان[٦] ثالث الخلفاء

= صفين مع عمه الإمام علي، مات في المدينة. الأعلام (٤/ ٧٦).

(١) صفية بنت عبد المطلب: عمة رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وهي شقيقة حمزة أسد الله، وأم الزبير بن العوام، وقد عرفت بالشجاعة، وقصتها في قتل اليهودي في أثناء حصار المدينة في غزوة الخندق معروفة عمرت طويلاً توفيت سنة عشرين من الهجرة، ودفنت بالبقيع. عنوان النجابة (ص٢١٣).

(٢) الإمام مالك بن أنس الأصبحي: (٩٣/ ١٧٩هـ): إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، ينسب إليه المذهب المالكي، مولده ووفاته في المدينة، وله من الكتب الموطأ، والواعظ، وغير ذلك. الأعلام (٥/ ٢٥٧).

(٣) نافع القارىء: ابن عبد الرحمن المدني، أحد القراء السبعة المشهورين، اشتهر في المدينة، وانتهت إليه رئاسة القراءة، وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة، وتوفي سنة (١٦٩هـ). الأعلام (٨/ ص٥).

(٤) فاطمة بنت أسد، أم علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه وإخوته، هاجرت إلى المدينة، وماتت بها، وروي أن رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ألبسها قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: يا رسول الله! ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه؟ فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، وإنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة. واضطجعت معها ليهون عليها. عنوان النجابة (ص٢١٣) وما بعدها.

(٥) سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري: صحابي من الأبطال، كانت له سيادة الأوس، حضر بدراً وأحداً، وأصيب بسهم يوم الخندق، ومات من أثر جرحه سنة (٥). الأعلام (٣/ ص٨٨).

(٦) وقد دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه في حش كوكب خارج البقيع، =

الراشدين -رضي الله عنه- وفي شرقي البقيع مسجد يعرف بمسجد البغلة، فيها أثر يقال له أثر حافر بغلة النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-.

قال في «الجوهر المنظم»: مسجد البغلة[1] شرقي البقيع بطرف الحرة الشرقية لبني ظفر من الأوس، صلى فيه النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- وجلس على حجر فيه، وقلّ من جلست عليه إلا حبلت[2].

فيه أثر على حجر كأنه مرفق، يقال: إنه مرفقه الشريف (ذراعه إحدى وعشرون في مثلها)[3].

قال بعضهم: تستحب في هذه المساجد بالمدينة، وإن لم يعرف أساميها؛ لأن الوليد بن عبد الملك[4] كتب إلى عمر بن عبد العزيز هو واليه على المدينة: مهما صح عندك من المواضع التي صلى فيها النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- فابن عليه مسجداً فهذه الآثار آثار عمر بن عبد العزيز[5]، وقد اندرست، وجدد أكثرها.

وملازمة الحجرة أولى وأفضل، وما لمن ظفر بالعين يتعلل بالآثار،

= وأدخل فيما بعد.

(١) يبدو أنه كان خارج مزرعة آل الرفاعي في أدنى الحرة الشرقية، وقد أقيم في جهته مبنى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) هذا الأمر لا أصل له من قبل العقل ولا النقل.

(٣) انفردت به النسخة (ب) (ج) ويبدو أن هذه المسجد هو مساحة مسجد البغلة.

(٤) الوليد بن عبد الملك بن مروان: ثالث الملوك المروانيين حكم الدولة الأموية في الفترة من (٨٦/ ٩٦ هـ).

(٥) عمر بن عبد العزيز بن مروان: كان والياً على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك، عرف بالزهد، والعدل إبان حكمه للدولة الأموية من (٩٩/ ١٠١هـ).

وكيف لمن شاهد حمى الأحبة ليستملي سواجع الأخبار.

مسجد البقيع:

وأما مسجد البقيع فقال في «الجوهر المنظم»: على يمين الخارج من دربه يقال: إنه مسجد أبي بن كعب[1] الذي يختلف إليه النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- فيصلي فيه، ويقول: «لولا أن يمل الناس إليه لأكثرت الصلاة فيه».

وما الجمعة فإن البقيع سلوة الأحزان ولهوة الولهان، ما أمّه المكروب إلا فرج الله عنه كربه، ولا المغلوب إلا توجهت كتائب النصر بالرحمة إليه، خلا ما اشتمل عليه من تذكار المعاد، وأفكار أهل الرشاد، وتقطيع أعناق الأطماع، وشمول بركته حتى لبعد الانطباع.

وما أوجه ما قال:

سقى الله أكناف البقيع الهنا ... سحائب إحسان وعفو وغفران

في سفحه قلبي مقيم لأنّه ... أقام به أهلي وصحبي وإخواني

□ □ □

---

(١) لم يعد في البقيع معالم أو آثار في الوقت الحاضر؛ لأنه لا حاجة إلى المباني والمساجد داخل البقيع، ولا سيما أنه لا توجد مسافة كبيرة بين البقيع والمسجد النبوي الشريف، بعد أن أزيلت جميع الأحياء السكنية التي تقع شرقي المسجد النبوي في توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز، حفظه الله تعالى ذخراً للإسلام والمسلمين.

المقالة الثانية
فيما يتعلق بالزمان

المقالة الثانية
فيما يتعلق بالزمان

وتشتمل من يانع أزهارها على أبواب تتفتح أنوار أكمامها من رياض الخطاب.

وما ألطف ما قال:

تلقّاك هذا العام أحسن ملتقى ... ووقيت فيه ما يخاف ويتقىٰ

ولا زلت تلقى فيه كل مسرة ... ولا زالت ترقى فيه أشرف مرتقىٰ

مسألة:

ابتداء السنة العربية أول ليلة المحرم، فلا يزال حتى يهل، فتدخل السنة الثانية، وتنقضي الأولى، وعند العرب سادس صفر، وشهور هذا التاريخ من رؤية الهلال شرعاً، فلا تزيد أيام الشهر على ثلاثين، ولا تنقص عن تسعة وعشرين، وقد تتوالى أربعة كاملة أو ثلاثة ناقصة، وأما أشهره ومبدؤها من الهجرة البنوية فشهر ثلاثون، وشهر تسع وعشرون دائماً أبداً، ولا تتأخر الرؤية عن الحساب بأكثر من يومين ألبتة.

وقال الراجز:

ولا يضر اليوم واليومان ... تزايداً أو نقصاً سيان

ولهذه الأشهر أيام منحوسة، ضبطها الصفي الحلي في قوله:

وما أحلى ما قال:

تـوق سبعـة أيـام قـد اطـردت في كـل شهـر هـلالي منـاحسُهـا
فثالث الشهر مذموم وخامسه وثالث العشرة الوسطى وسادسها
ثم أخشى حادي عشريه فخشيته حزم ورابعها نحس وخامسها

وضابطه المشهور:

محبـك يـرعـى هـواك فهـل تعـود ليـال بضـد الأمـل
فـذر النقـط يـوم بـدا نحسـه وفي غير ذا النقـط خير حصـل

وقال الشيخ شهاب الدين البلخي[1]:

قلـت وقـد قـال لي صـديقـي صـف نحـس أيـامنـا وبـادر
حسبـك وقـد صـار كـل صـب على الحمـى مـدنفـاً وسـاهـر
مهملهـا قـد حـاز كـل خير والنحـس في عجمهـا فحـاذر

ونظم بعضهم نحوس أشهر السنة فقال:

خف رابع العشرين في رمضان وتـوقَّ في شـوال منـه الثـاني
والثامن العشرين في ذي القعدة وتـوقَّ ممـا بعـده لثمـان
وأثـنِ مـع عشريـن خـف لمحـرم والعشر مـن صفـر بـلا نكـران
ورابـع رابعـه فحـاذر يـومـه وثمـان وعشريـن ربيـع الثـاني
وكـذا جمادى ثـم ثـاني عشر مـا يتلـوه يـا مـن خـصّ بـالإحسـان
وإذا رجـب فثـاني عشره والسـادس العشريـن مـن شعبـان

---

(١) أحمد بن سهل البلخي: (٢٣٥/٣٢٢هـ) أحد كبار الأفذاذ من علماء الإسلام، جمع بين الشريعة، والفلسفة والأدب والفنون، ولد في إحدى قرى بلخ، وساح سياحة طويلة، ثم عاد وقد علت شهرته، فعرض عليه حاكم بلخ وزارته فأباها، وقد سبق علماء البلدان في الإسلام إلى استعمال رسم الأرض في كتاب «صورة الأقاليم الإسلامية» وذكر ابن النديم في فهرسه مؤلفاته منها: «أقسام العلوم» «شرائع الأديان» كتاب «السياسة الكبرى» وغيرها كثير، بلخي المولد والوفاة. الأعلام (ج١/ص١٣٤).

وبيانها نثراً: ثاني عشرين المحرم، عاشر صفر، رابع ربيع الأول، الثامن والعشرين من ربيع الثاني وجمادى الأول، والثاني عشر من جمادى الآخرة، ورجب، السادس والعشرون من شعبان، والرابع والعشرون من رمضان، الثاني من شوال، الثامن والعشرون من ذي القعدة، ثامن ذي الحجة. فحاذر إن كان ينفع الحذر، وقلد في ذلك من اختبر.

ولقد رأيت بخط أكابر العلماء: فائدة صحية مجربة: إذا انقضت المدة لم تنفع العدة، ولا يغني الحذر من القدر[1].

وما ألطف ما قال:

وإذا المنيـة أنشبـت أظفـارهـا ألفيـت كـل تميمـة لا تنفـع

وما أصدق ما قال:

إذا كنـت محفـوظـاً بعين سعـادة فلا تخش يوماً من رجوع الكواكب

فـإن الـذي قـد قَدر الله سعـده بعيد لعمري من صروف النوائب

وعلى ذكر الشهر بعضهم قال:

لا تـزر مـن تحـب في كـل شهـر غير يـوم ولا تـزده عليـه

إن رؤيا الهلال في الشهر يوماً ثـم لا تنظـر العيـون إليـه

وقال غيره:

إذا حققـت وداً مـن صـديـق فـزره ولا تخـف منـه مـلالا

وكن كالشمس تطلع كل يوم ولا تـك في مـودتـه هـلالا

وقال آخر:

إذا تخلفـت عـن صـديـق ولم يعـاتبـك في التخلـف

فـلا تعـد بعـد ذاك إليـه فـإنمـا وده تكلـف

---

(١) انظر الملحق الخاص بالمناقشة الموضع رقم (٥).

وما أوقع ما قال:

(إذا ما اختلفت إلى صاحب   وإن كان يدنيك من نفسه
فلا بد من ملل واقع   يغير ما كان من أنسه)[1]

وقال آخر:

إذا شئت أن تجفى فزر متواتراً   وإن شئت أن تزداد حُبّاً فزر غبا
فلا تمهل الرأي السديد وتقتفي   تخيل وهم تلتقي بعده كربا

ومن الألغاز اللطيفة في السنة: ما شجرة فيها اثنا عشر غصناً، في كل غصن ستون ورقة، منها ثلاثون سوداء، وثلاثون بيضاء، في كل ورقتين خمس زهرات.

المراد من الشجرة السنة، وغصونها الأشهر، والورق الأبيض والأسود الأيام والليالي، والزهرات الصلوات الخمس بالليل والنهار.

ومن الألغاز في الليل والنهار، وما قال فيه:

ما أسود في حضنه أبيض   وأبيض في حضنه أسود
ما افترقا قط ولا اجتمعا   وكلاهما من ضده يولد

شهر المحرم:

وهو أول السنة القمرية، أقسم الله تعالى به في خطابه، وافتتح به سورة من كتابه فقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قيل: والفجر هو: المحرم؛ لأنه فجر العام، والليالي العشر هي لياليه، بل لآليه[2].

---

(١) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

(٢) المعروف عند أهل العلم: أن الفجر هو أول النهار من أي يوم، وقد يعني به فجر يوم بذاته، وأما ما عناه المؤلف بأن الفجر أول السنة، فهذا المعنى مجازي لا على الحقيقة، والليالي العشر هي ليالي ذي الحجة. والله أعلم.

أدعية شهر محرم:

ومن أدعيته: اللهم أنت الأبدي القديم، وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان الرجيم، ونزغه وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك زلفى، ياذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين[1].

وقال الشاعر:

تهـن فقـد وافـاك شهـر المحـرم بكـل حـلال لم يكـن بـالمحـرم
ولا زال ممـن يلتقيـك بكـل مـا تحـب وحبـل الـوصـل لم يتصرم

مناسبات:

في اليوم الأول من هذا الشهر الشريف أو الثاني منه: وصول قافلة المدينة المنورة، أعني: رجوع من حج إليها من أهلها، فيكون بين الناس من التزاور، والتماس الأدعية، والهدايا كما يكون في سائر البلدان، إلا أن السيد بها يزور العبد في مثل هذا اليوم، ولا كذلك الأكابر في غير المدينة المنورة[2].

وما أصدق ما قال:

لقـــد جئتـــم وتفضلتـــم وشرفتمـــونـــا بنقـــل القـــدم

---

(١) والدعاء مطلوب في كل زمان ومكان، وقد خصص الله بعض الأمكنة والأزمنة ببعض العبادات، إلا أنه لم يرد تخصيص أول محرم بشيء من الدعاء لذاته.

(٢) هذا الخبر يدل على الترابط الاجتماعي في المجتمع المدني تأسياً برسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وأهل بيته وأصحابه، حيث أن للجار حقاً على جاره، ومن هذه الحقوق الفرح معه بما يفرح، والعودة من الحج في تلك الأيام مدعاة للفرح، واستجابة الدعاء نتيجة لما يعانيه الحاج من بعد الشقة، ومكابدة الأسفار والأخطار.

وليــــس بعـــــار ولا منكـــــر مجـيء المــوالي لبعــض الخــدم

وقلت أنا جواباً عنه[1]:

لقــد جئــت نحــوكــم ســادتي لأحظى بتقبيـل مـواطـىء القـدم

وأسعــى إليكــم على أعينـي على أننـي مــن أقــل الخــدم

وعلى ذكر الهدايا، قال من اختبر وحقق الخبر:

تـوقّ وحـاذر مـن قبـول هـديـة وإن جاءنا فيها الحديث المرغب[2]

فقد حدثت بعد الرسول حوادث تحـذرنـا منهـا وعنهـا تـرغـب

وفي اليوم الخامس منه أو يختلف باختلاف الأحوال: يكون وصول الركب المصري إلى المدينة الشريفة، وبوصوله تتصل بسكانها الصدقات السلطانية، والصلات الخاقانية، والمرتبات المصرية، فيتسلمها الحكام بصيغة الخدام في ملأ من الأكابر بمقتضى الدفاتر[3].

قال مفتي الحرمين قطب الدين الحنيفي: أن أهل الحرمين الشريفين ما شبعوا في دولة من الدول مثل ما شبعوا في دولة آل عثمان ـ خلد الله تعالى أيامهم إلى قيام الميزان[4].

ويمتار[5] أهل المدينة بما فضل عن أهل مكة مع هذا الركب من الأمتعة، والأشربة، ويكون لهم موسم لطيف، ويكون للحجاج كمال

---

(١) أي المؤلف، وهو السيد كبريت.

(٢) لعله يعني قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «تهادوا تحابوا».

(٣) انظر الملحق رقم (٥).

(٤) لقد سقطت دولة الخلافة التي يدعو لها بعد الحرب العالمية الأولى على يد الاتحاديين، وأصبحت دولة تركيا الحديثة علمانية، ولا تقبل بالحكم الإسلامي، وفي هذه الأيام عندما فاز حزب الرفاه الإسلامي في الانتخابات هدد أحد القادة العسكريين بالقيام بانقلاب عسكري ضده حماية للعلمانية في تركيا.

(٥) تمتار: من الميرة، وهو ما يتوفر لهم من أرزاق بعض الوقت من السنة.

البشارة بالسرور والهناء، وبلوغ الآمال[١]، وأهمها: الزيارة، وتمام الحج.

وما أحسن ما قال:

تمام الحج أن تقف المطايا   على ليلى وتقرئها السلاما
فإن حجوا ولم يقفوا بليلى   فلست أرى لحجتهم تماما

ومن محاسن هذا الركب: أميره الذي يميزه، وهو مولانا الأمير رضوان بيك ـ أعز الله تعالى ذاته، وأطال وأطاب حياته ـ فإنه عم بعدالته وإحسانه الركب، وأهل الحرمين، وقصة محاسنه إن شاء الله تعالى خالية عن التنمق والمنّ فالله تعالى يبقيه للمعالي، ويجعله ذخراً للفقراء، ويقبل فيه أدعيتهم حتى يكون بعناية الله تعالى غرة في جبهة الأمراء[٢] والله سبحانه وتعالى أعلم.

وما أحسن ما قال:

آمين آمين لا أرضى بواحدة   حتى أضيف إليها ألف آمينا

وفي الليلة الثانية من صوله: يقرأ المولد السلطاني في صحن المسجد النبوي بحضرة أمير الركب، فحكام المدينة، وأعيانهم، ويوقد شمع العنبر، ويحرق الند، وعود المجمر، وتفرق أنواع السكر والحلوى على من حضر ذلك المجلس الشريف، والمحفل المنيف[٣].

وفي اليوم الثالث غالباً، أو الرابع من دخول هذا الركب، يكون رحيله إلى وطنه بالإمدادات النبوية، والصلاة المصطفوية.

---

(١) وفي الوقت الحاضر منّ الله على أهل الحجاز خاصة وسكان الجزيرة العربية عامة بالخير الوفير، وأصبح كثير من الحجاج يطلبون المساعدة منهم، ولله الحمد والمنة على ذلك.

(٢) من عادة المؤلفين في ذلك الزمان كيل المديح، ولا سيما لعلية القوم.

(٣) موضوع المولد وإقامة الاحتفال به أخذ مجالاً واسعاً في الأخذ والرد بين راد ومردود عليه، وفي الوقت الحاضر لا تقام مثل هذه الاحتفالات.

ويحكى عن بعض أشراف اليمن قدم المدينة المشرفة للزيارة، فتوجه إلى الحضرة الشريفة وأنشد:

يـاليـت شعـري إلى قبـول ... وهـل إلى السؤل مـن وصـول
وهـل لقصـدي وجـد سعـى ... قـد رضي الله والـرسـول

إلى أن قال:

إن قيـل زرتـم بمـا رجعتـم ... يـا أكـرم الـرسـل مـا نقـول
فسمـع الصـوت مـن داخـل الـ ... حجـرة المعطـرة يقـول
قـولـوا رجعنـا بكـل خير ... واجتمـع الفـرع والأصـول[1]

وقال آخر:

بـابـه للنـزيـل غيـث وغـوث ... فيـه يلقـى مـراده ومـرامـه
إن أتـاه الفقير نـال ثـراء ... أو أتـاه الغنـى نـال الكـرامـه

وقال أيضاً:

ولاح فلاحي في اطّراحي ببابه ... وأيقنت أني بالقصد منه راجع
فلا كان هذا العهد آخر العهد بيننا ... ولا قطعتنـا أن حمـاه القـواطـع

وقال آخر:

قـف على البـاب خـاضعـاً ... عنـد ضيـق المنـاهـج
فهـو بـاب مجـرب ... لقضـاء الحـوائـج

وقال آخر:

قفا نبك دار شط عنا مزارها ... وانحلنـا بعـد البعـاد أذكـارهـا
يمثلها بالوهم فكري لناظري ... وأكثر ما يغني النفوس افتكارها

---

(١) كثيراً ما تتردد هذه الأبيات على ألسنة بعض الناس، ولكن عند البحث عنها، فلا تتفق المراجع على إسنادها إلى الشاعر الذي قالها فضلاً عن صحة محتواها من عدمه.

إذا بعـدت عنـي منـازل طيبـة ... فلا وجدت روحي بجسمي قرارها
وإن غاب عن طرفي حماها وربعها ... فسر الحشا مني وصدري دارها
فـلا فقـدت عينـي منـازه بلـدة ... طوال الليالي في ذراها قصارها

وقال آخر:

على سـاكنـي وادي العقيـق تحيـة ... من المغرم المشتاق والواله الصب
أقـامـوا وسرنـا والفـؤاد لـديهـم ... وما حال جسم في الهوى سار عن قلب

وقال غيره:

عليـك سـلام الله يـا خير منـزل ... بـرزنـا وودعنـاه غير دميـم
فـإن تكـن الأيـام فـرقـن بيننـا ... ومـا أحـد مـن ربيبهـا بسليـم

وقال آخر:

إلهـي لا تجعلـه آخـر عهـدنـا ... ولا تجعـل اللهـم رحلتنـا طـردا
وعجل لنا حسن الإياب تفضلاً ... ويسهل لنا صعب الأمور رشدا

وقال بعضهم:

يـا دارُ هـل يقضي لنـا بـرجـوع ... ويعود لي يا عين طيب هجوعي
يـا جيرة كـاد المشـوق لبينهـم ... يقضي أسـى في حـالـة التـوديـع
قلبـي ليـوم فـراقكـم متـوجـع ... وارحمتـاه لقلبـي المـوجـوع
فـرقتـم مـا بين جفنـي والكـرى ... ووصلتم بين الأسى وضلوعي
جسمي معي والقلب بين خيامكم ... مـا ضركـم لـو كـان ثـم جميعي
ومتى ذكرت ليالينا سلفت لنا ... بالجزع في روض وظل ربوعي
كادت تذوب جوىً حشاشة مهجتي ... لـولا يجـود عليّ فيـض دمـوعي

ومن فراقيات الفيومي:

أستـودع الله الحفيـظ أحبـة ... خلفتهـم بين الأبيرق والنقـا[1]

---

(١) الأبيرق: لعله جبل في الحرة الغربية معروف هناك، النقا: الجزء الغربي من =

فارقتهم حتى إذا ذقت النوى ... لم أدر كيف رضيت أن نتفرقا
يا آمري بالصبر بعد فراقهم ... إن التصبر بعدهم لا يلتقى
لا تذكر الصبر الجميل فإنّه ... ماتت محاسن وجهه ولك البقا
لم يبق لي بعد التفرق رغبة ... في العيش لولا أن من عاش التَقَىٰ
سكنوا بقلب أنسوه وأوحشوا ... لحظاً جرى من عبدهم وتدفقا
ذاك عندهم وذاك محجب ... سبحان من كتب السعادة والشقا

وقال آخر:

بكيت لفقد الأربع الخضر بعدهم ... على الرملة الفيحاء بالأدمع الحمر
وكيف بقاء إنسان عيني وقد أتى ... على ذكر الإنسان حين من الدهر[1]

الركب الشامي:

ويتلوه الركب الشامي قافلاً إلى وطنه، فيقيم بالمدينة نحو عشرة أيام، وينزل بالمناخة الشامية[2] شرقي سلع، وربما نزل بعضهم بمناخة المصلى[3] فيشرق به المراح[4] وتعد لياليه من ليالي الأفراح، ويعمر به المسجد النبوي، والمعهد المصطفوي بالذكر، والتلاوة، وزيارة صاحب الهراوة.

= المدينة، وهو ما يعرف بالعنبرية.

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ سورة الإنسان رقم الآية (١).

(٢) المناخة الشامية: هو ما يعرف بالمدينة بميدان باب الشامي، وهو من سور القلعة، وباب الشامي جنوباً إلى عين الزكي شمالاً، ويحددها من الشرق سور بضاعة، ومن الغرب جبل سلع، ويشمل كذلك العطن.

(٣) مناخة المصلى: هي ما يعرف في الشعر وتاريخ المدينة بالمنحنى، وهي أيضاً معروفة عند سكان المدينة بمناخة الحطب، وتقع قبلي مسجد الغمامة.

(٤) المراح، والمناخ بمعنى واحد: أي: المكان الذي تنيخ فيه الإبل.

وما ألطف ما قال:

ويطيب عيش ذوي المودة والصفاء بـالهـاشمـي المصطفـى المختـار

عاشر محرم:

وهو يوم الوفاء وميقات الديون[1] ويسمى يوم الزينة، جمع الله تعالى على فضله الآراء، وخصه بالتكريم، وختم به ميقات موسى الكليم.

وفي كتاب «البركة في السعي والحركة»: اختلف في يوم عاشوراء، فقيل: هو التاسع، وقيل: هو العاشر، وهو المشهور، وقيل: هو الحادي عشر.

وفي «الدرة الثمينة»: في السنة الثانية من الهجرة أمر رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ بصيام عاشوراء، وقال: نحن أحق بموسى عليه الصلاة والسلام من اليهود، ثم زوج علياً من فاطمة ـ رضي الله عنهما ـ ثم أمر بالصلاة نحو الكعبة، ثم نزلت فريضة الصوم في شعبان، فقاموا رمضان، ثم صلاة العيد، وضحى بكبشين.

وعن بعض السلف: من صام يوم الزينة، أدرك ما فاته من صيام سنته، ومن تصدق فيه أدرك ما فاته من صدقة السر.

وقيل: وما حكي من ورود الاغتسال فيه، والاكتحال، ومسح رؤوس الأيتام، والأطفال، فلا أصل لذلك من شريعة سيد الآنام، كما نبه عليه العلماء، والأعلام، وفيه يوسع أهل المدينة في معاشهم، ويتهادون بالأطعمة، وذلك من السنن السنية. والله أعلم.

---

(١) جرت عادة أهل المدينة أن يسددوا ما عليهم من ديون في ذلك اليوم من أجور مساكن، وغير ذلك، وذلك لأن أغلب سكانها على منوّرها أفضل الصلاة والسلام، يعملون في شؤون الحجاج، ويتكسبون من العمل منهم، ولذلك يقوم من عليه دين، وهو الأغلب بتسديد ما عليه في هذا الموعد.

وما أحسن ما قال:

وسمع على أهلك في رزقهم ... وكن لما تملكه منفقا

فالمرء لا يرزق إلا على ... مقدار ما وسع أو ضيقا

وفي غضون هذا الشهر يكون قدوم الركب العراقي، فينزل في مراحه، وهو شمالي العريض من شرقي المدينة، ويكون له سوق هنالك، وتعمر به هاتيك المسالك. وبالجملة فإنه من المواسع المشهورة، والأيام المعدودة. وقد قيل فيه:

هنئت ياذا العلا بشهر صفر ... تظفر بالغدو أي ظفر

ودمت ياذا النوال في دعة ... يرعاك مولاك في إقامة وسفر

شهر صفر الخير:

في أوائله يفرش المسجد النبوي، وتخرج الربعات[1] الشريفة من الحجرة المعطرة إلى الروضة المطهرة، ويشرع العلماء في إلقاء الدروس.

ومن محاسن المدينة الشريفة: أن أهلها لا يعتنون بعلم الفلسفة، والرياضة، ولا كتب الكلام والجدل، إلا ما شذ من الأعاجم الواردة إليها من الآفاق، وإنما همتهم في الشرعيات، وما يحتاج إليه من العربية، وكان يقال قل ما شئت في المتحلي بالفلسفة من الركاكة والسفسفة، وقل ما يحرس مهجته من لا يخرس لهجته. وكان يقال: العلوم ثلاثة: رئيسة، ونفيسة، وخسيسة. فأما الرئيسة فهي الشرعية كالفقه، والحديث، والتفسير، وما في معناها. وأما النفيسة فهي العربية، وهي ثلاثة عشر علماً كما في «المنهل الصافي»، وأما الخسيسة فهي علوم الفلسفة، وقد فصلتها في كتاب «النصر» وأنشد في ذلك قولاً:

---

(١) الربعات: لعلها المصاحف المقسمة إلى أجزاء.

يا وحشة الإسلام من فرقة مشغلة نفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها وادعت الحكمة والفلسفه

وقال آخر وما ألطفه:

اتق الله والزم هدى دينه ويعدهما فاطلب الفلسفه
ودع عنك قوماً يعيبونها فلسفة المرء قُل السفه

نكتة:

في كتاب «أخبار المأمون»[1] يروى: أنه بعث إلى صاحب جزيرة قبرس[2] يطلب منه خزينة كتب اليونان، فجمع كبار دولته واستشارهم، فقال رئيسهم: الرأي عندي أن تبعث بها إليه، فإن كتب الفلاسفة ما دخلت على شريعة إلا وأفسدتها، فجهزها إليه، فكان من أمرها ما اضطربت له الأفهام، وزلت بسببه الأقدام، وأوقع في مهاوي الكلام: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[3].

وما أحسن ما قال:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه حمل ثقيل فانتخب ما تحمل
وإذا علمت بأنه متفاضل فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

وقال آخر:

إذا ما أعز ذو علم بعلم فعلم الفقه أولى باعتزاز

---

(١) المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد (٢٠٧/٢١٨هـ): الخليفة السابع من العباسيين، تولى الخلافة بعد حرب مع أخيه الأمين بسبب ازدواجية ولاية العهد، عرف بالاطلاع والعلم، وأدخل الفلسفة اليونانية كما ذكر في النص، وفي عهده حصلت فتنة خلق القرآن، وأحداث أخرى جسام.

(٢) هي جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط، وتكتب في الوقت الحاضر بالصاد (قبرص).

(٣) سورة الأنعام الآية رقم (١١٢).

فكم عُرف يفوح ولا كمسك وكم طير يطير ولا كباز

وقال غيره:

وإذا أردت من العلوم أجلها فعليك بالقرآن والإعراب
هذا لدينك إن أدرت ديانة وهدى وذاك لمنطق وخطاب

وقال وما أحلى قوله:

إذا لم يكن مر السنين مترجماً عن الفضل في الإنسان سمّيه طفلا
وما تنفع الأيام حين تعدها ولم تستفد علماً يزيد ولا فضلا

وقال آخر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرىء لم يحي بالعلم ميت وليس له حتى النشور نشور

قال بعضهم: اطلب العلم فلأن يذم لك الزمان، خير أن يذم بك.

أخذه بعضهم فقال:

تجنب أن تذم بك الليالي وحاول أن يذم لك الزمان
ولا تجعل إذا أكملت ذاتاً أصبت الغرام حصل الهوان
وذم الدهر للإنسان خير من الإنسان ذم به الأوان

وقال غيره:

إذا رأيت حكيماً لا يجالسه خلاف حكمته جن ولا بشر
فهو الحكيم الذي في نفسه فلك والشمس تسبح في مجراه والقمر
فكن خادماً والزم نصيحته حتى تبين لك الآيات والسور

وقال آخر:

العلم في الرجل الحليم زيادة ونقصه في الأحمق الطياشي
مثل النهار يزيد أبصار الورى نوراً ويعمي أعني الخفاش

وقال أيضاً فيه:

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا

فبشره أن الله أولاه حسرة　　تغشيه حرماناً وتوسعه حزنا

وقال آخر:

فســاد كبير عــالم متهتــك　　وأكبر منــه جــاهــل متنســك

همــا فتنــة في العــالمين عظيمــة　　لمــن بهمــا في دينــه يتمســك

وقال آخر:

ومن كان علم النفس مما يسره　　فإني امرؤ يا طالما ساءني علمي

ولم أر في الأشياء والحظ شاهد　　بما أدعي شيئاً أضر من الفهم

نكتة:

آخر كلام قاله الفخر الرازي[1] فيما يُروى عنه في هذا الباب، الذي دلت عليه التجربة، وتحرر في أواخر الأمر: إن قدر الإنسان بالعلم، وقدر العلم بالمال، وقد نظمته[2] فقلت:

قيمــة الإنســان بــالعلــم كمــا　　قيمــة العلــم بمــال مسعــد

فــاسعَ في تحصيــل كــل منهمــا　　فهـــو للمـــرء أهنـــا مـــورد

وقال آخر:

صرفـت زمـانـاً في فنـون جمعتهـا　　فأفرغت جهدي والجنون فنون

ولما تجلى الأمر وانكشف الغطاء　　تبين لي أن الفنـــون جنـــون

---

(١) الفخر الرازي (٥٤٤/٦٠٦هـ) محمد بن عمر، الإمام، المفسر، العلامة في المعقول والمنقول، ولد في الري، وإليها نسب، متفنن في علوم شتى، مكثر في التأليف، ومن تصانيفه «مفاتيح الغيب» في التفسير، وكتاب «الصفات» في العقائد، و«محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والمتكلمين» وغير ذلك كثير. الأعلام (ج٦/ ٣١٣).

(٢) نظمته: أي المؤلف.

وقال بعض الأكابر:

من العيش أن تلقى حكيماً ... فذاك العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل ... وفضل العلم يعرفه اللبيب

وقال آخر:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد ... لعلمك مخلوقاً من الناس يقبل
وإن زانك العلم الذي قد حملته ... وجدت له من يجتنيه ويحمله

نكتة:

لكل تربة غراس، ولكل بناء أساس.

ومن حوى العلم ثم أودعه ... بجهله غير أهله عدمه
وكان كالمبتني البناء إذا ... تم له ما أراده هدمه

وقال آخر:

لا تناظر جاهلاً أسندك الدهر إليه ... إنما تهدي له علماً يعاديك عليه

وقال في المعنى:

وإذا جلست مع الرجال وأشرقت ... من أفق باطنك المعاني الشرد
فاحذر مناظرة الجهول فربما ... تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

وقال أيضاً فيه:

إذا لم تكن عالماً بالسؤال ... فترك الخطاب به أسلم
وإن أنت شككت فيما سئلت ... فخير جوابك لا أعلم

وقال محمد بن بشر:

أما لو أعي كل ما أسمع ... وأحفظ من ذاك ما أجمع
لكنت المحقق فيما يرى ... من المشكلات وما يسمع
ولكن نفسي إلى كل شيء ... من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ... ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك في علمه هكذا ... فذلك بالقهقرى يرجع

إذا لم تكـن حـافظـاً واعيـاً   فجمعـك لكتـب لا ينفـع
أتحضر بـالجهـل في مجلـس   وعلمـك في الكتـب مستـودع

وقال غيره:

العلـم زرع والتـأمـل مـاؤه   والـذهـن أرض والمعلـم زارع
والبحـث فيـه شمسـه وسمـاؤه   ملقى الأفاضل واختلاف نافع
ونمـوه بـإفـادة ونمـاؤه   عمـل إلى أعلى المـراتـب رافـع
ونفاق هذا العمل في سوق القبول   تقـى وإخـلاص بـه وتـواضـع
ثـم التكبر والـريـاء والعجـب   آفـات وكـل للسعـادة مـانـع

غريبة:

في «أخبار مصر»: يحكى عن بعض ملوكها ممن سلف أنه عمل مدينة، وعمل فيها صورة على عمود من رخام: من اعتنقه لم يحجب عن نظره شيء من الروحانية، وسمع كلامهم ورأى عملهم، وعمل على كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب، وفي يده صحائف كثيرة، في كل صحيفة علم من العلوم، فمن أحب معرفة ذلك العمل، وضع تلك الصحيفة على صدره، فيرسخ ذلك العلم فيه إلى أن يموت، وعمل فيها مرآة ترى فيها الأقاليم السبعة[1]:

وقد قال:

في الأرض آيات فلا تك منكراً   وعجـائـب الأشيـاء مـن آيـاتـه

وفي اليوم العاشر منه[2]: غالباً يكون قدوم المرزقي، وهو عبارة عن تجارة اليمن، وهو موسم البهار الطيب.

---

(١) هذه القصة أسطورة وغير منطقية، ليس لها سند من علم.
(٢) أي: شهر صفر.

وما أحلى ما قال:

يهنئك شهر ربيع الأول	فالسعد قد وافى وقد أقبل
والله خولك السعود به	فاسعد بما أعطى وما خول

شهر ربيع الأول:

في أول ليلة جمعة منه يكون مولد الشيخ أحمد البدوي[١]، وله موكب مشهود وفي الليلة الثانية عشر منه يكون مولد النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ[٢]، وشرف وكرم، ومجد وعظم، فياله من نبي أشرف بظهوره فيه يوم الإثنين، واستمد من نوره نور القمرين.

قال العلامة ابن حجر: ولد عليه وعلى آله الصلاة والسلام يوم الإثنين بمكة، ليلة ثمان خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل عند أهل الحديث، والتاريخ، والذي عليه الجمهور، وهو الصحيح المشهور أنه لاثنتي عشرة، وعليه العمل، فياله من شهر كأن لياليه لآلىء العقود ويا له وجهاً مشرقاً ما أشرفه من مولود! فسبحان من جعل حسنه حسناً بديعاً، ومولده للقلوب ربيعاً.

ومن أحسن ما قال:

---

(١) السيد البدوي: (٥٩٦/ ٦٧٥هـ): صوفي، صاحب الشهرة في الديار المصرية، ولد بفاس بالمغرب، فطاف البلاد الإسلامية فاستقر بمصر في أيام الظاهر بيبرس، وتوفي ودفن بطنطا، وله بعض التأليفات. الأعلام (ج١/ ص١٧٥).

(٢) موضوع المولد والاحتفال به منتشر في بعض البلاد الإسلامية، ومن يقولون به يرون أنه مجرد احتفال لإحياء ذكرى اجتماعية مثل أي احتفال آخر، وأما من لا يقولون به، بل يرونه غير مشروع يستندون على أنه لم يقم أحد من الصحابة بعمل مولد للرسول، وهم أهل القرن الأول، ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة، وفي الوقت الحاضر لا تقام هذه الاحتفالات في البلاد السعودية بناء على ما تقدم.

يقـول لنـا لسـان الحـال منـه وقـول الحـق يعـذب للسميـع
فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيـــع في ربيـــع في ربيـــع

وقال:

لقـد بلغـت بـالهـاشمـي حليمـة مقاماً علياً في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها وقد عم هذا السعد كل بني سعد[1]

فأكرم به من مولد أشرفت الأرض بساطع نوره، وصدقت دعوى الأنبياء بظهوره[2]، وأضاءت لمولده قصور الشام، ونكست لكرامته رؤوس الأصنام، وانشق إيوان كسرى، وأذن بالانهدام، وخمدت نار فارس، ولم تكن تخمد منذ ألف عام[3]، ولم تجد ذات الطلق به بؤساً، ولا ولدته كغيره منكوساً، بل خرج ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ على يديه معتمداً، وبالملائكة المقربين معتضداً، رافعاً طرفه إلى السماء، مشيراً بأصبعه مبتسماً، مختوناً، مقطوع السر[4] ميموناً، مباركاً على الأمة، لم تزل العناية ترشده، والحراسة تسعده، حتى جاءه الروح الأمين برسالة رب العالمين، فشمر عن ساق الجد، والاجتهاد، وجاهد في الله حق الجهاد، حتى تمم مكارم الأخلاق، وبين أحكام الدين يقيناً، وأنزل الله عز وجل عليه الكتاب المستقيم تعليماً وتبياناً، وقال فيه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[5].

---

(١) يشير المؤلف إلى قصة رضاعته ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ من حليمة السعدية.

(٢) يشير إلى قوله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «إني دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى عليه السلام». تاريخ الأمم والملوك للطبري.

(٣) تاريخ الطبري (ج٢/ ص٢٥٨) وما بعدها.

(٤) سيرة ابن هشام (ج١/ ص١٦٥).

(٥) سورة المائدة: (٣).

فأيام هذا الشهر مبتسمة الثغور، ولياليه مشرقة بالنور، الدعاء فيه مسموع، والعمل الصالح فيه مقبول مرفوع.

قال ابن حجر:

وإنما لم تكن الولادة في يوم الجمعة، أو في شهر رمضان لئلا يتوهم تشرفه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذلك الزمان الفاضل (فجعل في المفضول لتظهر به مزيته على الفاضل)[1] ونظير ذلك دفنه ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ بالمدينة دون مكة والقدس.

وما أحسن ما قال:

حيـــــــاك الله رب المشرقين	جميـع الحسـن يـا جـد الحسين
لهـــذا قلـــت قـــولاً غير مين	وأحسـن منـك لم تـر قـط عينـي

وأفضل منك لم تلد لنا

منحـت فصـاحـة النطـق العـذب	وحسن الخلق من علام الغيوب
وكلمـك الإلـه مـن غير ريـب	خلقـت مُبَـرَّأ مـن كـل عيـب

كأنك قد خلقت كما تشاء

وفي مثل هذا اليوم كانت وفاته عليه وعلى آله الصلاة والسلام وقيل يوم الثامن والعشرين من صفر[2] وفي كتاب «الليث العابس في صدمات المجالس»: توفي رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ضحى يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، سنة إحدى عشرة من الهجرة عن ثلاث وستين سنة من عمره مبلغاً رسالات الله تعالى، مجاهداً لأعداء الله تعالى، ودفن عليه وعلى آله الصلاة والسلام يوم

---

(١) انفردت به النسخة (أ).

(٢) المتواتر بين أهل التاريخ والسير أن وفاته ﷺ يوم الإثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة هجرية.

الثلاثاء، وكانت مدة مرضه اثني عشر يوماً، وقيل: أربعة عشر.

لطيفة:

استخرج بعض أهل الآداب مدة عمره الشريف من لفظ نبي بالهمزة، فإن عدده بحساب الجمل ثلاثة وستون، كما استخرجوا عدة الرسل من اسمه الكريم محمد ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وذلك بطريق البسط، لأن فيه ثلاث ميمات، كل ميم بتسعين جملتها بمئتين وسبعين، وجاء بتسعة أو عشرة باعتبار الهمزة ألفاً، ودال بخمسة وثلاثين، فالجملة ثلاثمئة وأربعة عشر، أو خمسة عشر، وذلك عدد الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على خلاف فيه.

وفي «الدرة الثمينة»: لما اشتد به عليه وعلى آله الصلاة والسلام وجعه الذي توفي فيه قال: «هريقوا عليّ من سبعة قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس، وأعهد إليهم».

وقال ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ في وجعه الذي قبض فيه: «يا أيها الناس! سعرت النار، وأقبلت الفتن كالليل المظلم، وإني والله ما تمسكون علي بشيء أني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن».

وكان يقول: «إن للموت سكرات، اللهم! اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى».

وما أحسن ما قال:

ربيـــع الآخـــر قـــد أقبـــلا   سقيـــت فيـــه العـــار المُسبـــلا
فـــاهنـــأ شهـــراً شريفـــاً أتـــى   بـــاليمـــن والإسعـــاد مقبـــلا

شهر ربيع الثاني:

في الليلة الثانية عشرة منه: مولد السيدة فاطمة الزهراء ـ رضي الله

عنها ـ واليوم الثاني عشر مولد الشيخ عبد القادر الجيلاني[1] ـ قدس الله سره ـ وفي الشهر الذي قبله تكون الأنكحة بالمدينة الشريفة أكثر منها بغيرها.

وما أوقع ما قال:

بجمـــاد الأولى تهـــن مليـــا لبســاط عــلاك عــلا فيــه حليــا
دمـــت فيـــه وفي ســـواه رفيعــاً كل يوم ترقى فيه مكاناً عليا

شهر جمادى الأولى:

فيه يكون مولد[2] الشيخ أحمد علوان[3] قدس الله سره، وفي اليوم الحادي والعشرين منه مولد محيي الدين بن العربي[4] الحاتمي الطائي صاحب «المنح» و«الفتوحات» ويُعرف هذا الشهر العظيم في المدينة بالأواء.

وقال أيضاً:

يهنئك يا رب الصفات الفاخرة بهـلال خير مـن جمـادى الآخـرة
وأراك بـــرك فيـــه مـــا تختـــاره وحباك فيه من المعاني الزاخرة

شهر جمادى الآخرة:

في اليوم الثاني عشر منه مولد الشيخ الرفاعي[5]، وفي آخر خميس منه

---

(١) الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٧١/ ٥٦١هـ): مؤسس الطريقة القادرية.

(٢) انظر التعليق حول موضوع المولد رقم (١) ص (٢٩٥) و(٢) ص (٣٠٦).

(٣) الشيخ أحمد بن علوان: عالم يمني، له كثير من المؤلفات المخطوطة، توفي عام (٦٦٥هـ).

(٤) الشيخ محيي الدين بن العربي: سبقت الترجمة له.

(٥) الشيخ الرفاعي: (٥١٢/٥٧٨هـ) الشيخ أحمد بن علي الرفاعي، مؤسس الطريقة الرفاعية: صوفي، عالم، له بعض المؤلفات، وجمع بعض تلاميذه كلامه في رسالة سميت: «رحيق الكوثر» وينسب إليه الشعر. توفي حيث يسكن في قرية أم عبيدة بالبطائح في جنوب العراق. الأعلام (١/ص١٧٤). =

يذهب كثير الناس إلى زيارة سيدنا حمزة ـ رضي الله عنه ـ ويعرف ذلك اليوم بخميس الفسح، وبتمام هذا الشهر تخيل الأواء في الغالب.

وما ألطف ما قال:

مهنئاً جاء فيما جاءكم رجب ومثلكم من تلقاه بما يجب
ولو سقى فوق آفاق السعود لكم هلاله لهنا لم يكن عجب

شهر رجب الأصب:

في أول جمعة منه يكون مولد الشيخ بدر الدين العادلي، ويقرأ المولد في زاويته التي هي تجاه المدرسة الرستمية[1] شرقي منهل الحارة[2]، وفي تلك الليلة يصلِّي صلاة الرغائب من يرى صحة خبرها، وفي الليلة الثانية عشرة منه تكون زيارة السيد حمزة ـ رضي الله عنه ـ وهي جمعية[3] عظيمة معدودة مشهودة، يطلع أهل المدينة إلى وادي قنا بالخيام، ويكون هنالك سوق لطيفة، وتكون عند الضريح تلاوة القرآن العظيم حتى الصباح، ويقرأ المولد الشريف في مواضع متعددة، وبالجملة فإن هذه الجمعية لا نظير لها في المدينة المنورة، وفي اليوم السادس عشر منه يقرأ مولد بمسجد سيدنا علي ـ كرم الله وجهه، ورضي الله عنه ـ وفي اليوم الخامس والعشرين منه يكون قدوم قافلة الزوار من أهل مكة وأعمالها،

---

(١) وصف المدينة المنورة عام (١٣٠٣هـ) لعلي بن موسى (ص٤٦) في وصف المدرسة الرستمية.

(٢) أي: حارة الأغوات، وهي كانت شرقي المسجد النبوي الشريف، بينه وبين البقيع، وقد أزيلت هذه الحارة في مشروع خادم الحرمين الشريفين لصالح توسعة المسجد النبوي الشريف والساحات المحيطة به، وقد أدخل معظمها ضمن المسجد النبوي، والباقي منها ساحة يستفاد منها للصلاة عند ازدحام الحجاج.

(٣) جمعية: أي: اجتماع.

فيكون بهم موسم لطيف، وفي الليلة السابعة والعشرين منه وهي ليلة المعراج، ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم، وقد قال بأنها ليلة القدر رب خبير حكيم.

وكل الليالي ليلة القدر إن دنت   كما أن أيام اللقاء يوم جمعة

تكون بالمسجد النبوي جمعية لطيفة، ومولد حافز. قيل: وكان الإسراء من بين الحِجر والحطيم إلى بيت المقدس الشريف، ثم أتى بالبراق، وعرج به إلى السبع الطباق. قال في «المواهب»: إنما كان الإسراء ليلاً للتخصيص بمقام المحبة؛ لأن الله تعالى اتخذه حبيباً، وخليلاً، والليل أخص زمان للمحبين؛ لجمعهما فيه، والخلوة بالحبيب متحققة بالليل.

ما أحسن ما قال:

وكم لظلام الليل عندي من يد   تخبر أن المانوية تكذب

وقد قيل: إن الإسراء كان في شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر، وقيل: في شهر رمضان، وقيل: في شوال. وقال بعض الحفاظ: لم يقم دليل معلوم على شهر معين، وقد حصل الاتفاق على أنه كان في السنة الثانية عشرة من البعثة، وهل كان مرة أو أكثر من مرة؟ مناماً أو يقظة؟ بروحه الشريف أم بروحه وجسده؟ فيه خلاف بين الأمة، والذي عليه الجمهور أنه كان مرة يقظة بجسده وروحه الشريف، والإسراء متعدد.

ومن أشعار المواهب، وما ألطف ما قال:

سبحان من أسرى إليه بعبده   ليرى الذي أخفاه من آياته
كحضوره في غيبة وكسكره   في صحوه والمحو في إثباته
وترى الذي عنه تكون سره   في منعه إنشاءه وهباته

وقال آخر:

تهن بشهر شعبان المبارك   فالبركات والحسنات زارك

تضاعف أجرك القبول فيه   وأعلى الله فيه لنا منارك

شهر شعبان المكرم:

في أول يوم منه يكون خروج قافلة الزوار من أهل مكة وأعمالها، وفي الليلة الثانية عشرة منه تكون بمساجد الفتح جمعية عظيمة لقراءة المولد الشريف[1] إلى وقت الصباح، وفي الليلة الخامسة عشرة منه، وفي ليلة البراءة يقرأ بالمسجد النبوي مولد حافل، ويحيي هذه الليلة بالذكر أهل الزوايا بأنواع العبادة من وفق إليها.

وما ألطف ما قال:

إذ حلت الهداية قلباً   نشطت للعبادة الأعضاء

قيل: وأبهة الليلة تظهر بالقدس الشريف.

مسألة:

يستحب إحياء ثلاث عشرة ليلة في السنة، وهي: أول المحرم، وليلة عاشوراء، وأول جمعة من رجب، وليلة النصف منه، وليلة النصف من شعبان، وليلتا العيدين، وخمس ليال من شهر رمضان، وهن أوتار الليالي العشر الأواخر[2] حكاه ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ وغفر للمسلمين آمين.

ولله در القائل:

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله   إذا كنت فارغاً مستريحا

وإذا ما هممت بالنطق بالباطل   فاجعل مكانه تسبيحا

فاغتنم السكوت أفضل من   لغو وإن كنت بالكلام فصيحا

---

(١) سبق التعليق على موضوع الموالد في الهامش رقم (١) ص (٢٩٥) ورقم (٢) ص ٣٠٦.

(٢) الأخبار الواردة في ذلك لا ترقى إلى مستوى الصحة.

وليلة النصف من شعبان ليلة الحلوى[1] في أكثر البلدان، فإن الناس يطبخونها في تلك الليلة، ويتطاعمون بها، وأهل الحرمين يخصونها بالمشبك، ولها ذكر في الشعر، وقد كثر تشبيه المحبوب بهلال شعبان، والظاهر أن ذلك لتعلق الأبصار به خوف دهمة شهر رمضان؛ ولذلك يسمى القصير؛ فإن الناس يغتنمون فيه الاجتماع بالأحباب، والتنزهات في البساتين، حتى قال بعض أهل المجون:

قل لشهر الصيام إنك لا شك ... علينا من الشهور الطوال
صل علينا وطل وثقل وبالغ ... سترى ما يكون في شوال

وما أحسن ما قال:

شهر الصيام لقد كرمت نزيلا ... ونويت من بعد المقام رحيلا
فعليك ألف تحية منا فقد ... طبنا بوصلك مسمراً ومقيلا

وقيل: لأن الله تعالى خلق النور في ثاني عشر شعبان.

وقيل:

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن حفظنا منه قيل وقالوا

ويسمى هذا الشهر: شهر الكرامة، وفيه يذهب الناس على اختلاف طبقاتهم إلى البساتين، فيقيمون بها على قدرتهم، وسعتهم في الرزق.

وأنشد، وما أحلى ما قال، وأطيبه[2]:

أقول لمن يمر بأرض نجد ... ليظفر من رباها بالديار
تزود من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
وقل أيضاً لمغتنم صفاً ... على معنى يلوح لذي اعتبار

---

(١) وكانت من عادات أهل المدينة: شراء المشبك، وبعض المكسرات، وتوزيعها على الجيران والأولاد الذين يحتفلون تلك الليلة بما يعرف (بسيدي شاهين).

(٢) عبد الله بن الدمينة.

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق على الصغار

وقال آخر:

نلت في ذا الصيام ما تشتهيه ووقاك الإله ما تتقيه
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر بل مثله ليلة القدر فيه

شهر رمضان المعظم:

فيه يعمر المسجد بتلاوة القرآن العظيم ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وتكثر قراءة كتب الحديث فيه كالشمائل، والمصابيح، والمشارق، وصحيح البخاري.

وما أحسن ما قال:

ما لذتي إلا رواية مسند قد قيدت بفصاحة الألفاظ
(ومجالس فيها على سكينة ومذاكرة معاشر الحفاظ)[1]

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي - قدس الله سره العزيز -:

العلم أشرف ما أوتيت من منح والكشف أعظم منهاجاً وأوضحه
فإن سألت إله الخلق مسألة فاسأله كشفاً فإن الله يمنحه

وقال غيره:

العلم من طي الدفاتر فاتر والعلم من نشر الدروس دريس
ما العلم إلا ما آتاك ولم يكن يدريه لا ملك ولا إبليس

وإذا كان الليل: توقد الشموع، وتقام صلاة التراويح بإمام حنفي، وآخر شافعي في المحرابين على سبيل التناوب، فيختم كل منها الكتاب العزيز في صلاة التراويح، ويكون ختم الحنفي في ليلة التاسع والعشرين، والشافعي في ليلة السابع والعشرين، ويكون لذلك الختم

---

(١) انفردت بها النسخة (ب) (ج).

مجمع عظيم، ومهيع كريم، وكل ما يجد منه بحسب حاله. وبالجملة فلا يخلو أحد من إحسان هذا النبي الكريم ونواله.

وما ألطف ما قال:

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة ... ولست على قدر السُّلاف تصاب
ولو أنها أعطتك يوماً بقدرها ... لضاقت بك الأكوان وهي رحاب

وما أصدق ما قال:

كريم يهاب الدهر حرمة جاره ... وما أحد في المحل عن رفده رُدّا
هو الشمس لكن أرمدتنا يد الهوى ... وكيف ترى الشمس الضحى مقلة رمدا؟!

وأما الزوايا[1] فإن أهلها بعد صلاة الجماعة يوقدون فيها القناديل، والشموع، ويقرأ حادي اليمين قافية من الوترية، وهي: قصائد مخمسة مرتبة على حروف المعجم، تشمل على مدح النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وكل ما قرىء بيت منها بالألحان المصوغة، قابله الجماعة بالصلاة على النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ بنغمة شجية تهتز لها الأعطاف.

ثم يصنع كذلك حادي اليسار، فيقرأ بيتاً من الطرافية، وهي قصائد تعارض الوترية، إلا أن بعضها غزل، وبعضها مدح، فلا يزالون كذلك إلى وقت السحر، ثم إنهم ينشدون، ويعملون الموشحات والأذكار اليمانية، ويختمون، فيحصل بذلك رفع بالسامعين والمنفردين الذين لا أهل لهم، ولا ونيس[2].

---

(١) الزوايا: جمع زاوية، وهي مساجد صغيرة، كانت تتخذ مقرات للطرق الصوفية، وفي الوقت الحاضر أزيلت هذه الزوايا من بلاد الحرمين، وما جاورها بجهود أتباع الدعوة السلفية.

(٢) هذه ممارسات الصوفية يضيعون بها الأوقات الفاضلة، ويعتبرونها نوعاً من القربى، وفي الوقت الحاضر بحمد الله ومنته قد زالت بزوال الزوايا.

وفي اليوم السابع عشر من رمضان يذهب المجاورون بالمدينة إلى مسجد قباء، يزعمون أن الإتيان إليه في هذا اليوم بخصوصه، والصلاة فيه سنة، ويذهب كثير من أهل المدينة معهم في ذلك اليوم للزيارة بمقتضى داعية الجمعية[1]، وتوقد القناديل بالمنائر[2] من دخول المغرب إلى طلوع الفجر

---

(١) والأصل في ذلك: الحديث عن محمد بن المنكدر قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأتي قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان ـ رواه عمر بن شبة في «تاريخ المدينة» ـ. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة (ص٥٥٥).
وهناك أحاديث كثيرة وردت في الذهاب إلى مسجد قباء، وأن الصلاة ركعتين أو أربع ركعات فيه تعدل أجر عمرة، وقد خصص بعضها يوم الإثنين، وخصص بعضها يوم السبت، من ذلك حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «كان يأتي قباء ماشياً وراكباً». المرجع السابق (ص٥٥٣).
ومثله في البخاري ومسلم: (كان النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً فيصلي فيه ركعتين). المرجع السابق (ص٥٥٢).
وحديث عن شريك بن عبد الله بن أبي نمير: (أن النبي كان يأتي قباء يوم الإثنين). المرجع السابق (ص٥٥٤).
وحديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ يقول: «من صلى في هذا المسجد ـ يعني: مسجد قباء ـ كان له عدل عمرة» المرجع السابق (ص٥٤٦).

(٢) الخمس المنائر كانت في المسجد النبوي في عمارة السلطان عبد المجيد، وفي العمارة السعودية الأولى أزيلت المنارتان الشماليتان، والمنارة التي على باب الرحمة، وبني بدل الشماليتين فأصبحت منائر المسجد النبوي في هذه العمارة أربع منائر، وفي عمارة خادم الحرمين الشريفين أضيفت إلى سابقتها ست منائر، وبذلك أصبحت منائر المسجد النبوي الشريف في هذا الوقت عشر منائر، وأما الأربع المنائر الأخرى التي ذكرها المؤلف، فلعلها منائر مساجد المناخة، وهي من الشمال إلى الجنوب منارة مسجد علي ـ كرم الله وجهه ـ =

الصادق، إعلاماً بالوقتين لمن كان في أطراف المدينة، ولمن لم يسمع الأذان.

والمنائر بها تسع خمس بالمسجد النبوي، وأربع خارج السور.

وما ألطف ما قال:

تهـــن بشهـــر شـــوال ... وعـــش مسمـــوع أقـــوال
وأبـــق لقصـــاد ... ووفـــاد وســـؤال

شهر شوال المبارك:

أول يوم منه عيد الفطر يجتمع الناس فيه لصلاة العيد في المسجد النبوي، ثم يذهبون إلى زيارة بقيع الغرقد، ثم يرجعون إلى أهاليهم، وأصحابهم، فيتزاورون إلى تمام اليوم الثالث.

وعلى ذكر العيد فما أحسن ما قال:

إن عيـــداً بطيبـــة وصـــلاة ... بمصلى الرســول في يــوم عيــد
نعـم ضـاق واسـع الشكـر عنهـا ... فهـي بشرى لكـل عبـد سعيـد
كـــم تمنيتهـــا فنلـــت التمنـــي ... آخــر العمــر مــن مكــان بعيــد
وإذا كـــان في البقيـــع ضريحـــي ... وتــوســدت طيــب ذاك الصعيــد
فـاشهـدوا لي بكـل خير وبشرى ... عنـــد ربي ومبـــدئـــي ومعيـــد

ولله در القائل:

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة عبد قط ما جزعا
فقـر وصبر همـا ثـوبـان تحتهمـا ... قلب يرى ربة الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بها ... يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي ما تم إن غبت يا أملي ... والعيد ما دمت لي مرأى ومستمعا

= ومنارة مسجد الصديق، ومنارة مسجد المصلى (الغمامة) ومنارة مسجد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ على باب قباء.

وفي اليوم الثاني عشر منه يجتمع خدام الحرم النبوي، ويذهبون إلى مسجد قباء، ثم يتفرقون في البساتين، فيقطفون قلوب النخيل، ليجعلوا منها المكانس التي يكنسون بها المسجد الشريف كما سيأتي.

فإذا كان وقت الأصيل نزلوا إلى المدينة مع حاشيتهم في موكب عظيم، ويبرز أكثر الناس إلى وادي بطحان للتفرج على موكبهم في ذلك الميدان، والتباشر بقدوم الحجاج، ثم إن الخدام من اليوم الثاني والعشرين منه إلى عاشر ذي القعدة الحرام يجتمعون في صفة الخدام مع المنشدين، فيجعلون فصلاً من الموشحات، والأذكار اليمانية، والإنشادات التي أنفاسها رحمانية[١]، وصغار الخدام حول الصُّفة[٢] يصنعون المكانس، ويفرقون الطيب على من يحضرهم من العامة والخاصة.

وما أحسن ما قال:

تهن بذي القعدة فقد أبدى لكم سعده　　فلا أخلفك الرحمن في إنعامه وعده

شهر ذي القعـــدة الحرام:

في اليوم السابع عشر منه يكون كنيس الحرم النبوي، وهو يوم شريف يجتمع الناس فيه في المسجد النبوي، ثم يصعد القاضي، وشيخ

---

(١) مراجعة التعليق رقم (١) ص (٣١٧).

(٢) الصفة: هي التسمية القديمة لدكة الأغوات التي تقع بين باب جبريل وباب السناء المفضيين إلى الساحة الشرقية للحرم النبوي الشريف، ويفصل بين الدكة وجدار الحجرة النبوية من ناحية الشمال مدخل باب جبرئيل، وأما الخدام وهم الأغوات، فكادوا ينقرضون في هذا الوقت، لم يبق منهم إلا بقية يسيرة، وأصبح يقوم على خدمة المسجد النبوي شركات متخصصة في الصيانة والنظافة، ويقوم رجال خاصون بالحراسة، وتوجيه الناس إلى ما ينبغي عمله، أو نهيهم عما لا ينبغي عمله في الزيارة، وغير ذلك.

الحرم[١] مع الخدام، والفراشين إلى سطح المسجد الشريف، فيكنسونه، ويرمون من دائريه في صحن المسجد للفقراء، والأطفال التمر، والفتوت، وهو ينادون: العادة يا سادة! ثم إنهم ينزلون إلى الروضة المطهرة، ويرفعون ما فيها من المصاحف والأجزاء داخل الحجرة المعطرة خوفاً عليها من همج الحجاج[٢]، ثم يرفعون البسط إلى الحواصل[٣] التي بالمسجد الشريف، ثم يذهبون إلى البساتين، وما في معناها[٤] وهو يوم معدود من الأعياد، وعادات السادات، سادات العادات، وربما أنكر ذلك بعض الواردين إلى المدينة الشريفة من أصحاب الأغراض، بل الأمراض الباطنية بشهادة أفعالهم الدنيئة، وكيف يجوز الطعن على جيران سلطان الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام في سُنَّةٍ[٥] مشى عليها الأولون، ولم ينكرها عليهم علماؤهم، وما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله تعالى حسن[٦]، ولكنها الأهواء عمت فأعملت.

وما أحسن ما قال:

ولو أنها تمشي الهوينى عذرتها ... ولكنها تمشي وتسرع في الوحل

وفي اليوم السابع والعشرين منه: يكون قدوم الركب الشامي[٧] وهو

---

(١) شيخ الحرم: هو الحاكم الإداري للمدينة المنورة.

(٢) ما كان ينبغي من المؤلف الفاضل استعمال هذه العبارة، ولو استبدلها بجهلة الحجاج لكان أجمل.

(٣) الحواصل: هي المستودعات التي كانت في شمال المسجد النبوي، وأزيلت في التوسعة السعودية الأولى، وأصبحت جزءاً من المسجد.

(٤) لعل ذلك للتنزه، وأصبح عادة اجتماعية.

(٥) المقصود ليس السنة النبوية، وإنما يقصد المؤلف العادة والطريقة التي سار عليها أهل البلد.

(٦) أي: في العادات والتقاليد، وما لا يخالف الشريعة الإسلامية.

(٧) أي: من الشام ماراً بالمدينة، ثم إلى مكة.

يوم معدود، وموسم مشهود، لا يبقى في المدينة كبير ولا صغير، ولا جليل ولا حقير[1] حتى تشمله بركته[2]، وتعود عليه بخير حركته.

ثم إن أمين الصرة[3] يأتي إلى المسجد النبوي بالأمانات الرومية[4]، فيفرقها على أهاليها، ويسلم الوظائف السلطانية إلى حكام المدينة السنية، فتفرق على أصحابها، وهم على هذه المنن، والصِّلات، والخيرات، والهبات، ومنهم الضالع، ومنهم الضليع، ومنهم الناهض، ومنهم القعيد، ولا يزال التقدير يضحك من التدبير ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾[5] وهو الواحد في الكل، المتصرف بحكمته في مملكته كما يشاء ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[6] ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[7] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾[8].

نكتة:

قال بعض أهل المدينة: أيام هذا الموسم ثلاثة أيام، الأول: يظهر

---

(١) ما كان ينبغي للمؤلف الفاضل استعمال كلمة حقير، ولا سيما لأحد من سكان المدينة مهما كانت حالته المادية أو الاجتماعية.

(٢) يعني هنا: أن قدوم الركب الشامي إلى المدينة ينتج عنه حركة في الأسواق والأعمال، مما يجعل سكان المدينة يستفيدون من ذلك نتيجة لقيامهم بالبيع والشراء على الحجاج، وبعض الأعمال الأخرى.

(٣) أمين الصرة: هو مسؤول كبير يحمل الأموال المخصصة لأهل المدينة المبعوثة من قبل الدولة العثمانية.

(٤) يعني: عاصمة الدولة التركية.

(٥) سورة يوسف الآية رقم (٢١).

(٦) سورة الشورى الآية رقم (١١).

(٧) سورة البقرة الآية رقم (٢٢٥).

(٨) سورة البروج الآية رقم (٢٠).

برقيقة من رقائق قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1]، واليوم الثاني: يظهر بسرّ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[2] واليوم الثالث: يظهر بلطيفة من لطائف قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[3].

وما المجلوب إلى المدينة من فواكه الشام، وكسوتها، وتفاريقها، فيعجز القلم عن وصفه، وبه يظهر سرّ تسمية المدينة المنورة: (آكلة القرى)[4].

والحمد لله رب العالمين على هذا الإنعام العام، والله تعالى يخلد هذه النعم بدوام أيام دولة آل عثمان إلى يوم القيامة[5]، إنه رحيم كريم، ذو الإفضال، وذو الجلال والإكرام.

وافاك ذو الحجة يا ذا الحِجا	بكل ما ترجو وما تطلب
يهفو للذي ناداك بين الملا	وكل من والاك لا يغلب

شهر ذي الحجة الحرام:

بكسر الحاء، أفصح من فتحها.

---

(١) سورة إبراهيم الآية رقم (٤٢).
(٢) سورة الحج الآية رقم (٢).
(٣) سورة الأحزاب الآية رقم (٢٣).
(٤) لعله يشير إلى قوله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «أمرت بقرية تأكل القرى».... الخ رواه البخاري والنسائي ومالك وغيرهم.
(٥) المؤلف ـ رحمه الله ـ يردد الدعاء لدولة زمانه بالخلود الدولة العثمانية، وأما في الوقت الحاضر فقد انحسر امتداد تركيا الحديثة خارج البلاد العربية والأقاليم الأخرى، حيث استقلت جميع الأقاليم العربية عنها، وغيرها وأصبحت دولاً، ولم يعد لها أي ارتباط رسمي بالدول العربية إلا من خلال العلاقات كدول مستقلة.

قال الراجز:

وفتح قاف قعدة قد صححوا وكسر حاء حجة قد رجحوا

في أول يوم منه يكون خروج قاصدي الحج من سكان المدينة المنورة ممن ساعدتهم الأيام، وجنبتهم موجبات الملام.

وما أحسن ما قال:

يا قاصدي حمى ليلى وقد ضمنت لقاصديها مدى الأيام أفراحا
إنا أقمنا على عجز ومسكنة ومن أقام على عجز كمن راحا

وقال آخر:

للحج فضل وكل من عرفه يسعى على رأسه إلى عرفة
فقل لمن خيموا بسفح منى وخلفونا من بعدهم ضعفة
ليالي الصيف في مدينتنا تحاكي ليالي مِنى ومزدلفة

وقال غيره:

إذا زمزم الحادي بألحان سجعهم وسابقة ركب من الدمع في خدي
سيغب بحمر من الجفن بعدهم من الرمل بيضاء لأرعى لهم عهدي

مسألة:

هل تكون وقفة الجمعة بسبعين حجة كما قيل؟ قال ابن قيم الجوزية: ليس لذلك أصل، ولا رأينا نقلاً في ذلك، لكن ينبغي أن تكون أفضل من غيرها، كما أن يوم الجمعة أفضل من سائر الأيام، كذا في «مناسك» أبي زيد المكي.

قال صاحب «زهر البساتين» وقال الملا علي قاري[1] في «شرح لباب

---

(١) ملا علي قاري: علي بن سلطان محمد الهروي القارىء الحنفي، نور الدين: عالم مشارك في أنواع العلوم، ولد في هراة، ورحل إلى مكة، واستقر بها إلى أن توفي عام (١٠١٤هـ) من تصانيفه الكثيرة: «مرقاة المفاتيح لمشكاة =

المناسك»: لوقفة الجمعة غيرها بسبعين درجة، وقد ألفت في هذه المسالك رسالة سميتها: «الخطأ الأوفر في الحج الأكبر» وقال: الحج لا يكفر شيئاً من المظالم المتعلقة بحقوق العباد، بل تبقى على ذمته حتى يؤديها إلى أهلها، أو يستحل منهم، أو يكون تحت المشيئة.

وفي «شرح منية المصلي» للحلبي: يؤخذ في مقابلة دانق من مال الغير سبعمئة صلاة مقبولة.

وما أحسن ما قال:

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم ... وما عليك إذا أذنبت من باس
إلا اثنين فلا تقربهما أبداً ... الشرك بالله والإضرار بالناس

وما ألطف ما قال:

من نال منيّ أو علقت بذمته ... أبرأته لله شاكراً منّته
أنا لا أعوق مؤمناً يوم الجزاء ... إنما لا أسوء محمداً في أمته
والله لا طالبت عبداً عنده ... ولئن طلبت رجوت أوسع رحمته

مسألة:

هل كان الحج واجباً على من قبلنا أو لا؟ فيه خلاف.

قال ابن خليل: الصحيح أنه لم يجب إلا على هذه الأمة، وأما مشروعيته فمستمرة من آدم ـ عليه السلام ـ بل قبله إلى آخر الدهر، فحجة الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام. كذا في «المناسك».

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة يجتمع الناس بالمسجد النبوي،

= المصابيح» «تلخيص القاموس» وسماه الناموس، «شرح الراية في رسم المصحف» «شرح الرسالة القشيرية» في التصوف، و«أنوار القرآن وأسرار الفرقان» وغير ذلك كثير. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (ج٧/ ص١٠٠) الأعلام (ج٥/ ص١٣ ـ ١٤).

يتعرضون لنفحات الله تعالى، وكان عليه وعلى آله الصلاة والسلام يقف في مثل هذا اليوم بعرفات، وهو موضع بقباء وقد تقدم ذكره[1].

وفي اليوم العاشر منه: يكون العيد الأكبر، فيكون فيه ما يكون في عيد الفطر من التزاور والتطاعم بزيادة في الأضاحي.

وما أحسن ما قال:

تهن بعيد النحر وانحر به العدى — فلا زالت مسعوداً ولا زالت مسعدا
ولا زال ما تهواه منك مقرباً — وكل الذي تشناه عنك مبعدا

فائدة:

في كتاب «البركة في السعي والحركة»: عن السلف صيام يوم من عشر ذي الحجة يعدل صيام سنة، وليلة منها بليلة القدر.

وأنشدوا في ذلك:

صم عشر ذي الحجة وارغب إلى — رب العلا في الفوز بالجنة
فهو كما قد جاء لمن صامه — في عرصات الحشر كالجنة

تتميم:

رأيت بخط بعض الفضلاء: أن من كانت له إلى الله تعالى حاجة، فأتى قبر سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ وهو قبلي باب البقيع داخل السور، وذلك في اليوم العاشر من ذي الحجة، فصلى ركعتين، وقرأ الفاتحة، وسورة الإخلاص بإخلاص مئة مرة، وصلى على النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وتوسل إلى الله تعالى في قضاء حوائجه، قضيت بعناية الله تعالى وكرمه[2].

---

(١) هذا الموضع غير معروف في هذا الوقت، ولم أطلع عليه فيما اطلعت عليه من كتب تاريخ المدينة أو غيرها. والله أعلم.

(٢) بالنسبة لقبر إسماعيل بن جعفر، فقد أدخل ضمن سور البقيع بعدما أزيل =

وما زال هذا الشبه باللأواء، وضيق الصد[1]، ولم تزل النفوس تترقب الأخبار إلى عشرين منه، فيردها بعض أهل الركاب من الحجاج، ثم لا تزال تتصل القوافل، وتدور أحكام الأيام، كما يريد الملك العلام، إلى أن يبلغ الكتاب أجله ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ.

السنة الشمسيـة:

وأما ما يتعلق بالسنة الشمسية فهي أربعة فصول، وما أحسن ما قال:

فصول لأوقات الزمان جميعها بـأربعـة معتـادة العـود والكـر
ربيع وصيف مع خريف وبعده شتـاء إلى يـوم القيـامـة والحشر

الفصل الأول، وهو فصل الربيع: وهو ثلاثة بروج: الأول: برج الحمل، وهو أول السنة البروجية، وأول يوم منه يوم النيروز، فيه يعتدل الزمان، ويطيب الهواء، وتنحسم مادة الأدواء، وتتنسم نسمات الأسحار، وتبتسم أنوار الأزهار، وتسجع الأطيار على الأغصان، وتنشد بلسان حال البستان، وما أحسن ما قال:

هـذا الـربيـع وهـذه أنـواره طاب الزمان وأورقت أشجاره

= السور والأحياء التي كانت تقع بين المسجد النبوي والبقيع، وقد شرعت زيارة القبور للعبرة والتأهب للموت، كما قال ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ: «زوروها فإنها تذكركم بالموت» وأما الدعاء عندها، والصلاة فيها، وطلب الحاجات، فأمر منهي عنه، وطلب الحاجات لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى.

(١) نتيجة لغياب من حج من أقاربهم مع انقطاع الأخبار، وكثرة الحوادث، وذلك بعكس الوقت الحاضر حيث لا يستغرق الحج من المدينة إلا أياماً قلائل، مع وجود المواصلات المريحة، والاتصالات المستمرة بحيث يعلم كلٌّ بما عليه أقاربه مهما بعدت المسافات.

فاضطرب على صوت الهزار وغنى　　هـــذا هـــواك وهـــذه آثـــاره

وقال ابن تميم:

بعـث الـربيـع رسـالـة بقـدومـه　　للـروض فهـو بـوصلـه فـرحـان
ولطيـب مـا قـرأ الهـزار بشجـوه　　مضمـونهـا مـالـت بـه الأغصـان

وقال غيره:

ضحك الروض من بكاء الغيوم　　وحكـى زهـره زهـر النجـوم
وقـدوم الـربيـع أحيـا الأراضي　　بـأقـاح تبسمـت للقـدوم
ولســان الطيــور سبــح لمــا　　شاهدت في الحديث صنع القديم
وغصون الرياض يا صاح مالت　　في حلى الـزهـر ميـل قـدٍّ قـويـم
فاعتنق من صفا عيشك غصناً　　سوف تثنيه عنك أيدي الهموم

لطيفـة:

قال ابن غانم[1] في كتاب «كشف الأسرار، واختلاف الأهواء في الفصول الأربع»[2] بما هو أصلح وأنفع: فيهب في الربيع شمالاً فيلقح الأشجار، ويعدل الليل والنهار، ويهب في الصيف صباً فيبني الأثمار، ويزهي الأشجار، ويهب في الخريف جنوباً فتأخذ كل ثمرة حد طبيعتها، وتستوفي حق تركيبها، ويهب الشتاء بوراً، فيخف عن كل الشجر ورقها، ويبقى أصلها فيه تنمو فيه الثمار، وتزهو الأشجار، وتسلسل الأنهار، وتستروح الأسرار.

---

(١) ابن غانم: هو عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي، عز الدين: حكيم صوفي، واعظ، له تصانيف منها: «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» «الروض الأنيق في الوعظ الرشيق» «كشف الأسرار ومناقب الأبرار ومحاسن الأخبار» وغير ذلك. معجم المؤلفين عمر رضا كحالة (٥/ ٢٢٣).

(٢) الصحيح الأربعة؛ لأن الفصل مذكر.

وما أحسن ما قال:

ألم تــر أن نسيــم الصبــا ... لــه نفــس نشره صــاعــد
فطــوراً يفــوح وطــوراً يبــوح ... كمــا يفعــل الــواجــد الفــاقــد
وسكــب الغمــام ونــدب الحمــام ... إذا مــا انثنــى الغصــن المــائــد
ونــور الصبــاح ونــور الأقــاح ... إذا هــزه البــارق الــراعــد
ووافى الــربيــع بمعنــى بــديــع ... يترجمــه وردُه الــوارد
وكــل لأجلــك مستنبــط ... لمــا فيــه نفعــك يــا جــاحــد
وفي كــل شيء لــه آيــة ... تــدل على أنــه واحــد[1]
وكــل لألائــه ذاكــر ... مقــر لــه شــاكــر حــامــد

وقال آخر:

يا طيب ما نقل النسيم لمسمعي ... عـن نشر ذيـاك المحـل الأرفـع
هب النسيم صباً ليبرد لوعتي ... فـأثـار نـار حـرقتي وتـوجعـي
مــا ذاك إلا أنهــا لمــا سرت ... مـرت على تلـك الـربـا والأربـع
وأتت بوصف أحبتي في طيبها ... فسكرت حتى لا أفيق ولا أعي
وافــت تبشرني بليلى أنهــا ... في حسنهـا سفـرت ولم تتبرقـع
وجلـت على عشـاقهـا في حـانهـا ... وجهـاً تمنّـع في حمـى متمنـع

وقال آخر:

هبــت لنــا ريــح شمــاليــة ... أتــت إلى القلــب بــأسبــابِ
أدت رســالات الهــوى بيننــا ... عــرفتهــا مــن بين أصحــابي

وقال آخر:

يحـدثـني النسيـم عـن الخـزامـى ... ويقـريني عـن الشيـح السـلامـا
ويسري تحـت جنـح الليـل سراً ... فيـوقظـني وقـد هجـع النـدامـى

---

(١) هذا البيت لأبي العتاهية. الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية (ص٩٦).

وأسكر من شذاه حين يسري   كأني قد ترشفت المداما
أهيم بنشره طرباً وسكراً   فيبدي البرق من طربي ابتساما
يمر على الرياض رياض نجد   فتنعطف الغصون له احتشاما
ويقلقني حمام الأيك نوحاً   ويذكرني في المنازل والخياما
خياماً تجمع الأحباب فيها   وفيها يبلغ القلب المراما
تجلى وجه من أهواه فيها   بحسن نوره يجلو الظلاما

وفي العشرين من الحمل: يكون طلوع الفرع المؤخر مع الفجر، وفي الرابع عشر يتوسط مع الفجر أول الشوالة، وفي اليوم الحادي والعشرين منه يدخل نيسان، وفي اليوم الحادي عشر من نيسان، وهوأول الثور يكون عيد النصارى، وأول الخماسين يكون يوم الإثنين بعده، وهي أثقل أيام السنة على الأجساد.

الثاني: في برج الثور في اليوم الثاني منه يتوسط مع الفجر رابع الواردة، وفيه يتوسط راعي النعائم، وفي الرابع عشر نير البلدة في السابع عشر.

الثالث: برج الجوزاء، وينتهي طول النهار، وقصر الليل في آخره، ويتوسط شمالي سعد الذابح في ثامنه، وتطلع الثريا في عاشره، ونير بلع في سادس عشره، ونير سعد السعود في السابع والعشرين منه.

الفصل الثاني، فصل الصيف: وهو ثلاثة بروج:

الأول: برج السرطان، وهو برج الانقلاب الصيفي، وإبان الفواكه، والثمار، ويتوسط في عاشره وسط الأخبية، وفي ثامن عشره شمالي الفرغ المقدم.

الثاني: برج الأسد، وفيه يشتد الحر، وفي أوله يتوسط شمالي الفرغ المؤخرة، وفي ثالث عشره: الرشا، وفي الثاني والعشرين: الشرطين.

الثالث: برج السنبلة، يتوسط نير البطين في خامسها، وفي ثامنها

تطلع البجهة وسهيل، إذا ناءت سقطت الجمرة الأولى في الهواء.

قال الصفدي في «تذكرته»: الجمار ثلاثة كواكب: زاهرة تطلع في آب واحد بعد واحد، فتكون بطلوعها أول البرد، ثم تنحط في شباط فيكون بسقوطها زواله، وفي سابع عشر السنبلة يتوسط نير الثريا، وفي الخامس والعشرين منها يتوسط نير الدبران، وفيها تكثر السحب الفارغة، وتجد النخيل.

الفصل الثالث فصل الخريف:

وهو ثلاثة بروج: الأول: البرج الأول: الميزان، فيه يعتدل الزمان، ويأخذ النهار في النقصان، ويسمى المهرجان، وهو زمان زرع الحنطة، والشعير، وطيب الهواء في الروض النضير، قال ابن الوكيل وما ألطف ما قال:

ولما جلا وجه الخريف محاسناً ... وصفق ماء النهر إذ غرد القمري
أتاه النسيم الرطب رقص دوحه ... فنقط وجه الأرض بالذهب المصري

وقال الحكيم:

احذر أخي هو الخريف فإنه ... مستعـذب مستطلـف خطـاف
يسري إلى الأجساد في غسق الدجى ... بلطـافـه ومـن اللطيـف يخـاف

في الحادي عشر من الميزان: تتوسط الهقعة مع ثاني النظوم، وفي الخامس والعشرين منه يتوسط نير الهنعة.

الثاني: برج العقرب: يتوسط في عاشره آخر الذراع، وفي الثالث والعشرين منه تتوسط النشرة الثالثة برج القوس، وهو نهاية طول الليل، وغاية قصر النهار. وفي ذلك يقول القائل:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها ... وهجره النار يصليني به النارا
فالشمس بالقوس أضحت وهي نازلة ... إن لم يـزرني وبـالجـوزاء إن زارا

في ثالثه: يتوسط شمالي الطرف، وفي ثاني عشره قلب الأسد، وجنوبي جهة الأسد، وفي الثامن والعشرين منه الزبرة.

الفصل الرابع فصل الشتاء:

وهو ثلاثة بروج: البرج الأول: برج الجدي، وهو أول الليالي، وتسمى الأربعين، ويباري طوبه بحساب الزارعين، أو هي في النصف بحساب أهل التاريخ، وفيها يشتد البرد، ويحسن غرس الأشجار والكروم، وفيه يبدو الطلع[1].

وأنشد لنفسه قطب الدين الحنفي في باب التورية، وما أوقع ما قال:

تـوق مـن الشتـاء ولا تخـاطـر بنفســك قــائــلاً إني جليــد
فرضنا أن جسمك من حديد فهـل يقـوى على البرد الحـديـد

يتوسط الطرف في سابعه، وزاوية العوافي في ثالث عشره، والسماك في آخره، وتطلع الشولة في سادسه.

ومن غريب الأخبار: أن المال المدفون عند طلوعها لا يوجد إلا عند طلوعها ثانية من العام القابل[2].

الثاني: برج الدلو: وهو قلب الشتاء، ويباري أمشيري، وهو في السادس عشر منه، وهو برج الحصاد، وفيه يحسن غرس النخل، والبطيخ، ويتوسط العقرب في ثاني عشره.

الثالث: برج الحوت، فيه تكثر الأهوية، وفي الحادي عشر منه يطلع سعد السعود، ويجري الماء في العود، ويقال: غرس النخل في الحوت من عمل أهل البخوت، ويتوسط أوله شمالي الزبانا، وفي الرابع عشر

---

(١) انظر الملحق رقم ٥.

(٢) هذه المسألة ليس لها سند من عقل يدل على صحتها، ولا نقل علمي يثبت وقوعها.

نير جهة العقرب، وفي الثالث والعشرين منه قلب العقرب، وعلى هذا تدور الفصول.

وفي ذلك قال:

أدام الله عـــزك في سعـــود بهـا وبمجـدك العـالي تصـول
وأفــلاك السعــادة دائــرات بجـاهـك مـا تعـاقبـت الفصـول

مسألة:

إذا كان الفرقدان فوق الجدي، فالمتوسط الزبانا، فإذا كان غربيه في محاذاته فالمتوسط سعد بلع، فإذا كانا تحته فالمتوسط البطين، فإذا كانا شرقيه فالمتوسط الطرف.

مسألة:

تسقط من الماضي في أيام السنة القبطية ستة، وقيل: سبعة، ومن الباقي لكل منزلة من الزبرة ثلاثة عشرة إلا منزلة آخر السنة، فتسقط لها أربعة عشرة في البسيطة، وخمسة عشرة في الكبيسة، فالمنزلة الطالعة للفجر، حيث تنتهي، والغاربة الخامسة عشر منها.

قاعدة:

يغيب القمر في كل ليلة على مضي ستة أسباع ساعة من أول الشهر، فإذا كانت الليلة الخامسة عشر طلع على مضي ستة أسباع ساعة، وهكذا إلى تمام الشهر.

قاعدة:

يغرب القمر على مضي نصف سبع الليل من أول الشهر، وفي الليلة الثانية على سبع، وهكذا.. ويطلع في الليلة الخامسة عشر على نصف سبع، وهكذا فإذا ضربت ماضي الليالي ونصف الأول من الشهر في أربعة، وطرحت الخارج خمسة خمسة كانت كل خمسة ساعة مضت من الليل وقت غروب القمر إلى أربعة عشر، وهكذا تفعل بالماضية بعد

ذلك، وما بقي أقل من خمسة، فهو من أخماس ساعة.

قاعدة:

زد على السنة الماضية من القبطية مئة وخمسة وسبعين يوماً، واطرح من المجموع لكل برج من الحمل ثلاثين، فحيث تنتهي تكون درجة الشمس، فإن زاد المجموع على دور فاجعل لكل مما زاد واحداً وثلاثين، وهكذا.

قاعدة:

خذ للقبطي ما زاد على اثنين وتسعمئة من السنين العربية بالقبطية التي دخلت فيها، وأسقط منها الازدلاف، وهو أن تخرج السنة العربية، ولا تدخل فيها سنة قبطية، وزد على الباقي ألفاً ومئتين وثلاثة عشر، فما اجتمع فهو عدد السنين القبطية، زد عليها خمسمئة وتسعين يحصل عدد سنتك السريانية التي تدخل في بابه من تلك السنة القبطية، وعدد السنة الرومية التي تدخل في طوبه من تلك السنة المفروضة.

وإذا أردت معرفة ما أنت فيه من الأشهر القبطية، فاحسب ما مضى من السنة العربية شهراً تاماً، وشهراً ناقصاً، فما اجتمع زد عليه رأس السنة القبطية، وهو عبارة عن الماضي منها قبل دخول سنتك العربية، فإن كان المجتمع أقل من سنة قبطية فاطرحه ثلاثين ثلاثين، وابدأ من توت تنتهي إلى شهرك القبطي، وإن كان المجتمع أكثر من سنة فاطرح سنة، وافعل بالباقي كما تقدم.

قاعدة:

الثالثة والرابعة من السنين العربية والقبطية كبيسة، وما عدا ذلك بسائط.

فائدة:

الكواكب ما عدا السبعة السيارة في الفلك الثامن، ويسمى:

المكوكب، وأصغر كوكب يرى من الثوابت كلها أكبر من زحل، وزحل مثل كرة الأرض إحدى وتسعون مرة، وقطر الأرض ستة آلاف وخمسمئة وأربعة عشر ميلاً. كذا في كتاب «سر الفلك».

قال بعضهم: العالم كرة، والأرض نقطة، والأفلاك قسي، والليالي أوتار، والحوادث سهام، والإنسان هدف، والله الرامي ـ ففروا إلى الله منه ـ انتهى.

□ □ □

فصل

أهل المدينة

- صفات أهل المدينة
- بعض صفات سكان المدينة
- المجاورون
- من خصائص المدينة
- حق الجار
- ما يجب على المجاور من سلوك في المدينة

لا ريب أن أهل المدينة المنورة من أسعد هذه الأمة بجوار سلطان الأنبياء، وصدق التوسل به، والانتماء إليه ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وأوصاف الأشراف، أشرف الأوصاف، على أن في المدينة قوماً من أهاليها كأنهم لآليها، وقال:

تنازعوا درة الصهباء بينهم — وأوجبوا لرضيع الكاس ما يجب
لا يحفظون على النشوان زلته — ولا تريبك من أخلاقهم ريب

أو هم كما قال:

قوم همُ في الدجى للناس أقمار — وهم لمن هجر الأوطان أوطار
وأين حلوا يحل الخصب حومتهم — كأنهم مثل ما قد قيل أمطار
هم العيون فإن تبصر هدى فبهم — وفي الهدى ليس بعد العين آثار
سلهم وسل عنهم إن كنت ذا وطر — فعندهم لذوي الحاجات إيثار
وحل حلتهم تسعد فهم عرب — تحمي النزيل ولا يوذى لهم جار
وانعم إذا كنت تهواهم بعيشتهم — واصحبهم إن نأت يوماً بك الدار

وما أحسن ما قال:

قوم بأحمد في الأنام تمسكوا — وبتربه بين الكرام تمسكوا
وبحبه في العاملين تهتكوا — بوداده حج لهم وتنسك
لا يربحون سواه في مقصود

يرجون أحمد عندنا غايات المنى — وبه يزيلون المشقة والعنا
متوسلين به يرومون الغِنى — لله در قلوبهم لهم الهنا
حلوا به في المنزل المسعود

الحب أبلاهم وانحل جسمهم — والحق أفنى في الحقيقة رسمهم
قد أدغموا في حب أحمد اسمهم — مذ صيروا وادع المحبة وسمهم
فهم لأحمد من أقل عبيد

قد أشربوا كأس المحبة مترعا — فلذاك قد صرعوا فيا لك مصرعا

نالوا الفخار به وأطالوا منبعا وزهت فروعهم كغصن أينعا

فهم بأحمد في علو وصعود

متحققين بنوره في قدسهم أحياء قد عاشوا به في رسمهم

متطلعين لحسنه في أنسهم متشرعين بفعله في حسنهم

خلفاؤه في عزة وسعود

ولاهم الرحمن عنه نيابةً ملك الوجود عنايةً ومثابة

نالوا بأحمد في الأنام مهابة نور تلبيه القلوب إجابة

مهما دعا للعشق ورد ودود

وأنشد لنفسه العفيف التلمساني[1] قدس الله سره العزيز:

عندي لكم يا أهيل كاظمة أسرار وجد حديثها عجب

أرى بكم خاطري يلاحظني من أين هذا الإخاء والنسب

وقال آخر:

ألا إن لي في أرض طيبة جيرة شددت مهما طراً حادث أزري

كرام إذا ألقى الزمان صروفه جعلتهم في كل نائبة ذخري

وما أحدثت أيدي الزمان لمساءة وواقيتهم إلا أنقمت من الدهر

إذا كان عمر المرء طيب حياته فإن طريف المال كالواو في عمرو

---

(١) العفيف التلمساني: (٦١٠/ ٦٩٠هـ) هو سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، تنقل في بلاد الروم، وسكن دمشق، ومات فيها، وباشر فيها بعض الأعمال، فكان يتصوف ويتكلم على اصطلاح القوم، يتبع طريقة ابن العربي في أقواله وأفعاله، واتهمه فريق برقة الدين، والميل إلى مذهب النصيرية، وصنف كتباً كثيرة منها: «شرح مواقف النفزي»، و«شرح الخصوص» لابن عربي، وكتاب في «العروض»، وشعر مجموع في ديوان، «وشرح منازل السائرين» للهروي. الأعلام (ج٣/ ص١٠٣).

صفات أهل المدينة:

من أهل المدينة من رضي بالمقيل في خمائل الخمول، وحسم إلا عن الضرورات مادة المأمول، فلا تراه إلا مجموعاً في ذاته ممتعاً في وجود بلذاته، فقد آثر الوحدة على الاجتماع، وضيق المعاش على الاتساع متمثلاً في هذا الحال بقول من قال:

إذا قنعت بقوت ... ولبس ثوب مرقع

ولم تكن لي عيال ... نفسي لهم تتفجع

ولا بنون صغار ... قلبي بهم يتقطع

ولا صديق صدوق ... فراقه توقع

وكان لله نسكي ... فما بي الدهر يصنع

وقال آخر:

لله تحت قباب العز طائفة ... أخفاهم في رداء الفقراء إجلالا

هم السلاطين في أطمار مسكنة ... استبعدوا من ملوك الأرض أقيالا

غُبْرٌ ملابسهم شم معاطسهم ... جروا على فلك الخضراء أذيالا

هذي المناقب لا ثوبان من عدن ... خِيطا قميصاً فعادا بعد أسمالا

يُروى: أن الرشيد ظفر في خزائن بني أمية برقعة من الحرير الأخضر، مكتوب فيها بالذهب الأحمر هذان البيتان، وما أحلى ما قال:

إذا سد باب عنك من دون حاجة ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابها

فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك سوءات الأمور لاجتنابها

وقال آخر:

ولا تك مبذالاً لعرضك واجتنب ... ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وسم بجميل الصبر نفسك واغتنم ... شريف المزايا لا يفتك ثوابها

تعش سالماً والقول فيك مهذب ... كريم وقد هانت عليك صعابها

وتندرج الأيام والكل ذاهب ... يمر ويفنى عذابها وعذابها

وما الدهر إلا مر يوم وليلة ... ولا العمر إلا طيها وذهابها

وقال غيره:

أخص الناس بالإيمان عبد خفيف الحاد شيمته الوقار
له بالليل حظ من قيام ومن صوم إذا جاء النهار
وفيه عفة وله خمول إليه بالأصابع لا يشار
تقل الباكيات عليه إن ما قضى نحباً وليس له يسار
فذلك قد نجا من كل هم ولم تمسسه يوم الحشر نار

ومنهم المحسن المؤثر على نفسه على ضيق الحال، وشدة البأس، وكان يقال:

ليس العطاء من فضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

وما أوقع ما قال:

الناس اثنان في زمانك ذا إن تبتغ غير دين لم تجد
هذا بخيل وعنده جدد ذا جواد بغير ذات يد

وكان يقال: الكريم إذا وهب لم يهب، وكان يقال: أجدني أشتهي ما لا أجد، وأجد ما لا أشتهي، وكان يقال: جد بما تجده.

وقال الحكيم:

إذا جاد يوماً عليك الزمان فجد فيه للناس وابسط يداك
وإن أمسك الدهر عنك الغناء فنفسك دنها ودع من عداك

وقال آخر:

الجود وجد فإن لم يأت عن سعة فذاك ضرب من التبذير والكلف
فإن وجدت فلا تبخل وإن عدمت يداك فاحذر من الإملاق

وقال غيره:

إن أوصل الدهر أيدينا لمكرمة ثم امتنعنا فلا نلنا أمانينا
أو عاند الدهر إذ بالعجز خصصنا فالذنب للدهر كف العجز أيدينا

وقال غيره:

رب حـــي ليـــس فيـــه أمـــل يـــرجـــى لنفـــع وضر
وعظـام تحـت التراب وفـوق الـ أرض منهـا آثـار حمـد وشكـر

وقال لسان الحال:

قوم مضوا كانت الدنيا تزال بهم والدهر كالعيد والأوقات أوقات
ماتوا وعشنا فعاشوا بعد موتهم ونحن في صدور الأحياء أموات

ومنه من يكسب، وتكون الخصاصة التامة، والفاقة العامة، فلا تراه يشكو مضرته، ولا يقبل من أحد منته، بل ينتظر الفرج من رفيع الدرج، ويستدين على آماله في رحمة الله ونواله. وكان يقال: سعف النخيل خير من إسعاف الخليل.

وكان يقال:

لا تظهـــر لعـــاذل أو عـــاذر عليـــــك في السراء والضراء
فلـــرحمـــة المتـــوجعين حـــرارة في القلـب مثـل شمـاتـة الأعـداء

وكان يقال: من الخطوب المدلهمة عزة النفس وبُعد الهمة، ولا يصلح للإخاء غير أهل السخاء. وكان يقال: حسبك كسبك، ولا يخلق الديباجة كالحاجة. وقد قلت:

تـــوكـــل ولا تتكـــل واحتســـب فمـــا ذاك صـــد عـــن الإشكـــال
وإن اكتســـابـــك في نفســـه لمحـض اتكـال على كـل حـال

قال بعضهم: مضغ القيصوم والشيخ خير من النظر إلى الشحيح، وإنما الشهد من وراء الجهد، والحُر المحتاج إذا وقع في لجاج يجترىء بالبقل، ويقنع به وإن قل الملح والكراث.

والملـح والكـراث أشهـى عنـدنـا مـن أكـل مـامـونيـة بـالسكـر
ومشـــاهـــد الحـــرمين أعلى رتبـة مـن أن نقيـم بـدار ملـك أكبر

وقال آخر:

كسرة خبـــز وكـــف ملـــح وفـــرد ثـــوب مـــع الســلامـــة

خير من العيش في نعيم تكون من بعده ندامة

وقال غيره:

نصف رغيف مشبع لمن أكل فالذل من أي الوجوه يحتمل
هون على نفسك فالدهر دول والغاية الموت وإن طال الأجل

وقال غيره:

مطيتنا للمنزل الرحب صبرنا على الضيم إن النفع في ذلك الصبر
ومن يقتبس نار الكريم فشرطه ولا بد ترك الأهل بالطوع والجبر

وقال أبو حيان:

إذا المرء أضحى للمراد مطلقاً وحاز عنان النفس فهو موفق
وإن دام محجوباً بأهل وموطن فلا شك في بحر التساريف يغرق

على أن المطلوب في الدنيا سلامة الديابجة، ومفارقة ذل الحاجة. فقد جاء أن آدم ـ عليه السلام ـ كان زارعاً. وصح أن سبعين نبياً ماتوا جوعاً، والحمد لله الذي أكرم بني آدم بمزيتي: العقل، والتبين، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[1].

ومن دعاء أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، ورضي الله عنه: (اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذر جاهي بالإقتار فأسترزق)[2] طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، فامنحني بحمد الله من أعطاني، وأفتن بذم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع، إنك على كل شيء قدير، يا نعم المولى، ويا نعم النصير.

ومن أحسن التوسل:

إلهي أنت تعلم أن ضعفي بعفوك من عذابك يستجير

---

(١) سورة النحل الآية رقم (٤).
(٢) انفردت به النسخة (أ).

وإني يـا غنيّاً عـن عـذابي إلى أن لا تعـذبنـي فقير

ومنه وما أحلى:

إلهـي قـد مننـت بكـل خير علينـا مـن مـواهبـك الجـزيلـة
وقـد عـودتنـا لطفـاً جميـلاً فـلا تقطـع عـوايـدك الجميلـة

ومنهم: المبتلى بأسنة الألسنة، والله تعالى أعلم بالسراير. وكان يقال: لا سلامة من الناس، ولا غنى عنهم، فاصحبهم على قدر الحاجة، وما أوقع ما قال الأمير علي بن المقرب[1]:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فلا عجب أن أسلمتك الأباعد
فلا تشك أحداث الليالي إلى امرىء فما الناس إلا حاسد أو معاند
إذا وطن ساءتك أخلاق أهله فدعه فما يقضي على الضيم ماجد
وبُتّ حبال الوصل فمن توده إذا لم يرد كل الذي أنت وارده
وقل لليالي كيف ما شئت فاصنعي فـإن على الأقـدار تـأتي المكـائـد
ولا ترهب الخطب الجليل لهوله فطعم المنايا كيف ما ذقت واحد
فياذا النهى كم ذا المقام على القذى وفي العزم حادٍ للمطايا وقائد
فقم نحصد الأعمار أو نبلغ المنى بجـدّ فلـلأعمـار لابـد حـاصـد
فليـس بصعّـاد إلى ذروة العـلا نـؤوم تـناديـه العـلا وهـو راقـد
وفي السعي عذر للفتى أو تعذرت عليه المساعي على وصفته المقاصد
خليل كم أطوي الليالي وهمتي تـناولـني الجـوزاء والجـد قـاعـد
وكم ذا أناجي همة دون همها نجوم الثريا والسهى والفراقد

---

(١) ابن المقرب العيوني: (٥٧٢/٦٢٩هـ) علي بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار العيوني، جمال الدين، أبو عبد الله، نسبته إلى العيون، وهو من أهل الإحساء، شاعر مجيد، من بيت إمارة. الأعلام (ج٥/ ص٢٤).

وقال آخر:

لأجلك يا من شرف الله قدره تجرعت كأس المر من معشر البلوى
ولـولا غـرام لي بطيبـة لم أكـن أذلّ لمن يسوى ومن لم يكن يسوى

بعض صفات سكان المدينة:

ومن أهل المدينة من ساعدته الأقدار، ولحظه الطالع السعيد، فجمع له بين الحسنتين، وأدخل في حيطة لا يسمعون حسيسها، وذلك من الله يؤتيه من يشاء ﴿والله ذو الفضل العظيم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾[1] وكان يقال: إذا حلت العناية بقطر من الأقطار، سكبت اللآلىء فيه الأمطار.

وما أحلى ما قال:

إذا أعرضت فالأهل مني أجانب وإن قبلـت فـالأجنبـي نسيـب

وما أصدق ما قال:

وإذا السعـادة لاحظتـك عيـونهـا نـم فـالمخـاوف كلهـن أمـان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل واقتـد بهـا الجـوزاء فهـي عنـان

والغالب على طبع أهل المدينة محبة التنزه والاجتماع الخالي من الكلف، بحسب ما يقتضيه الحال، وربما أفصحوا عن حالهم بقول من قال:

إذا ما اجتمعنا طاب بالأنس وقتنا وطبنـا بجمـع بـالأحبـة سـالم
وما القصد إلا أن يكون اجتماعنا وما الأكل إلا من صفات البهائم

وقال آخر:

روح الـروح بـراحـات الأمـل وتعلـل بعســى ثــم لعـل
مـا تنـاهـى الشيء إلا وانتهـى وبـدا النقـص بـه حيث كمل

---

(١) انفردت بها النسخة (أ) (ج).

وقال أيضاً:

وعنوان شأني ما ابتك بعضه ... وما تحته إظهاره فوق قدرتي

ويحسن إظهار التجلد للعدى ... ويقبح غير العجز عند الأحبةِ

وقال غيره:

إذا كنت في حالي صلاحك والهواء ... رجيم ظنون الناس بالقيل والقال

فما الرأي إلا أن تكون بحالة ... ترى النفس فيما تشتهي ذات إقبال

وفي أهل المدينة من يرى ركوب البريد في طلب الثريد، وفيهم من هو أثبت في الدار من الجدار، وأطفل من الليل على النهار، ومنهم من هو حرف جاء لمعنى في غيره، وفيهم من هو أفراد عموم ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾[1]، وفيهم... والله واسع عليهم.

لنا عتب على سلمات سلع ... وحاشى المازنية من عتاب

أنشد لنفسه السيد حسين بن شقدم الحسيني[2]:

وليس غريباً عن دياره ... إذا كان ذا مال وينسب للفضل

وإني غريب بين سكان طيبة ... وإن كنت ذا مال وعلم وفي أهلي

وليس ذهاب الروح معاً منية ... ولكن ذهاب الروح في عدم الشكل

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (١٨).

(٢) السيد حسين بن شقدم الحسيني: (٩٤٢/٩٩٩هـ) حسن بن علي بن حسن بن علي بن شقدم الحسني، أبو المكارم، بدر الدين، مؤرخ وشاعر من الشعراء، ولد ونشأ بالمدينة المنورة، وزار العراق، ودخل الهند، وتوفي بها، وله من الكتب: «زهرة الروض» و«زلال الحوض» في التراجم، و«نخبة الزهرة الثمينة في نسب سادات المدينة»، و«الجواهر النظامية» في الحديث. الأعلام (ج٢/ ٢٠٤).

المجاورون:

قال ابن فرحون[1] في «تاريخ المدينة»: وكان رؤساء المدينة يوالون

المجاورين، ويخدمونهم، ويتقربون إلى خواطرهم بقضاء الحوائج، والهدايا، والطرف، مع الاعتقاد فيهم، والتماس أدعيتهم، وبركتهم.
قلت: الموجب لذلك عفة من كان يرد عليهم، وما اشتملوا عليه من حسن السيرة، وصفاء السريرة، لا كأيامنا التي لا يرد علينا إلا المنهوم[2]؛ الذي لفظته إفاقة، وتجافته رفاقه، فلا يلبث بها حتى ينازع أهلها فيما بأيديهم، ويطعن في أعارضهم، وهو في دنياهم لا يعرف لهم حق التقدم، والجوار، ومتى ما أمكنه الغدر أغار.

وما أصدق ما قال:

ولست على غيب أحيلك لا ولا   على مستحيل موجب السلب حيلتي

وقال بعض الفضلاء:

وما عند الإنسان عن فضل نفسه   بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل
وإن أخس النقص أن يرمى الفتى   قذ النقص عنه بانتقاض الأفاضل

فترى الوارد اليوم لا يزال في لباس التلبيس يجتذب مطالبه بمغناطيس التدليس، إلا ما شذ فمن رحم ربك، وقليل ما هم، والمثل في ذلك تغير الشكل لأجل الأكل، وفي الغالب إنما تكون إساءة الغريب الوارد على المورود الذي ينهل منه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن فرحون: (٦٩٣/٧٧٩هـ) قاض في المدينة، ومن أكابر علمائها، له عدة مصنفات في الفقه، والحديث، والتاريخ. التحفة اللطيفة (ج٢/ص٨٥).
(٢) المنهوم: ما أشبه الليلة بالبارحة.

وما أحسن ما قال:

وما ضرني إلا الذين عرفتهم جزى الله خيراً كل من لست أعرف

وكان يقال: المصائب أثمان التجارب.

فياليتني كالزند يكتم أمره وإن كان في أحشائه النار تضرم

من خصائص المدينة:

جرت سنة الفعال لما يريد في خلقه: أن كل بلدة في الغالب تكون عوناً لغريبها حتى على سكانها، وعلى الخصوص المدينة المنورة، وكان المرحوم العلامة الشيخ إبراهيم بن أبي الحزم المدني، يقول: ليس من الرأي تعظيم الوارد إلى هذه الديار إلا بحسب ما يقتضيه الحال، فإنه بتعظيمه يطأ غيره، ثم يتمرد على معظمه فيطأه كذلك، وتكون إساءته عليه أكثر، وعلى الخصوص من لفظته القرى، وألف النوال والقِرى، وقد اتفق لي شيء من ذلك فكتبت لبعض أصحابي في خصوص هذه المعاني، فقلت:

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم بلطفها في الورى مأمونة العتب

لكن رعايتكم للغرب تحملهم على تجاوزهم للحد في الأدب

فكان الجواب على ذلك بلسان الحال:

مولاي إن صروف الدهر قد حكمت وأعوزت أن بدل الرأس للذنب

كم من مقبل كف لو تمكن من تقطيعها كان ممن فاز بالأرب

واختصر المعنى بعضهم فقال:

كم من يد قبلتها ولو استطعت قطعتها

وقال آخر:

وإني لمغرم بالتواضع مغرم وأنت ترى أن المعالي ديدني

ومن مذهبي أن أدل لمطلبي ولا أتحامى قبلة من يدي دني

حق الجار:

وبالجملة: فإن أهل المدينة المنورة بعد إلحاقهم الأسية هم أقرب الأمة إلى التجاور، والسماح، وأقرب الخلق إلى النجاة، النجاح. كيف وقد قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى: «جار الدار أحق بالشفعة»[1] وقال: «جار الدار أحق بدار الجار»، وقال: «جار الدار أحق من غيره».

وللعموم في الأقوال مجال عند الرجال، فتباً لمن قلب لهم عرضاً، وبعداً لمن أضمر لهم بغضاً، كيف فالجمّ الغفير منهم سلافة الندامة، ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[2]

ما يجب على المجاور من سلوك في المدينة:

قال بعضهم: ينبغي لمن أراد المجاورة في المدينة المنورة: أن يكون لين الأعطاف، هين الانعطاف، حافظاً لحرمة مكانها، محافظاً على مراعاة سكانها، يشاركهم في أنديتهم لا في أغذيتهم، ويزاحمهم في أوقاتهم، لا في أقواتهم، ويكتسب من أخلاقهم، لا من أرزاقهم، ويقتبس من برهم لا من بُرّهم، ويرغب في حبّهم لا في حَبّهم، مقتد في ذلك القياس بإشارة «ويزهد فيما عند الناس»[3].

قال بعض العلماء: ينبغي لطالب سكنى المدينة ألا يضيق على

---

(١) رواه البخاري في باب الشفعة.

(٢) سورة الفرقان: الآية رقم (٧٢).

(٣) ونص الحديث بالكامل: عن أبي العباس، سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، قال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» رواه ابن ماجه وغيره.

المحتاجين بسكنى الأربطة والمزاحمة على الصدقات، ولا يسعى في منع معروف.

وكان يقال:

ياليت من يَمْنع المعروفُ يمنعه — حتى يذوق رجال مثل ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم — قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا

وقال آخر:

غداً توفى النفوس ما كسبت — ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم — وإن أساؤوا فبئس ما صنعوا[1]

وقال آخر:

إذا كنت مع ما في يديك من الفتى — من المال مزداداً بجد مدى الدهر
فكيف تلوم الطالبين وربما — يكون بهم ما لا علمت من الفقر

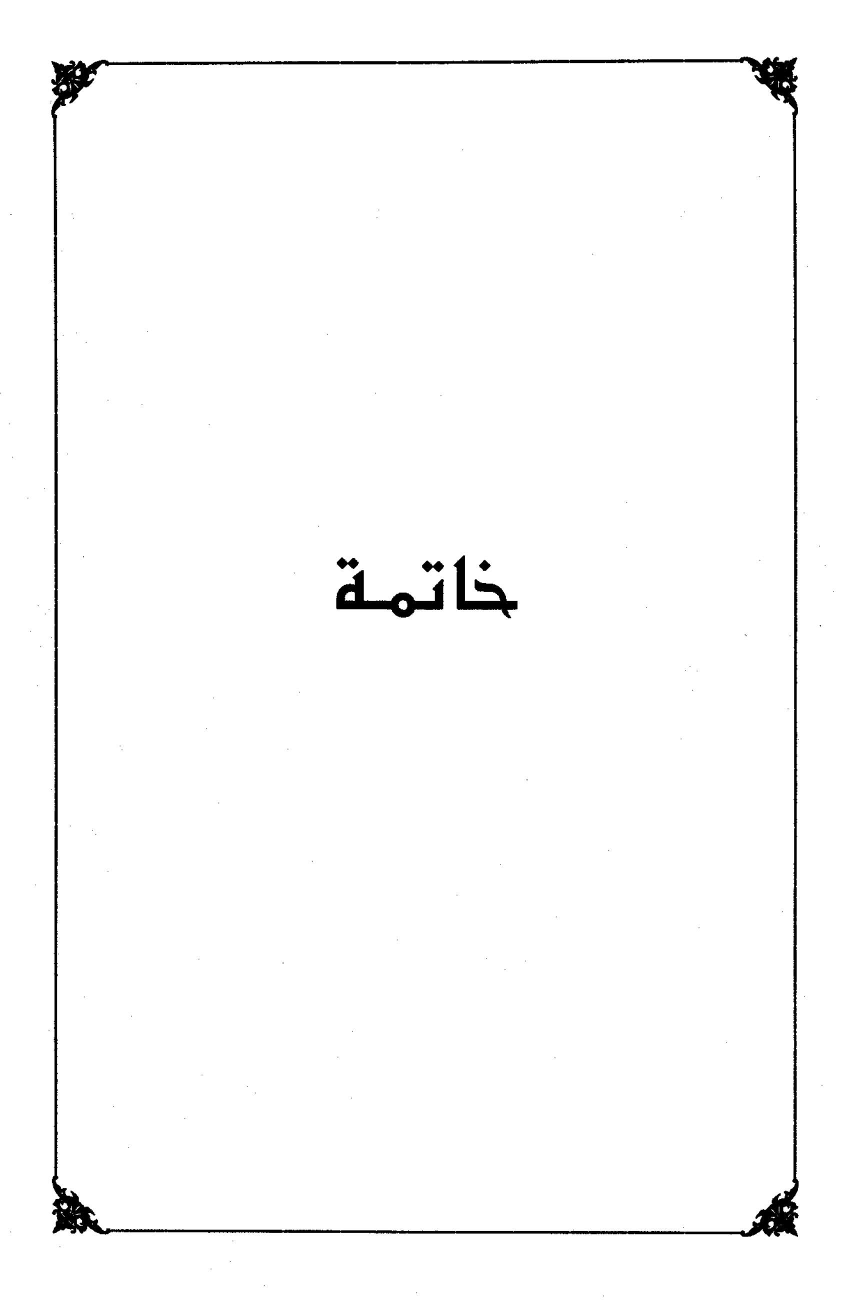
وقال آخر:

لا تقطعن يد المعروف عن أحد — ما دام يمكن فالإمكان تارات
واشكر فضيلة لطف الله إذا جعلت — إليك لا لك عند الناس حاجات

□ □ □

---

(١) هذا البيت يتضمن اقتباساً من قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ سورة الإسراء الآية رقم (٦).



خاتمة

خاتمة

قال في «المواهب اللدنية»: روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»[1] أي: ينضم ويلتجىء، مع أنها أصل في انتشاره، فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان لحبه ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ في ساكنيها فأكرم بسكانها، ولو قيل فيهم ما قيل، فقد حظوا بشرف المجاورة، وثبت لهم حق الجوار، وإن عظمت إساءتهم، فلا يسلب عنهم اسم الجار. وقد عمّ ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ بقوله: «ما زال جبريل يوصيني بالجار»[2] ولم يخصص جاراً دون جار، وكل ما احتج به محتج من رمى بعض عوامهم بالابتداع، وترك الاتباع، فإنه إذا ثبت ذلك في شخص منهم لا يترك إكرامه، ولا ينتقض احترامه، فإنه لا يخرج عن حكم الجار، ولو جار، ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار، كيف ما دار، بل يرجى أن تختم له بالحسنى، ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنى.

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

قلت: وأنت ترى أن الملل والنحل على اختلافها، وتباين ائتلافها،

---

(١) متفق عليه، فضائل المدينة لخليل ملا خاطر.

(٢) رواه البخاري.

لا يخلو منها قطر من الأقطار، ولا مصر من الأمصار، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقتهم، فمن فهم علة الخلق تنزه في رياض الأفكار، ومن وهم في سنة الخلق وقع في مشاغب الإنكار. ولأهل المظاهر مجال في حكم الظاهر، والله أعلم بالسرائر.

ومن محاسن المدينة المنورة: أن حديث أهلها، وذكر شمائلهم المعطرة مما يرقص رؤوس الحكماء طرباً، ويحرك نفوس العلماء عجباً.

وما أحسن ما قال:

أوصافهم تسري أحاديثها مسرى النجوم الزهر في الأفق
كما أحاديث الندى عندهم تسندها الركبان من طرق

قال العلامة ابن حجر: ينبغي أن ينظر إلى أهل المدينة بعين التعظيم، وبرعاية التكريم، ولا يبحث عن بواطنهم، ولا عن ظواهرهم؛ لقول تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[1] ويوكل سرائرهم إلى الله تعالى؛ لأن الذنوب ما عدا الشرك تحت مشيئة الله تعالى، يعذب من يشاء، ويرحم من يشاء، ولا يطلع أحد على تعلق إرادته عز وجل، فيحبهم بجواره كيف ما كانوا، أي: على ارتكابهم الذنوب الصغائر، والكبائر، فإن عظم الإساءة ولو في الدار لا يسلب حرمة الجوار.

وما ألطف ما قال:

وأحبها وأحب منزلها الذي نزلت به وأحب أهل المنزل

وقال في «الجوهر المنظم»: وصرف ما يتصدق به إلى أهل المدينة أولاً على أي حالة كانوا، وذلك لأن شرف الجوار ثابت لهم، أوجب الإعراض عن مساوئهم، والنظر إلى حرمتهم، وما تشرفوا به من ذلك الجوار الأعظم، ولذلك كثر في الأحاديث الصحيحة الدعاء منه ـ صلى

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم (١٢).

الله تعالى عليه وآله وسلم- لهم بالبركة، وعلى من قصدهم بسوء بأقبح النكال. ثم قال: وقد استوفيت طرفاً من ذلك في كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر» وقد قال:

مهما يكن للمرء في القول فسحة فنسبته للذنب من أعظم الذنب

وما أوقع ما قال القاضي الفاضل[1]:

أعجب ما في العيون عندي إظهارها ما تضمر القلوب
تأبى النفوس نفوس قوم ومالها عندها ذنوب
وتشتهي أنفس نفوس ومالها عندها نصيب
ومن على آخر تجني فحسنه عنده مصيب
ما ذاك إلا لحكمة ما قدرها القادر الرقيب

وفي «مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت»[2] رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه آمين، قال: كان له جار مسرف على نفسه، مدمن للخمر، وكان كثيراً ما يسمعه ينشد قول الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر[3]

---

(١) القاضي الفاضل: أبو علي، عبد الرحيم البساني، ولد بعسقلان، وتعلم على أبيه وغيره، قدم مصر شاباً في أواخر الدولة الفاطمية، تعلم في ديوان ابن حديد قاضي الإسكندرية، ظهر فضله فاستقدم إلى القاهرة أيام الظافر، فكان من كتاب ديوانه، ثم استوزر في دولة صلاح الدين، وتوفي عام (٥٩٦هـ). جراهر الأدب (ص٤٢٧).

(٢) أبو حنيفة النعمان: (٨٠/ ١٥٠هـ) إمام المذهب الحنفي، مجتهد، محقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد ونشأ بالكوفة، وطلب العلم، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، وامتنع عن القضاء، له من الكتب مسنده في الحديث، والمخارج في الفقه، وتنسب إليه رسالة الفقه الأكبر، وغير ذلك. الأعلام (ج٨/ ص٣٦).

(٣) هذا البيت لعله لأبي فراس الحمداني، الحارث بن سعيد.

فاتفق أن الحراس صادفوه ليلاً في بعض الطرق فأخذوه، وذهبوا به إلى السجن، فلما كان الصباح بلغته القصة، فركب إلى الأمير، ولم يكن يركب إليه من قبل، ثم إنه شفع فيه، فأطلقه الأمير، فلما أقبل الليل قال له: كيف رأيت؟ هل أضعناك؟ فكان ذلك سبباً في هدايته[١].

ومن أحسن ما حُكي: أن رجلاً كان مع بعض الصالحين، فمر على جماعة يشربون ويغنون، فقال الرجل: يا سيدي! ادع على هؤلاء المجاهرين بالمنكر، فقال الشيخ: نعم، ثم إنه استقبل القبلة، وقال: اللهم كما فرحتهم في الدنيا، فرحهم في الآخرة، فبهت الرجل، فلم تمض مدة حتى اهتدى كل منهم، وحسن حاله، وكان طريق إلى الخير مآله.

وعار على راعي الحمى وهو في الحمى ... إذا ضاع في البيداء عقال بعير

(يشير إلى أن المشائخ ـ هداة الخلق، ورعاتهم، وأرباب المعاصي ضالتهم، وسارحتهم، فمهما قصروا في إرشادهم، ورعيتهم، يكون عاراً عليهم ـ رحمة الله تعالى عليهم آمين ـ وجزاهم الله تعالى عن الخلق خير الجزاء ـ أتعبوا نفوسهم في جذب أوابد النفوس البشرية، فعلى الحظ لا عليهم العتاب)[٢].

وليكن ذلك آخر ما جرى به القلم من ذكر بعض محاسن المدينة المنورة، ونشر لطائف هاتيك الأماكن الأمينة المعمرة، وهو أنه كثير لقليل في جنب شرفها الشامخ، ويسير مما كرمها الله به تعالى من جزيل فضله الراسخ، ولو تتبعنا ما شرفها الله تعالى من جليل المناقب، ومنحها

---

(١) هذه القصة كثيراً ما تتكرر، ولكن لا يعقل أن الإمام أبا حنيفة يشفع في حد من حدود الله بذريعة الإحسان إلى الجار، وهو يرتكب كبيرة، وإن تاب فيما بعد.

(٢) انفردت بها النسخة (أ).

من جليل المواهب، لكلت دونها الأقلام، وجفت المحابر، ولما وسعت بعضه الدفاتر، والحمد لله شرف طابة، وشوق القلوب لسماع أخبارها المستطابة، فهي الأرض التي هي في الحقيقة السماء، وهي الروض التي من دونها المقام الأسمى.

وما أحسن ما قال:

أرض مشى جبريل في عرصاتها والله شرف أرضها وسماها
أرض سمت بمحمد وآله والله رب العرش قد أسماها

اللهم! أغننا في التمسك بأهداب الأدب عن خيط باطل تعتمد حبله الواهي، وولّ أوجه قلوبنا شطرك كي ينطبع في قرارتها صور الأشياء كما هي، ولا تخزنا بمقال لا تقال فيه العثار، ومحال تنمحل له الأعذار.

وصل اللهم وسلِّم على رسولك الذي ألزمت ربقة دينه الرقاب، وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب، وجازه بقبول الشفاعة بالوسيلة والمقام المحمود يوم الجزاء، وزدْ شمل أمته إجماعاً، ما اجتمع الكل على الأجزاء.

اللهم! يا من وجب لذاته وجوده، وعمّ جميع خلقه إنعامه وجوده، صلٍّ وسلم على من أكرمتنا بجواره، وأسكننا فضلك في ضلال سرحة دياره، ما بين روضة غناء وغيضة حسناء، ومنازل باهية باهرة زاهية زاهرة، وجيرة قد شقوا عصا الشقاق، وتراضعوا أفاويق الرفاق.

وما أحسن ما قال:

من ألق منهم أقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وعم بكرمك جميع آله وأصحابه ومؤازريه، وأحزابه، والحمد لله الذي بأمره جرى القلم، على منوال ما اقتضته الحكم، وسلام على عباده الذي اصطفى، وحسبنا الله وكفى.

وفرغ من تنميق هذا المسطر مؤلفه الفقير إلى رحمة ربه الغني القدير، محمد كبريت الحسيني المدني في أواخر شهر ربيع الآخر، وتمت كتابة هذه النسخة في أواخر شوال المبارك من عام تاريخه سنة ثمان وأربعين وألف.

(يا نظري في الكتاب بعدي ... تجنيا من ثمار جهدي
بي افتقار إلى دعاء ... تهديه في ظلام لحدي)[1]

ولبعضهم:

روض من الآداب فاح عبيره ... ولو رد سلسل العلوم غديره
لله در مؤلف شهدت له ... أوضاعه ألا يسام نظيره
خبر كذا آثر وتاريخ كذا ... فقه ونص تلوه تفسيره
ولطالب الآداب فيه مايشا ... نظم ونثر قد حلا تقريره
جمع المحاسن للمشوق وحسبه ... تذكار عمر للفناء مصيره
وماله يفنى ويبلى رسمه ... وعلى المدى تعفو كذاك سطوره

وقال:

كتبت وأيقنت لا شك أنني ... ستبلى يميني والحروف رواسخ
رعى الله قوماً عاينوا وترحموا ... على من لهذا الخط باليد ناسخ

وقال:

وما الناس إلا شامت ومداهن ... وذو حسرة أو مسعد وممانع
فلا تطرح خوف المقالي مآرباً ... فإن الذي تخشاه من ذاك واقع

ولمؤلفه رحمه الله:

لقد كنت دهراً قبل أن يكشف الغطا ... أظن بأني ذاكر لك شاكر
إلى أن أضاء الفجر أصبحت شاهداً ... بأنك مذكور وذكر وذاكر

مداراة الناس صدقة ولا بد من ذلك

---

(١) انفردت به النسخة (أ) (ج).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون،
وسلام على المرسلين،
والحمد لله رب العالمين،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

□ □ □ □
□ □ □
□ □
□

الملاحق

- الملحق رقم (١) تحديد المدينة
- الملحق رقم (٢) بعض الممارسات العقيدية الخاطئة
- الملحق رقم (٣) تنبهات للشيخ محمد كمال على ديوان البرعي
- الملحق رقم (٤) ترجمة سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
- الملحق رقم (٥) النحس

الملحق رقم (١)

تحديد المدينـة

(نص القرار)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فبناءً على الأوامر الصادرة بتحديد حرم المدينة المنورة من رئيس مجلس الوزراء برقم (٢٩٥٣) في (٢٥ ـ ٢ ـ ١٣٧٨هـ) ومن سماحة مفتي الديار السعودية برقم (٣٣١٧ ـ ١) وتاريخ (١٢ ـ ١١ ـ ١٣٨٦هـ) ومن وزارة الداخلية برقم (١٨٦٧) وتاريخ (٨ ـ ٣ ـ ١٣٧٨هـ) ومن إمارة المدينة برقم (٤٢٤٨) وتاريخ (١٥ ـ ٣ ـ ١٣٧٨هـ) ومن المحكمة الكبرى بالمدينة برقم (١١٣٩) وتاريخ (٢٥ ـ ٣ ـ ٧٨هـ) وهذه الأوامر مرفقة بالمعاملة التي بين يدي اللجنة، والواردة أخيراً إلى سماحة المفتي من رئيس المحكمة الكبرى بالمدينة برقم (٢٠٥٢) وتاريخ (٢٦ ـ ٢ ـ ٨٧هـ) وتنص هذه الأوامر على تشكيل لجنة علمية لمعرفة مواضع حدود الحرم المدني، ووضع علامات عليها.

وقد شكلت اللجنة المذكورة من كل من: فضيلة الشيخ محمد الحافظ القاضي بالمحكمة الكبرى بالمدينة رئيساً، وكل من: السيد محمود أحمد،

والسيد عبيد مدني، والشيخ عمار بن عبد الله، والشيخ أَبو بكر جابر، والأستاذ أَسعد طرابزوني أَعضاء.

وقد اجتمعت اللجنة فور تشكيلها، وقامت بما عهد إليها؛ غير أَنه أَشكل عليها نقاط، وارتأَت عرضها على سماحة المفتي الأكبر، وعندما رفعت المعاملة إلى سماحته أَمر بأَن يكون مع اللجنة مندوب من قبل سماحته ليجتمع باللجنة، ويقفوا جميعاً على حدود الحرم، ويعرفوا مسميات تلك الحدود. ثم يعود المندوب إلى سماحته بما يتحصل عليه من معلومات تطبيقية... إلى آخر ما جاء بخطاب سماحته رقم (١٧١٥) في (٢٣ ـ ١١ ـ ٨٠هـ) الموجّه إلى رئيس مجلس الوزراء.

وبناءً على ما ذكر فقد وصل إلى المدينة المنورة فضيلة الشيخ عبد الله بن عقيل عضو دار الإفتاء مندوباً من قبل مساحة المفتي الأكبر، واجتمع باللجنة المشار إليها، وجرى العمل على ما يأتي:

أولاً:

جرى دراسة ما جاء في المعاملة من أوامر، وما اشتملت عليه من بيانات، بما فيها الأوراق المتضمنة نقل الأحاديث والآثار الواردة في حدود حرم المدينة، وكلام العلماء عليها من أَهل المذاهب الثلاثة وغيرهم، ما عدا علماء الحنفية فليس في مذهبهم إثبات حرم للمدينة أصلاً؛ وناقشتها مناقشة دقيقة. فمن ما ورد من الأحاديث في هذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ حرَّم ما بينَ لابتَي المَدينَةِ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنه كان يقول: لو رأَيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما بين لابتيها حَرامٌ» رواهما البخاري.

وعن زيد بن عاصم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وسلم: «إنَّ إبراهيم حَرَّمَ مَكَّةَ ودعا لها، وإني حَرَّمتُ المدينةَ كما حرم إبراهيم مكَّة».

وعن رافع بن خديج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها يريد المدينة».

وعن أنس مرفوعاً: «اللهم إني أحرم ما بين جبليها».

وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً: «المدينة حرمٌ ما بين عَيْرٍ وثَوْر».

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «إني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزِمَيْهَا».
جميع هذه الأحاديث رواها مسلم.

وقد تضمنت النصوص الواردة في هذا تحديد الحرم: باللابتين تارة، وبعير وثور تارة، وبالمأزمين تارة، وبالجبلين تارة. وأَحاديث اللابتين أكثر من أَحاديث الجبلين. والجبلان: هما عير وثور. والمأزمان هما الجبلان. فأَما عير وثور فخارجان عن الحرم كما هو الأَصل في التحديدات. وأما اللابتان فداخلتان في الحرم لما يلي:

(أ) قصة بني حارثة حين قال لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أراكم يا بني حارثة! قد خرجتم من الحرم» ثُمَّ التفت فقال: «بل أنتم فيه» ومنازلهم في سند الحرة الشرقية مما يلي العريض، وحصنهم باقية آثاره حتى الآن. فدل على أن هذه الحرة من الحرم، وهي محاذية لعير وثور، فكأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما التفت، فرأَى عيراً قال لهم: «بل أنتم في الحرم».

(ب) قصة سعد بن أبي وقاص حينما أخذ سلب الرجل الذي وجده يقطع الشجر في العقيق. والعقيق ليس حرة، بل هو واد منقطع عن الحرة الغربية، وأَبعد منها عن المدينة، ولكن القسم الأَعلى منه مسامت لجبل عير من الشمال والغرب.

(جـ) حديث تحريم ما بين حرتيها وجمامها. والجماوات الثلاث

معروفة، وتقع بعد العقيق وبعد الحرة الغربية، كما هو مشاهد.

(د) أَن الحرة الغربية تبدأ من عند باب العنبرية وتمتد غرباً، والحرة الشرقية تبدأُ من نهاية شارع أبي ذر بطريق المطار بنحو مئتي متر، فلو لم نقل بأَنهما داخلتان في الحرم لخرجت جملة كثيرة من منازل المدينة عن الحرم، ولا قائل بهذا من أهل العلم الذين اطلعنا على كلامهم.

(هـ) ذكر العلماء مسافة الحرم بريداً في بريد، واستدلوا بما ورد في هذا، ولا يمكن تطبيق هذه المسافة إلا إذا أَدخلنا الحرتين؛ لأَن الحرتين قريبتان من الحرم، بخلاف الجبلين فبعيدان جداً بالنسبة إلى قرب اللابتين.

وقد أَخذت الهيئة المساحة من الجهات الأَربع من المسجد إلى «عير» جنوباً، ومن المسجد إلى «ثور» شمالاً، ومن المسجد إلى الحرة الغربية عند محاذاة «عير» غرباً، ومن المسجد إلى الحرة الشرقية عند محاذاة «ثور» شرقاً، فكانت المسافة متقاربة في الجميع، وتبلغ أحد عشر كيلو متراً تقريباً بعداد السيارة، وإن كانت السيارة لا تسير باتجاه واحد، بل تأخذ يميناً وشمالاً حسب سهولة الخط، ولكن هذا يعطي فكرة تقريبية للمسافة من الجهات الأَربع، وهذه المسافة مقاربة لاثني عشر ميلاً الواردة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند مسلم قال: «حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتي المدينة، وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حِمى» وهذا من أَدلة من قال بريداً في بريد؛ لأن البريد أربع فراسخ، والفرسخ ثلاثة أَميال. والمسافة التي بين عير وثور من الناحية الشرقية تقدر باثني عشر ميلاً، ومثلها المسافة التي بينهما من الناحية الغربية.

ثانيـاً:

مشت اللجنة على مواضع الحدود لتطبيق ما ناقشوه من النصوص وما فهموه منها، وكان ممشاها على ما يلي:

١ ـ وصلت اللجنة إلى جبل «ثور» ويقع خلف أُحد من الشمال الشرقي، طلعت فوقه، ووجدته كما وصفه العلماء (جبل صغير بالنسبة إلى جبل أحد، والجبال التي حوله بتدوير، وليس بمستطيل، لونه يقرب إلى الحمرة، خلف أُحد من الشمال الشرقي) وبينه وبين أُحد مقدار خمسين متراً تقريباً.

٢ ـ ثم انتقلت اللجنة إلى «اللابة الشرقية» ووجدت حرة ذات حجارة سوداء نخرة كأَنها أُحرقت بالنار، وتنقطع هذه الحرة في بعض المواضع خصوصاً في جهتها الشمالية، وتمتد في مواضع ولاسيما جهتها الجنوبية. فكأنها حرار متعددة، وهذه الحرة تسمى: حرة واقم. ويفصلها عن «أُحد» وادي قناة، وعن «ثور» مسيل وادي الشطاة وسفح «أُحد» الشرقي وسفح جبل وغيره، وتشمل منازل بني حارثة، وبني ظفر، وبني عبد الأشهل، وبني معاوية، كما تشمل منطقة العريض وما حولها من المصانع والبساتين وبعاث المسمى الآن بالمبعوث إلى العوالي وقربان ومنازل بني قريظة وبني النضير. ولم يكن الحد في هذه الحرة واضحاً كوضوحه من جهة الجبلين ـ عير، وثور ـ لهذا مشت اللجنة وسط الحرة في موضع متوسط بين عير وثور، ووقفت هناك لتتحقق لها المسافة بين الجبلين، وتتمكن من أَخذ مقاسها.

٣ ـ ثم انتقلت اللجنة إلى طرف «عير» من هذه الناحية ـ أعني: الناحية الجنوبية الشرقية ـ ووقفت قريباً من الجبل مما يلي سد بطحان، وعرفت مقياس مسافته لجبل ثور مع متوسط اللابة الشرقية، وتقرر أَن تبدأ الحدود من طرف عير الجنوبي الشرقي مدخلة سد بطحان ومذينيب، وتنقاد ببئر متواصلة مع وسط الحرة بعد كل ثلاثة كيلوات بتر كبيرة ملونة، يكتب عليها حد الحرم، إلى أن تصل جبل ثور من الشمال الشرقي مخرجة جبل عير، ومدخلة جميع جبل أُحد والخزان الذي

حوله والمصانع وما حولها من البساتين، ومنطقة العريض والعوالي وقربان، على امتداد سد بطحان حتى يحاذي طرف عير من الشرق.

٤ ـ ثم انتقلت الهيئة إلى طرف «عير» من الناحية الجنوبية الغربية مما يلي ذا الحليفة؛ لأن عيراً جبل كبير مستطيل، فقربت الهيئة من طرفه، ووقفت على ربوة بسفحه، وتطلعت إلى ما حوله وما يحاذيه من اللابة الغربية والشمالية الغربية.

٥ ـ انتقلت اللجنة إلى «الحرة الغربية» وهي أَقرب إلى المدينة من الحرة الشرقية. فالغربية تبدأُ من عند باب العنبرية كما مر، وهي من جنس الشرقية في كونها تنقطع في مواضع، ولا سيما في جهتها الشمالية، كما هو مشاهد عند مسجد القبلتين حيث يوجد هناك فضاءٌ واسع فيه المزارع والرمال والسباخ، وتتخللها الطرق والعيون والأودية إلى أُحد والجرف وما حوله.

وتمتد الحرة من الناحية الجنوبية إلى أَن تدنو من شرقي عير قريباً من طرف الحرة الشرقية من ناحية قباء، ويفصل بينها وبين الحرة الشرقية بساتين قباء وقربان والعوالي ووادي مهزور ومذينيب وجفاف وبطحان والرانونة.

وقد مضت اللجنة في «عير» إلى «أُحد» لتصل منه إلى «ثور» وسلكت في أَثناء ممشاها مع الطريق الجديد الموضوع للأَجانب ومن لا يريد دخول المدينة، ويسمى بالتحويلة. ويبدأُ من نهاية البيداء آخر الخط الآتي من جدة قبل أن يصل إلى ذي الحليفة ثم يتجه شمالاً تاركاً المدينة على يمينه، ورأَت اللجنة هذا الطريق في أَثنائه مسامتاً لما بين عير وثور من هذه الناحية، إلا أَنه قد تجاوزها من أَوله وآخره. فقررت اللجنة أَن يوضع البدأ (١) من طرف عير الغربي متجهة إلى الغرب ثم إلى الشمال الغربي فتدخل ذا الحليفة والعقيق وسد عروة والجماوات الثلاث وبنايات الجامعة الإسلامية والقصور

الملكية والجرف وبئر رومة وما حولها من البساتين إلى أُحد، كل هذه داخلة في حدود الحرم، فإذا وصلت إلى ما سامتها من التحويلة صارت التحويلة هي الحد، فتوضع البتر على جانبها الشرقي، وتستمر البتر مع هذه التحويلة حتى تحاذي ثور خلف أُحد من الشمال الشرقي، وحينئذ تأخذ البتر ذات اليمين صوب الجنوب لتلتقي بالبتر التي مر ذكرها في الحرة الشرقية، وتترك التحويلة لأنها تستمر شرقاً حتى تصل شارع المطار. وبهذا تصبح حدود الحرم ثابتة من جميع جهاتها سواءٌ حدد من عير إلى ثور، أَو باللابتين، أو باثني عشر ميلاً وهي بريد في بريد، كما سبق إيضاح ذلك، وأَخذ مسافته.

ونظراً لأن هذه أعمال هندسية، وتحتاج إلى مهندس فني فينبغي تعميد بلدية المدينة بهذا ليقوم مهندسوها بمسحها مسحاً فنياً، مع وضع خارطة تفصيلية لحدود الحرم بناء على تحديد هذه اللجنة، ووضع العلامات اللازمة على ضوء ما ذكرنا، ويكون ذلك بإِشراف الشيخ محمد الحافظ.

ولا يفوتني أَن نذكر هنا تتميماً للفائدة أن حرم المدينة يخالف حرم مكة في ثلاثة أَشياء:

أولاً: أن صيده وقطع شجره لا جزاء فيه بخلاف حرم مكة.

ثانياً: أن من أدخله صيداً من خارج الحرم جاز له إمساكه وذبحه بدليل قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يا أبا عُميْر ما فعل النغير؟» وهذا بخلاف حرم مكة.

ثالثاً: جواز قطع ما تدعو حاجة الفلاحين إليه من آلات الحرث والرحل كالمساند وغيرها.

هذا ما جرى دراسته وتحريره بعد كمال التحري، وبذل الجهد، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم أَجمعين.

هيئة تحديد حرم المدينة المنورة

أبو بكر جابر محمد أحمد محمد الحافظ

أسعد طرابزوني عمار بن عبد الله عبيد مدني

مندوب دار الإفتاء: عبد الله بن عقيل[1].

□ □ □

---

(١) فتاوى رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٨).

الملحق رقم (٢)

بعض الممارسات العقيدية الخاطئة

لا يجوز شرعاً التمسح بالقبر، ولا بأحجاره، ولا تربه، وفعل ذلك مظهر من مظاهر الشرك، وثبت في الصحيحين عنه ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ عند موته أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، وبالغ في ذلك حتى لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسراج، وفي حديث أبي الهياج الأسدي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه، ورضي الله عنه ـ قال: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ «ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته».

وكل عاقل يعلم أن الزيادة الزخرفية للقبور، وإسبال الستور الرائعة عليها، ووضع الشيلان، والشموع، وتسريجها، والتأنق في تحسينها تأثيراً في طبائع غالب العوام، وينشأ عنه التعظيم، والاعتقادات الباطلة، وهكذا إذا استعظمت نفوسهم شيئاً مما يتعلق بالأحياء، وبهذا السبب اعتقد كثير من الطوائف الإلهية في أشخاص كثيرة.

قال الشوكاني: ورأيت في بعض كتب التاريخ أنه قدم رسول لبعض الملوك على بعض خلفاء بني العباس، فبالغ الخليفة في التهويل على ذلك الرسول، وما زال أعوانه ينقلونه من رتبة إلى رتبة، حتى وصل إلى المجلس الذي يقعد الخليفة في برج من أبراجه، وقد جعل ذلك المنزل

بأبهى الآيات، وقعد فيه أبناء الخلفاء، وأعيان الكبراء، وأشراف الخليفة من ذلك البرج، وقد انخلع قلب ذلك الرسول مما رأى، فلما وقعت عيناه على الخليفة قال لمن هو قابض على يده من الأمراء: أهذا الله؟ فقال ذلك الأمير: بل هو خليفة الله. فانظر ما صنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين!

وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين ـ رحمه الله ـ فرآها وهي مسرجة بالشموع، والبخور ينفح في جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة، فقال عند وصوله إلى الباب: «أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين».

وإن كثيراً مما يفعله المعتقدون في الأموات يكون شركاً، قد يخفى على كثير من أهل العلم، وذلك لا لكونه خفياً في نفسه، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير، وشبّ عليه الصغير، وهو يرى ذلك ويسمعه، ولا يرى ولا يسمع من ينكره، مع ما ينضم إلى ذلك من جماعة المحتالين على قبر، ويجبلون الناس بأكاذيب، ويحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذر، ويستدروا منهم الأرزاق، ويقتنصوا النحائز، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم، وعلى من يعولونه، ويجعلون ذلك مكسباً ومعاشاً، وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات، ويجعلون قبره بما يعظم في أعين الواصلين إليه من إيقاد الشموع، والأطايب، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة، يتجمع فيها الجمع الجم، فيبهر الزائر، ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم، وتكالبهم من الميت، والتمسح بأحجار قبره، وأعواده، والاستغاثة به، والالتجاء إليه، وسؤاله قضاء الحاجات مع خضوعهم، واستكانتهم، وتقريبهم إليه نفائس الأموال، فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة، وانقراض

القرن بعد القرن يظن الإنسان في أول عمره أن ذلك من أعظم القربات، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك، بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه، وإذا سمع من يقول ذلك أنكره، ونبا عنه سمعه، وضاق به ذرعه، لأنه يبعد كل البعد أن ينتقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات إلى كونه من أقبح المقبحات، وأكبر المحرمات، مع كونه قد درج عليه الأسلاف على مر الأعصار، وهذا كل شيء يقلد الناس فيه أسلافهم، ويحكمون العادات المستمرة، وبهذه الذريعة الشيطانية، والوسيلة الطاغوتية، بقي المشرك من الجاهلية على شركه، واليهودي على يهوديته، والنصراني على نصرانيته، والمبتدع على بدعته، وصار المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، واستبدلت الأمة بكثير من المسائل الشرعية غيرها، وألفوا ذلك، ومرنت عليه نفوسهم، حتى لو أرادوا من يتصدى للإرشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية التي تبدلوا بها غيرها لنفروا عن ذلك، ولم تقبله طبائعهم.

فلا حول ولا قوة إلا بالله، وهو الهادي إلى الطريق القويم[١].

□ □ □

---

(١) تعليقات الشيخ محمد سعيد كمال على ديوان البرعي (ص٧٥ ـ ٧٦).

الملحق رقم (٣)

تنبهات للشيخ محمد سعيد كمال على ديوان «البرعي»

إن جمهور العوام متعلقون بقراءة هذه المدائح الإلهية، والنبوية، وسماع إنشادها تترقق لها أفئدتهم، وتلين لها قلوبهم، وتخشع لها جوارحهم. وربما كان في بعضها، أو أكثرها بعض التوسلات غير المشروعة، فلماذا لا نبين ذلك بالدليل والبراهين ما أمكن ليتبصر الناس ما عنه غافلون؟ والكلام على هذه المآخذ يتوقف على إيضاح ألفاظ نقاط هي منشأ الاختلاف والالتباس: الاستغاثة، والاستعانة، والتوسل.

١ ـ الاستغاثة:

هي: طلب الغوث، وهي إزالة الشدة كالاستنصار، وهو طلب النصرة، وقد ذكر أهل العلم أنه يجب على كل مكلف أن يعلم أنه لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله سبحانه وتعالى، وإن كل غوث من عنده، وإذا حصل شيء من ذلك على يد غير، فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره المجاز، ومن أسمائه تعالى (المغيث). وتنقسم الاستغاثة إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ استغاثة عادية: مثل الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر على الغوث من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى الاستدلال، فهو غاية الوضوح، ولا أظن يوجد فيه خلاف، ومنه قول الله تعالى: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في

الحروب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق.

ب ـ استغاثة الخلائق بالأنبياء يوم القيامة: يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريحوا أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك، ويسمع كلامك، تقول له: ادع الله لي كما كان بعض أصحاب رسول الله ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته فحاشاً وكلا، إنهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عنه قبره فكيف بدعائه نفسه؟!

ج ـ استغاثة شرعية: وذلك أن أنواع العبادة التي أمر الله بها كثير مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله، فإذا توجهت بها إلى الله صارت استغاثة شرعية، وكذا بقية أنواع العبادة.

د ـ استغاثة شركية: وهي استغاثة الرجل بميت أو غائب، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، ومنها: إتيان الرجل إلى قبر نبي، أو ولي، أو مناداة غائب يقول: أنت غياثي أغثني، أنت عدتي أدركني، رميت عليك حملتي، أجرني، أنت رجائي ومأمولي، انقطاعي إليك، أنت شفيعي اشفع لي، ونحو ذلك، فهو استغاثة شركية يجب أن يفطن لها المسلم، ويحذر منها، وينبه غيره عليها.

٢ ـ **الاستعانة**، وبقية أنواع العبادة سواء بسواء.

٣ ـ **التوسل**: فيراد به ثلاثة معانٍ:

أ ـ التوسل بطاعة النبي ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ وهذا أمر لا يتم الإيمان إلا به.

ب ـ التوسل بدعائه وشفاعته: وهذا كان في حياته ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

ج ـ التوسل به بمعنى الاستقسام على الله بذاته، والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه لا في الاستسقاء، ولا في غيره، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا عند قبر غيره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عن من ليس قوله حجة.

٤ ـ الشفاعة: هي مثل الاستغاثة في أقسامها وأحكامها:

أ ـ شفاعة عادية: أن تأتي رجل حي حاضر ليشفع لك عند حي آخر.

ب ـ شفاعة شركية: وهي أن تطلب من نبي، أو مخلوق في قبره.

ج ـ شفاعة شرعية: وهي أن تطلب من الله وحده، فتقول: اللهم شفع فينا نبيك ورسولك محمد ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وهو ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ الشافع المشفع، ونرجو من الله شفاعته.

ولكن الشفاعة كلها لله، كما قال تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال عز وجل: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذنه الله فيه، كما قال عز وجل: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ولا نبيه ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد.

تبين الشفاعة كلها لله أطلبها منه، وأقول: «اللهم شفعه فيّ، اللهم

لا تحرمني شفاعته» وأمثال هذا، وقد اتفق المسلمون على أنه ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ أعظم الخلق جاهاً عند الله، لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه وشفاعته، ويجب ألا نخرج عن طاعته وأمره ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ وكثير من الناس ينظم القصائد في دعاء الميت، والاستشفاع، والاستغاثة، أو يذكر ذلك ضمن مديح الأنبياء والصالحين هذا كله، ليس بمشروع بل هو بدعة، وربما كان منها من أنواع الشرك مارسها عنه، ومن لم ينته إليه، فيجب على كل مسلم التيقظ لذلك، والتنبيه عليه. قال الشوكاني: وقد وقع كثير من هذه الأمة في اللغو المنهي عنه، المخالف لما في كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم[١].

□ □ □

(١) ديوان البرعي (ص٢٠/٢٢).

الملحق رقم (٤)

ترجمة سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[1]

هو سيدنا حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب مع أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

وكان حمزة - رضي الله عنه - أسن من النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- بسنتين، وأمه أم صفية بنت عبد المطلب. كان له من الأولاد خمسة منهم: يعلى، وعمارة، وعمرو، وعامر، ومن الإناث: أم الفضل، وأمامة، ولا عقب له الآن.

وكان - رضي الله عنه - شجاعاً، كريماً، سمحاً، أشد فتيان قريش، وأعزهم شكيمة.

أسلم في السنة السادسة، وضرب في يوم إسلامه في الحرم المكي رأس أبي جهل بقوس حين سمعه يسب النبي -صلى الله تعالى عليه وآله

---

(١) نقلت هذه الترجمة من كتاب مناقب سيد الشهداء رضي الله عنه، للسيد جعفر بن عبد الرحمن البرزجي، مفتي الشافعية بالمدينة المنورة (١١٢٨/ ١١٨٤هـ).

وسلم- فشجّه شجّة منكرة، وقال للنبي: يابن أخي! أظهر دينك، والله! ما أختار أن لي ما أظلت الغبراء، وأنا على دين قومي، وعز رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- بإسلامه، وكف المشركون عن بعض ما كانوا منه، وهاجر إلى المدينة. وأول لواء عقده رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- كان له حين بعثه إلى سيف البحر من أرض جهينة في السنة الثانية من الهجرة.

وشهد رضي الله عنه بدراً وأبلى بلاء عظيماً، وقاتل بسيفين بين يدي رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- وبدّد صناديد الكفر، وفعل بأهل الشرك الأفاعيل، وكان -رضي الله عنه- في يوم أحد مثل الجمل الأورق، والأسد الضاري، يهد بسيفه هداً، ما يقوم له شيء.

قتل يوم أحد واحداً وثلاثين رجلاً، ثم عثر عثرة وقع فيها على ظهره ببطن الوادي عند جبل الرماة، فانكشف الدرع عن بطنه، فزرقه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم بحربة، فأكرمه الله تعالى بالشهادة على يديه في يوم السبت منتصف شوال سنة ثلاث عن سبع وخمسين سنة. ثم مثلت به، وبقرت بطنه هند بنت عتبة -أم معاوية- فأخرجت كبده فلاكتها، ومضغتها، فلم تستطع أن تسيغها، وتبتلعها، فألقتها من فيها، فقال -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: «لو دخل بطنها لم تدخل النار» لأن حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيء من جسده النار.

ولما وقع رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- ورأى ما به من التمثيل، ونظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع إلى قلبه منه، وغاظه ذلك، وقال: «لن أُصاب بمثلك ما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا» وقال: «لولا أن تجزع صفية ونساؤها -أي: يتطاول جزعهن ويدوم- لم أدفنه حتى يحشر من بطون السباع، وحواصل الطيور» أي: يشتدّ غضب الله على من فعل ذلك، كما في رواية: «ولئن ظفرني الله

بقريش لأمثلن بسبعين منهم» فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ولئن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرن * واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ فقال ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ: «بل نصبر يا رب» وكفّر عن يمينه، وقال: «رحمة الله عليك أي عم، فإنك كنت ما عملت فعولاً للخير، وصولاً للرحم». ثم وضعه في القبلة، ووقف على جنازته، وبكى وشهق حتى كاد يبلغ الغشي، وهو يقول: «يا عم رسول الله! وأسد رسوله، يا حمزة! يا فاعل الخيرات! يا حمزة يا كاشف الكربات! يا حمزة، يا ذاباً عن وجه رسول الله ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ. وقال: جاءني جبريل، وأخبرني: مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله ورسوله ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ».

وروي في المستدرك عن جابر مرفوعاً: «سيد الشفعاء عند الله يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب» وعن السدي في قوله تعالى: ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه﴾ أنه نزل في حق حمزة رضي الله عنه. وأخرج السلفي عن بريدة في قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ أنه حمزة رضي الله عنه.

وكفنه ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ في نمرة إذا مدّوها على رأسه انكشفت رجلاه، وإن مدّوها على رجليه انكشفت رأسه، فمدوها على رأسه، وجعلوا على رجليه، وفي لفظ: الحرمل.

ولم يصل ـصلى الله تعالى عليه وآله وسلمـ كما هو الأثبت، أو الصلاة عليه من الخصائص، ودفنه بالربوة المشهورة بها قبره الآن وعليها قبر جليلة بنتها أم الخليفة المستضيء العباسي سنة تسعين وخمسمئة، ويقال: إن معه في قبره عبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير، وقيل:

شماس بن عثمان، والقبر الذي عند رأس مشهده ـ رضي الله عنه ـ قبر عقيل أحد أولاد الشريف حسن بن محمد بن أبي نمي، والقبر الذي بصحن المسجد قبر بعض أمراء المدينة من الأشراف[١].

ولما رجع رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ إلى المدينة بعد الواقعة سمع نساء الأنصار يبكين على قتلاهن، فقال: «لكن الحمزة لا بواكي له» وبكى ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ فأمر الأنصار نساءهم المدينة يبكين على حمزة قبل قتلاهم، وصار النساء مدة الزمان لا يجتمعن في مأتم إلا ويبتدئن بالبكاء على حمزة.

وقد كشفوا عن شهداء أحد بعد أربعين سنة، فوجدوا رطاباً النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك، قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال. وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينتهي عن السفر فيه.

اللهم ارض عن شهداء أحد، وكن لنا أعظم ناصر، وأفضل معين.

□ □ □

(١) وفي الوقت الحاضر القبر في ساحة مكشوفة، وليس داخل مسجد.

الملحق رقم (٥)

النحس

هذا الموضوع يذكر في كتب التوحيد في باب: الطيرة، والأصل فيه الحديث الشريف عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر» رواه مسلم.

ومحل الشاهد في موضوع النحس هو قوله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: «ولا صفر» لارتباطه بالزمن، والأمر هنا للنهي.

وقوله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: «ولا صفر»: بفتح الفاء.

روى أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث» له عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب، فعلى هذا فالمراد به ما كانوا يعتقدونه من العدوى، ويكون عطفه على العدوى من عطف الخاص على العام، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة، وأحمد، والبخاري، وابن جرير.

وقال آخرون: المراد به: شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك، وفيه نظر.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل

الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر، ويقولون: إنه شهر شؤوم. فأبطل النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ ذلك، قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال. وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينتهي عن السفر فيه.

والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة[1].

□ □ □

---

(١) تيسير العزيز المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص٤٣٣) ط٣ عام (١٣٩٧ هـ) للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المتوفى عام (١٢٣٣هـ).

قائمة المراجع

القسم الأول:

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي.

القسم الثاني:

٣ ـ صحيح البخاري

٤ ـ صحيح مسلم

٥ ـ سنن أبي داود

٦ ـ سنن الترمذي

٧ ـ سنن الدارمي

٨ ـ سنن ابن ماجه

٩ ـ سنن النسائي

١٠ ـ سنن البيهقي

١١ ـ معاجم الطبراني: الصغير والأوسط والكبير.

١٢ ـ مجمع الزوائد للهيثمي.

القسم الثالث: المراجع العامة:

١٣ ـ الأحاديث الواردة في فضل المدينة ـ. للدكتور صالح حامد الرفاعي

١٤ ـ إحياء علوم الدين ـ . . . . لحجة الإسلام: أبي حامد الغزالي

١٥ ـ الأعلام ـ . . . . لخير الدين الزركلي

١٦ ـ تاريخ المدينة ـ . . . . لعمر بن شبة

١٧ ـ تاريخ معالم المدينة ـ . . . . للشيخ: أحمد ياسين الخياري

١٨ ـ التحفة اللطيفة ـ . . . . للسخاوي
١٩ ـ تذكرة داود ـ . . . . للشيخ داود بن عمر الأنطاكي
٢٠ ـ ديوان ابن الفارض ـ . . . . لابن الفارض
٢١ ـ ديوان ابن النحاس ـ . . . . . . تحقيق الدكتور: محمد العيد الخطراوي
٢٢ ـ الزراعة الوطنية لبلد خير البرية ـ . تحقيق الدكتور: نايف الدعيس
٢٣ ـ شرح ديوان البرعي ـ. . . . . تحقيق: الشيخ محمد سعيد كمال
٢٤ ـ العقد النبوي ـ . . . . مخطوط للسيد: شيخ بن عبد الله العيدروس
٢٥ ـ عنوان النجابة فيمن مات بالمدينة من الصحابة ـ. . . . للشيخ أحمد الرفاعي.
٢٦ ـ فضائل المدينة ـ . . . . للدكتور: خليل ملا خاطر
٢٧ ـ معجم المؤلفين وتراجم مصنفي الكتب ـ للدكتور: عمر رضا كحالة
٢٨ ـ نزهة الناظرين في مسجد سيد المرسلين ـ. . . . تأليف: السيد جعفر البرزنجي، وتحقيق الأستاذ: أحمد سعيد بن سلم.
٢٩ ـ نماذج وألوان من تراث بعض أدباء وشعراء المدينة. . . للشيخ أحمد إبراهيم سمان.

□ □ □

فهرس الموضوعات